المدخل إلى

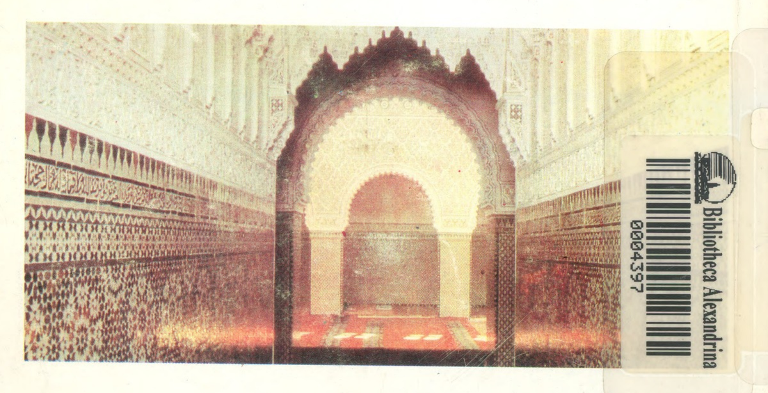
علم التاريخ

تأليف

الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ

أستاذ مساعد - قسم التاريخ - كلية الآداب

جامعة الملك سعود



المدخل إلى

علم التاريخ

المدخل إلى
علم التاريخ

تأليف

الدكتور عبدالرحمن عبدالله الشيخ

أستاذ مساعد - قسم التاريخ - كلية الآداب

جامعة الملك سعود



الرياض - ص ب ١٠٧٢٠



حسبنا الله ونعم الوكيل

المحتويات

الصفحة

الصفحة

الباب الرابع : تفسير التاريخ والعلوم المساعدة (١٣٥ - ١٥٦)

الباب الخامس : صياغة البحث التاريخي في شكله النهائي (١٥٧ - ١٨٣)

كلمة

أعددتُ هذا الكتابِ لطلبة التاريخ الذين يَدْرسون وفقاً لنظام المقرَّرات أو الساعات المعتمدة . ومن المعروف أنَّ هذا النظام التعليمى يضع على كَاهل الطالب جُهداً أساسياً فى العملية التعليمية . لذا كانَ هذا الكتاب مُخْتَصرا مُكْثِراً من الأمْثلةِ فى نفس الوقت ، كما يجد القارىء فى نهاية كل باب وبَين ثناياه مراجع مختارة يَجْدر بالطالب الاطّلاع عليها .

والكتاب يُورد تَدْريبات وتكليفات على الطالب أن يقوم بها ، لأنَّها تُكْمِل مَادَّة الكِتاب ، فالمؤلف تَعَمَّد أن يُشير لِبَعْض العناصر مجرد إشارة وحث الطالب على استكمالها من مراجع أُخَر .

وَتَنْحو فصول هذا الكتاب نَحْواً عمليا ، فلم تُغْرِق فى تفاصيل فَلْسفة التاريخ ولم تَمْخُر عُباب نظريات الفلاسِفة من غَيْر المؤرِّخين .

الكتاب إذن مَدْرسى تَعْلِيمى ، ومع هذا أراه لا يخلو من جِدَّة وأصالة فى بعض أبوابه .

وفى هذه الحدود ارجو أن يُحَقِّق الكتاب ما قَصد إليه .

وعلى الله قصد السبيل .

المؤلف

مقدمة

التاريخ ، لفظه ومعناه

لم يرد لفظ « التاريخ » فى القرآن الكريم ولا فى حديث الرسول ، ولم يُعرف أنها وردت فى الشعر الجاهلى . وهناك خلاف فى أصلها اللغوى ؛ ومن ذلك أن السخاوى فى كتابه **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**[1] ذكر أن هناك من قال إن الكلمة مشتقة من الإرخ بكسر الهمزة أو الأرخ بفتح الهمزة وتعنى وليد البقرة الوحشية . **وربما** كان الارتباط بين الوليد ولفظ التاريخ قد أتى من أن الوليد قد وُلد أو هو قد دَخل الزمن أو هو قد نشأ أو ابتدأ الحياة . والتاريخ يهتم – من بين ما يهتم به – بالنشأة والميلاد والتطور عبر الزمن . على أنَّ هناك من ينكر الصلة بين وليد بقر الوحش ولفظ التاريخ لبُعد ما بينهما ولصعوبة الربط بين كليهما ومن هؤلاء السخاوى نفسه فى كتابه سالف الذكر .

وقيل أن لفظ « التاريخ » مشتق من اللفظ الفارسى « ماه روز » التى تعنى حساب الشهور والأعوام ، وهذا خطأ جلى .

واستنتج بعض المستشرقين أن لفظة التاريخ قد تكون عربية جنوبية اعتمادا على رواية تقول إن أول من أرخ التاريخ **هو يعلى بن أمية** حيث كان باليمن فكتب إلى عُمر كتابا من اليمن مؤرخا فاستحسنه عمر وقال « هذا حسن فأرِّخو »[2] .

أما المُستشرق جِب فيرى أنَّها مُشتقة من الكلمة السامية التى تعنى القمر أو الشهر وهى فى اللغة العبرية (يرخ) .

ويبدو أن هذا المنحى الأخير هو الصحيح . وهذا يؤكد ما سنذكره فى فصول قادمة من أن **معرفة اللغات الأجنبية المتصلة بالبحث من ألزم الأمور للباحث ، فلولا أن جب يعلم العبرية أو شيئا منها ما خلص إلى هذا الاستنتاج** .

هذا عن الدلالة اللغوية للفظ ، أما عن مضمونه الاصطلاحى فقد مرَّ بعدة تطورات .

---

(١) عاش السخاوى فى الفترة من ٨٣١ إلى ٩٠٣ هـ / ١٤٢٧ – ١٤٩٧ م

(٢) الشرقاوى ، عفت محمد : أدب التاريخ عند العرب . بيروت ، دار العودة ، د.ت. ص ٢١٢ .

ومن المراجع الطريفة التى تناولت هذا الموضوع كتاب جلال الدين السيوطى المْوسوم باسم : **الشماريخ فى علم التاريخ** ، وقد توفى السيوطى سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) ومعنى هذا أن قيمته تاريخية وأنه لم يقدِّم لنا المضمون الشامل لعلم التاريخ كما نعلمه اليوم .

والتاريخ عند السيوطى هو ربط الأحداث بالزمن أو بتعبير آخر هو وضع علامات على مسيرة الزمن لتحديد **وقت** وقوع **الأحداث** ، تماما كما توضع العلامات على الطريق الطويل لتحديد **مكان** القرى والمدن . فالعلامات على الطريق تحدد **المكان** والعلامات فى مسيرة الزمان لتحديد **وقت** أو **زمن** أو **حين** أو **متى** تقع الأحداث أو الوقائع .

ويذكر السيوطى أن الناس فى بداية الأمر أرَّخوا بالأحداث الهامة ، وَيُعَدِّد لنا أمثلة على ذلك لا ينكرها العقل بالمرة ، فمن الطبيعى أن يؤرخ آدم من يوم هبوطه من الجنة ، فيقول إن ذلك حدث بعد هبوطى بعشرة أيام أو عشرين أو طلعت الشمس بعد هبوطى عشر مرات أو عشرين . . وهكذا . ورغم أننا لا نملك وثائق أو أدلة على أنه قال هذا أو فعل هذا إلَّا أن زعمنا ذاك يدخل فى حَيِّز الاستنتاج المعقول الذى لا يتنافى مع الطبيعة البشرية . **ومثل هذا الاستنتاج لا ينكره التفكير التاريخى أو المنهج التاريخى بل هو ضرورى فى كثير من الأحوال .**

ومن الطبيعى بعد الطوفان – طوفان نوح – أن يذكر الناجون أن حدثا بعينه وقع قبل الطوفان أو بعده ، فكأنهم أرخوا بالطوفان ، وكأنما الطوفان علامة على مسيرة الزمن .

وهكذا مضى الناس يؤرخون بالأحداث الهامة التى يذكر السيوطى منها نار إبراهيم ومبعث يوسف ومبعث موسى ومولد عيسى وهجرة محمد المصطفى عليه السلام .

ورغم ضبط التواريخ الهجرية والميلادية فى أيامنا هذه فإننا فى كثير من الأحيان نؤرخ بالأحداث الهامة فنقول : كان هذا قبل الحرب العالمية الأولى أو الثانية أو بعد هذه أو تلك . . ونقول : قبل الاستقلال أو بعده . . وهكذا .

وإذا كان التاريخ كما يُقال هو علم دراسة جهود الإنسان فى الماضى إلا أننا نستطيع أن نفهم كثيرا من وقائع التاريخ بتأمُّل الحاضر ، فبعض العجائز لازلن يؤرخن بما وقع لهن شخصيا من أحداث هامة ، فتقول : إن ذلك قد حدث سنة وفاة ابنى فلان أو بعد وفاته بعام أو قبل ذلك بعامين . . وهكذا .

ويذكر السيوطى أن عمر بن الخطاب قد اعتمد التاريخ الهجرى سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة وإن كان يذكر روايات أخرى .[1]

والتاريخ بمعنى قيد الحوادث مرتبطة بالزمن يهدف فيما يرى السيوطى إلى « معرفة الأجيال وحلولها وانقضاء الأجل ووفيات الشيوخ ومواليدهم والرواة عنهم فيعرف بذلك كذب الكاذبين وصدق الصادقين » .

على أن علم التاريخ عند مؤرخى المسلمين عامة كان « معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم إلى غير ذلك والغرض منه الوقف على الأحوال الماضية وفائدته **العبرة** بتلك الأحوال **والتنصيح** بها ، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن .. وهذا العلم **عُمر آخر** للناظرين .. »

وارتبط علم التاريخ عند المسلمين كما سنفصِّل فيما بعد بحديث الرسول عليه السلام مما جعلهم يحرصون على تحقيق الرواية وتمحيصها .

ولا تبتعد نظرتنا للتاريخ اليوم كثيرا عن نظرة السلف من المؤرخين فالتاريخ عند أكثر الباحثين يتناول كل ما يتعلق **بجهود الانسان فى الماضى** سواء كانت هذه الجهود وتلك النشاطات لحكام أو زعماء أو لأفراد عاديين ، وسواء كانت هذه النشاطات حروبا أم علاقات سلمية أو نشاطات فى مجالات الفن والاقتصاد والتعليم والدين وما إلى ذلك .

والماضى فى نظر المؤرخ « لا يتألف من سلسلة للأحداث وإنما هو نظرية للمعرفة تلقى ضوءاً على حقيقة هذه الأحداث »[2] .

وهكذا ينتهى واحد من كبار الباحثين فى فلسفة التاريخ وهو كولنجوود إلى أن علم التاريخ هو نوع من أنواع البحث العلمى يهدف للكشف عن جهود الإنسان فى الماضى معتمدين فى ذلك على تفسير الوثائق .

ومادامت الوثائق هى وسيلة المؤرخ الأساسية لكتابة التاريخ لذلك فإن المؤرخ الذى يحترم نفسه كثيرا ما يُحْجِم عن الكتابة فى موضوع لم تتكشَّف وثائقه أو جانب كبير

---

(١) راجع هذه الروايات في **كتاب الشماريخ في علم التاريخ** للحافظ جلال الدين السيوطي .

(٢) كولنجوود ، ر . ج . : فكرة التاريخ . ترجمة محمد بكير خليل ومحمد عبد الوهاب خلاف . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٨ . ص ٣٣ .

منها على الأقل . لذلك فإن أقسام التاريخ فى الجامعات الكبرى غالبا ما لا تقبل تسجيل رسائل للماجستير والدكتوراه عن موضوعات معاصرة . وبالنسبة للباحث فى مجال التاريخ الحديث يستحسن أن يتناول موضوعا مضى عليه ٣٠ أو ٤٠ سنة أو ٥٠ سنة .

ومن الناحية النظرية نلاحظ أن التاريخ يشمل الماضى كله ، لكن كيف يتناول الباحث أو المؤرخ موضوعا لا يملك أدوات بحثه الأساسية وهى الوثائق ؟ وكيف يتناول مسألة أو موضوعا مازالت الحقيقة لم تتضح فيه تماما أو مازال مرتبطا بمصالح أُناس على قيد الحياة يهمهم على نحو أو آخر حجْب الحقيقة . ؟

ويزيد من صعوبة مهمة المؤرخ أنه يتناول **الإنسان** بدوافعه المختلفة وتركيبه المعقد ، أما ما يتناوله المؤرخ من موضوعات أخرى كظروف البيئة الجغرافية فالغرض منها تفسير جهود الإنسان وتأثير هذه الظروف عليه أو تأثيره هو – الإنسان – عليها . فلو أن حدثاً جغرافيا كبركان أو هزة أرضية حدث فى مكان ناء لا بشر فيه ولم يكتشف حدوثه عالم أو إنسان فى مكان آخر ، فإن هذا الحدث الطبيعى لا يدخل منطقيا فى مجال التاريخ بمعناه الذى ندرسه.والتطورات التى ألمَّت بالأرض أو بالكون قبل وجود الإنسان لا تدخل أيضا ضمن التاريخ الذى نعنيه كفرع من الدراسات الإنسانية ، وإنما قد تتناولها علوم أخرى كالجيولوجيا أو التاريخ الطبيعى وكلاهما من فروع العلوم البحتة .

هذا هو علم التاريخ بدون دخول فى متاهات فلسفية أو تعريفات لا يمكن باستخدام أدوات التاريخ التى نعرفها اليوم أن نحققها أو بعضاً منها .

ومن هنا نترك للطالب أو القارىء أن يحكم على ما ذكره أحد الباحثين فى مجال التاريخ والذى نقتطف منه الفقرة التالية :

« التاريخ يقترن فى الأذهان بالماضى وحده ، وهذا مفهوم قديم لم يعد يأخذ به أحد من أهل التاريخ لأن التاريخ هو الحركة : حركة الكون وحركة الأرض وحركة الأحياء والناس على سطح الأرض وما تستتبعه هذه الحركة الدائمة من تَغيُّر دائم . وحيث أنَّ الحركة تغير مستمر منذ أن بدأ الله سبحانه الخلق إلى أن يطوى الأرض وما عليها ، فإن التاريخ أيضا متَّصل منذ الأزل إلى الأبد ، وهو يشمل الماضى والحاضر والمستقبل جميعا ، فكله تاريخ وكله ميدان عمل المؤرخ ، وهو نهر الحياة المتدفق الجارى المتجدد دائما بما تأتى منابعه وما تأتى به روافده »[1] .

---

(١) مؤنس ، حسين : الحضارة . الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة ، (سلسلة عالم المعرفة – ١) ص ١٢١

قراءات مختارة

١ – مادة « تاريخ » فى دائرة المعارف الإسلامية .

٢ – السيوطى ، جلال الدين : الشماريخ فى علم التاريخ . الكويت الدار السلفية ، ١٣٩٩ هـ .

٣ – كلنجوود ، ر.ج : فكرة التاريخ . ترجمة محمد بكير خليل ومحمد عبد الوهاب خلاف . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٦٨ م – ١٣٨٨ هـ) .

الباب الأول

المصادر الأساسية للتاريخ

أولا : الوثائق

عندما نذكر علم التاريخ نذكر على الفور **الوثائق**، والوثيقة هي أرق أنواع المصادر ، ولكن الوثائق درجات وأنواع ، فهناك وثائق من **الطراز الأول** . ونعنى بالوثيقة من الطراز الأول هى تلك الكتابة أو المستند أو الخطاب أو المكتوب أو المعاملات الرسمية التى **لم يُرِدْ بها كاتبها أو مُنشؤها أن تكون شاهدا على التاريخ** ، ومن ذلك عقود البيع والشراء والايجار والزواج والوقفيات ، وقوائم الأسماء وكشوف الحسابات والتقارير السرية . . الخ .

ولتوضيح هذه الفكرة نضرب عدة أمثلة :

١ - لو أنك ذهبت لاستئجار بيت أو شقة فإن صاحب البيت أو الشقة يكتب عقدا يوقع عليه ويوقع عليه المستأجر . عندما أنشأ أو كتب صاحب البيت هذا العقد لم يكن يقصد به أن يكون شاهدا على التاريخ ، وإنما قصد إثبات حقه فى البيت وضمان حقه فى الأجرة ، وكذلك المستأجر يريد أن يضمن حقه فى حيازة البيت أو الشقة حيازة مؤقتة هى مدة العقد . لم يكن التاريخ فى حسبان صاحب البيت أو المستأجر بحال من الأحوال ، أو أنهما لم يضعا فى اعتبارهما عند كتابة العقد أن طالبا أو باحثا أو مؤرخا سيأتى بعد فترة من الزمن ويحصل على هذا العقد ليتخذه مصدرا للتاريخ .

إذن ، لو أن باحثا تاريخيا أراد أن يؤرخ للحياة الاقتصادية أو الظروف الاجتماعية فى مصر فى مطلع القرن العشرين واستطاع الحصول على عدد مناسب من عقود الإيجار فى هذه الفترة ألا يخرج بمعلومات طريفة صادقة .

٢ - وبعض الأشخاص من ذوى المكانة والأملاك يكتبون قبل أن يوافيهم الأجل توصيات أو وقفيات ، وهم حين يكتبون ذلك لا يقصدون فى الغالب الأعم شهادة التاريخ وإنَّما يريدون **تحقيق إرادة قانونية** لذلك تعد هذه الوثائق أو الوقّفيات مصدراً أساسيا وصادقا للتاريخ . وفى بعض المحاكم المصرية عدد كبير من الوَقْفيات يمكن اعتبارها مصدراً هاماً لدراسة التاريخ المملوكى والعثمانى ومن ذلك :

– وقفية باسم السلطان قلاوون الصالحى بتاريخ ١٢ صفر ٦٨٥ هـ وهى موجودة فى وزارة الأوقاف .

– ووقفية باسم السلطان قايتباى بتاريخ ٢٥ ذى الحجة عام ٨٨١ هـ

– ووقفية باسم السلطان الغورى بتاريخ ٢٠ صفر عام ٩١١ هـ وغير ذلك كثير .

٣ – يقوم أستاذ المادة عادة فى بعض الجامعات بإحصاء عدد الطلبة الحاضرين والغائبين فى كل محاضرة وذلك فى كشوف خاصَّة . وفى نهاية العام أو الفصل الدراسى تُعد كشوف بأسماء الطلبة مشفوعاً بها تقديراتهم ومدى تفوقهم . ومن الطبيعى أن الأستاذ عندما أنشأ أو كتب كشوف الحضور والغياب لم يكن فى ذهنه أبدا أن تكون شاهدا على التاريخ وإنما هو فعل ذلك لأن إدارة الجامعة طلبت منه ذلك ، أو لأن ذلك جزء من عمله أو لأن ذلك هو النظام المتبع فى الجامعة ، وكذلك الحال بالنسبة لكشوف نتائج الامتحانات . فلو أراد باحث بعد فترة من الزمن أن يؤرخ للجامعة وأن يتعرض لمدى انضباط الطلبة وتفوقهم فى الفترة موضوع البحث فإنه إن رجع إلى هذه الكشوف فى أرشيف الجامعة ، فإنه بذلك يكون قد حصل على وثائق من الطراز الأول نادراً ما تؤتى نتائج كاذبة .

ونفس الشىء يقال عن كشوف رواتب الموظفين ، وكشوف تحديد أسعار السلع التى تصدرها البلدية أو غرفة التجارة أو غيرها من المؤسسات . لو عثر باحث على هذه الكشوف فى فترة زمنية بعينها فإنه يستطيع أن يكتب بحثاً صادقا ورائعا عن أحوال الناس الاقتصادية والاجتماعية بمقارنة كشوف الرواتب أو المعاشات بكشوف أسعار السلع ... وهكذا .

٤ – وتزداد قيمة الوثائق إذا كانت سرِّية خاصة فى موضوعات أو مجالات بعينها ومن الطبيعى أنها – أى الوثائق كانت سرية وقت صدورها – ولكن الباحث يمكنه الحصول عليها بعد مرور المدة القانونية التى يُحددها الأرشيف التاريخى أو دار الوثائق التاريخية كما بينا فى الفصل الخاص بدور الوثائق أو المحفوظات.وترجع أهمية هذه الوثائق أو المراسلات السرية أنها فى بعض الحالات تذكر النوايا الحقيقية أو الاتجاهات الحقيقية أو الواقع الفعلى . . وجميعها يتعذر لسبب أو لآخر الإعلان عنها .

والأمثلة على ذلك عديدة لكننى سأضرب مثلا بثلاثة وثائق نشرها الأستاذ الدكتور شوقى الجمل فى مجموعة وثائقه المعنونة : الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر

(١٨٦٣ - ١٨٧٩) ورابعة نشرها الدكتور السيد يوسف نصر فى مجموعة وثائقه المعنونة : الوثائق التاريخية للسياسة المصرية فى أفريقيا فى القرن التاسع عشر ، ووثيقتان نشرهما مؤلف هذا الكتاب فى دراسته عن حيازة الأرض فى نيجيريا فى القرن التاسع عشر ودراسته عن تاريخ التعليم فى غانا .

دفتر ٥٦٠ معية تركى

ترجمة المكاتبة التركية (غير رسمية وبدون نمرة) ص ١٠٦ فى ١٠ ربيع الثانى ١٢٨٤ هـ (١٨٥٧ م)[1] إلى محافظ مصوع

وردت مكاتبتكم الرقمية ٣ صفر سنة ١٢٨٤ إلى المعية المتضمنة نبأ وصول الخواجة (سويكى) الإيطالى إلى مصوع ومعه عائلته وأتباعه ومعداته بقصد التوطن فى جهات (سنهيت) ، وأن الأفضل عدم إسكان هذا الرجل فى الجهة المذكورة لكونها فى رأس الحدود - وعرضت على المجلس . . . وحيث أنَّ هذا الرجل حقيقة رجل مشاكس وأحواله غير مستقيمة وكان استخدم فيما مضى فى الدائرة السنية وفصل منها لرعونته وعدم استقامته ولابد أنه يخفى وراء طلب الاقامة فى جهة واقعة على رأس الحدود مثل هذه النيات فاسدة .

لذلك رأى المجلس آستعمال **الحكمة والتدبير** فى هذا الموضوع والعمل على منع هذا الرجل من الذهاب إليها **بصورة مناسبة** - وحيث أن حكمدار السودان قد ذهب إلى تلك الجهات لتسوية بعض الأشغال فلابد أن يكون قد وصل الآن إلى مصوع أو هو على وشك الوصول إليها فيجدر أخذ رأى سعادته فى هذا الموضوع وإجراء ما يلزم إزاء ذلك بحسب رأيه فنبلغكم ذلك .

نلاحظ على هذه الوثيقة ما يلى :

(أ) أنه ليس لها رقم فى سجل الصادر أو على حد التعبير (بدون نمرة) كما أن الجهة التى وجهت الخطاب لمحافظ مصوع غير محددة . وذلك لسبب بسيط وهو سهولة إنكار الوثيقة فيما لو اتضحت أو انكشفت أمورها فى حينه .

---

(١) نشرت فى كتاب الدكتور شوقى عطا الله الجمل : الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر (١٨٦٣ - ١٨٧٩) القاهرة . لجنة البيان العربى ، ١٩٥٩ . ص ٤٧ - ٤٨ .

(ب) يلاحظ الباحث أن الموقف العلنى أو المعلن قد يكون غير الهدف الحقيقى فالوثيقة توصى باستخدام الحكمة والتدبير مع هذا الإيطالى المشكوك فى نواياه ، فقد يصرح له المسئول المصرى أن الحكومة المصرية معجبة بكفاءته لذلك تود منه أن يقيم فى مصر بدلا من مصوع . وقد تكلفه الحكومة المصرية بعمل وهمى لقاء أجر كبير فى مكان بعيد عن مصوع . وقد يدعوه حكمدار السودان للاستفادة من خبرته وقد يجرى إقناعه بالإقامة بالقرب من الحكمدارية بدلا من وجوده فى منطقة الحدود . وفى كل الأحوال فإن الغرض الأساسى لا يتم التصريح به أو إعلانه .

(جـ) يستطيع الدارس مطمئنا من خلال هذه الوثيقة أن يستنتج الأطماع الإيطالية فى المنطقة وتخوف مصر من ذلك .

الدفتر رقم ١٨٥٢ معية عربى

نمرة ٤٥ صفحة ٧٥ فى ٥ ذى

الحجة سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م)[1]

إلى : المالية

وردت إفادة من جناب فنزنجر بك محافظ مصوع – فرنساوى العبارة رقم ١١ يناير ومن ضمنها طلب إرسال ثلثمائة (كذا) كيس ليكمل مصاريف العيون الجارى بناؤها بذلك الطرف حيث أن مصاريف المحافظة العادية لا تقوم بتلك المصاريف .

وبعرض ذلك على الأعتاب السنية صدر النطق العالى بأنه يصير تحويل صرف الثلثمائة كيس التى طلب المشار إليه صرفها على إحدى الجهات السودانية . فلهذا ألزم تحريره لسعادتكم ليجرى تحويل صرف المبلغ المرقوم لتلك الجهة على الوجه المشروح حسبما تعلقت به الارادة السنية .

تأشيرة : ورد من المنيا ثم تحرر لمنزنجر بك فى ١٤محرم سنة ١٢٨٩ نمرة ٦٦

---

(١) الجمل ، شوقى عطا الله : المرجع السابق ص ١٢٧ .

التعليق على الوثيقة :

(أ) كانت هناك اتهامات دائمة بأن الوجود المصرى فى سواحل البحر الأحمر الجنوبى وبالذات مصوع وسواكن ما هو إلّا وجود استعمارى ومن المعروف أن المستعمر يكسب أو يربح من الدولة المستعمرة ، ولكننا إزاء وثيقة تؤكد أن الخزانة المصرية كانت تدفع للانفاق على هذه المناطق ولا تأخذ منها . أليست هذه الوثيقة – ومثلها كثير – تدفع ما كان يثيره الأوروبيون ضد الوجود المصرى فى هذه المناطق ؟ !

(ب) كان لمصر أو للمسلمين دور حضارى لا يمكن إنكاره فى أفريقيا ، وكان لمصر العربية المسلمة دور أساسى فى تعميق العروبة والإسلام فى هذه الأنحاء . نستطيع أن نخرج بهذا القول من مثل هذه الوثيقة . وغيرها كثير .

ومن أراد الاطلاع على وثائق شبيهة الاطلاع على مجموعة الوثائق التى نشرها الدكتور شوقى عطا الله الجمل والتى سبق أن أشرنا إليها .

دفتر رقم ١٨٥٩ معية صفحة ٩٠ تحت نمرة ١ مرور
فى ٢١ ربيع الأول ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ م)[١]

من : محافظ مصوع وسواكن

إنه حضر من برِّ الحجاز عربان من رافع وينبع وأقاموا بين ملاحة داوية وسواكن وبين جزيرة عقيق ومصوع – بقصد التوطن والزراعة ورعى مواشيهم – والآن حاصل منهم تعد على العربان أهل الوطن بالأسلحة النارية ودائما حاصل التشكى مما هو حاصل بينهم . وتركهم بهذه الحالة غير صائب والأوفق أن يصير اجتماعهم وأخذ قول منهم عن دخولهم تحت طاعة الحكومة وتوطنهم فى الأرض الصالحة للزراعة – وربط مبلغ معين على كل فدان يصير زراعته سنويا ، وينتخبوا مشايخ عليهم ويلتزموا بدفع الأموال مع قيامهم بالضبط والأمن وعدم حصول أدنى ضرر منهم لأهل الوطن .

وإن حصل تعد عليهم من أهالى الوطن يعرضوا عنه للحكومة . . الخ

(١) الجمل ، شوقى عطا الله : المرجع السابق . ص ١٣٣

ويمكن للباحث أن يخلص من هذه الوثيقة وأمثالها بعدة حقائق :

(أ) إن الهجرة العربية أو المد البشرى العربى لأفريقيا الشرقية ظل مستمرا وقويا حتى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين مما يؤكد عروبة هذه المناطق ليس ثقافة ولغة فقط وإنما دماء أيضا .

(ب) إن الوضع فى ظل الادارة المصرية كان مُسْتتبا ومنتعشا ويتّسم بالرخاء بدليل هجرة هذه القبائل بحثا عن الرخاء .

دفتر ٥٢ عابدين – وارد تلغراف رقم ١٨ فى ٦ محرم
سنة ١٢٩٦ هـ الموافق ١٨٧٨م[١]

قد حصلت المكالمة بيننا وبين مندوب الملك يوحنا (ملك الحبشة) والذى انتهى إليه الحال وهو أنه تحرر من طرفنا (حكمدار السودان عن الحكومة المصرية) من الشروط اللازم عقدها معه فى مادة الحدود بحسب ما تراءى وعلى حسب ما نظر لنا كتبناه بأن الشروط تكون على وفق الموضح بهذا وهو :

. . . .

. . . .

ثانيا : أن الخديوى الأعظم يأذن بأن ملك الحبشة يتصرح له بأن يعين وكيل من طرفه لاقامته بمصوع أشبه بقنصل .

ثالثا : يتعين المطران وكل ما يلزم على أن تعيينه يكون من طرف الجناب العالى .

رابعا : كل من يريد التوجه من الحبشة إلى القدس الشريف يترخص له بالتوجه وتعطى له المساعدات اللازمة متى حضر وبيده جواب من حكومتهم . . . الخ

ومن هذه الوثيقة الهامة يتضح استقلال ارتريا التاريخى عن الحبشة .

★ ★ ★

وننتقل الآن إلى مثال آخر من الوثائق التى يمكن الباحث أن يخلص منها بنتائج هامة جدا مع أن عنوانها لا يدل على ذلك . إنه خطاب بشأن القطن فى منطقة اليُورْبَا (فى نيجيريا)

---

(١) نصر، السيد يوسف: الوثائق التاريخية للسياسة المصرية فى افريقيا . القاهرة دار المعارف ١٩٨٠ ص ٣٣٥ .

CONSUL BENJAMIN CAMPBELL TO LORD CLARENDON. YORUBA COTTON, 16 MAY 1857[2]

.·. THE Reverend Samuel Crowther, the highly intelligent native Clergyman attached to the Church Missionary Society's Establisment at this station, through whose instrumentality the Chiefs and others at Abeokuta have extended their cultivation of the cotton plant as a commercial export, having returned from a visit to that Town I lost no time in making him acquainted with the wishes and intentions of Her Majesty's Government in regard to promoting the cultivation of the Cotton plant.

Mr. Crowther is of the opinion that in the present stage it would not be advisable to distribute the seeds of a foreign and more valuable description of Cotton to the Chiefs and others at Abeokuta; the native cotton now grown by them is of that description of which the greatest quantity is used, and is known at Manchester, 'good ordinary', and fetches to the cultivators a remunerating price; but, Mr. Crowther is of the opinion that seed of a higher priced description of Cotton would be advantageously placed in the hands of the Native Converts to Christianity many of whom are planters, because they would readily submit to any Instructions and directions as to the mode and manner of cultivating the new seed, in fact that under the advice

and instruction of the Missionary Agents these converts would readily cultivate a model plantation, to which, after a time, the attention of the Chiefs and other cultivators might be invited. I think highly of this suggestion of Mr. Crowther's and beg respectfully to submit to your Lordship that seed of the higher priced description of cotton be sent out to me to be placed in the hands of the Native Christian Converts.

The great drawback hitherto experienced has been the want of good machines for separating the Cotton from the seed. Those hitherto used are the description called the saw Gin, but as they deteriorate the Cotton a halfpenny and more the lb., in consequence of the tearing of the fibre, another description called the roller Gin was sent out, but this machine being unadapted for the cotton cultivated in this part of Africa, not cleaning five lbs of Cotton per day while the saw Gin cleaned upwards of 30 lbs., the natives refused them even as a gift; another great drawback also has been the want of a press, but this will be soon remedied as two presses have arrived out and will be seen set up in Abeokuta; and Signor Scala the Sardinian Consul a man of energy and enterprise who is forming a Commercial establishment at Abeokuta expects a press from England by the next Packet. Unhappily a large quantity of Cotton in the raw state of the crop of last season, stored in various depots at Abeokuta waiting the arrival of more cleaning Gins and the presses was destroyed by a fire some months since which burnt down a large portion of the town of Abeokuta.

As it is a great desideratum with a people who have no other capital than their labor that they should possess machines for cleaning the Cotton, simple, cheap, and inexpensive, I beg to submit to Your Lordship that Her Majesty's Consuls in those Southern States of America, and in other countries where Cotton is extensively grown, be directed to forward to Your Lordship drawings and diagrams of the description of cleaning machines most used in those Countries, with such descriptions as would render them quite intelligible to a Manchester Merchant; and, as an increased cultivation of the Cotton plant in other parts of the Yourbah Country is confidently expected and there are neither rail roads nor canals by which to transport cheaply so bulky a material and only very narrow foot paths at best, I beg further to submit to Your Lordship that Her Majesty's Consuls at Pernambuco and Para be directed to send plans and descriptions of the rude but powerful wooden presses which I am informed are used in the interior of those provinces in Brazil, to compress the Cotton into small bales which are then carried on the backs of mules to the Ports on the Coast.

I beg again respectfully to suggest to Your Lordship that the Conductors of the trading expedition up the Niger should be earnestly requested to direct their attention to cotton as an article of Export, and, that the Expedition should be provided with all the means necessary for purchasing it from the Natives, cleaning it and pressing it in the state fit for shipment. (٥)

[5] F.O. 84/1031. *Benjamin Campbell* was consul at Lagos, 1853–9. A copy of this report was forward. to Macgregor Laird and to the Manchester Cotton Supply Association. *Lord Clarendon* was Foreign Secretary, 1853–8, 1865–6, 1868–70, and requested this information in March 1857

ولقد استخدم المؤلف هذه الوثيقة للدلالة على **استخدام الحيازة الزراعية فى العمل على نشر الدين المسيحى**[1] .

إن القنصل كامبل يخاطب لورد كلارندون ذاكرا له أن السيد كروثر وهو أحد موظفى الحكومة البريطانية الكبار فى نيجيريا يرى أنه لا يجب فى الوقت الحاضر تقديم بذور القطن الجيدة أى التى تُدّر محصولا وافراً إلّا للنيجيريين الذين تحولوا للمسيحية . .

هل من المُمكن أن تظهر هذه الحقيقة وتلك النوايا فى بيان حكومى رسمى ؟ هل يمكن أن تظهر هذه الحقيقة فى كتاب مؤلَّف عن بريطانيا فى غرب أفريقية ويكون المؤلف انجليزى ؟

إن مثل هذه الحقائق لا تظهر إلا فى الوثائق أو المراسلات الرسمية السرية لأن كاتبها لم يكن يتوقع أن تكون كتابته شاهداً على التاريخ ولم يكتب ما كتب بقصد شهادة التاريخ وإنما بقصد تسيير أمور معينة وتنفيذ سياسة معينة . . لقد كان مضطرا للكتابة .

وهذا يؤكد مرة أخرى أهمية الوثيقة بالنسبة للحقيقة التاريخية .

٥ – وفى كثير من الأحيان يكون إغفال الوثيقة لذكر موضوع ما أو فئة معينة مجالا لاستنتاج الباحث . ولأضرب لذلك مثلا يسيرا ، فلو أن الباحث يعرف من مصادر كثيرة ومتعددة أن فى إحدى المدن ٣ كنائس ومسجد ، ثم يطلع على وثيقة تعدد أماكن العبادة فى هذه المدينة فتذكر الكنائس وتغفل المساجد أو تذكر المساجد وتغفل الكنائس . . هنا لابد أن يكون للباحث وقفة . . انها نيةً مبّيتة لهدم المساجد أو العكس . . أو أن فئة أقوى من الأخرى أو أن قوى أجنبية تميل لهؤلاء أو أولئك .

وسأضرب مثلا بوثيقتين تكمل إحداهما الأخرى .

أولاهما : تقرير سرى رفع للحكومة البريطانية عن التعليم والدين فى غانا سنة ١٩٢٠ يذكر أن المسلمين فى غانا موجودون بكثرة فى الشمال خاصة وينصح الإرساليات التبشيريةالمسيحية بألّا تضيع وقتا (لهداية) المسلمين للمسيحية فتحولهم لها صعب بل

---

(١) أعيد نشر هذه الوثيقة مع دراسة تحليلية فى : الشيخ ، عبد الرحمن عبد الله : حيازة الأرض فى نيجيريا فى القرن التاسع عشر . القاهرة ، جامعة القاهرة ١٩٨٠ رسالة دكتوراه غير منشورة . الملحق . ص ١٨٦ .

يكاد يكون مستحيلا ، وإنما على الإرساليات التبشيرية أن تركز جهودها على الجماعات الوثنية فهم مجال سهل للتحول للمسيحية وعلى الارساليين أن ينتهزوا فرصة وجود القوة العسكرية البريطانية لينشطوا فى مجال التبشير فواقع الأمر أنه لا مقام لهم إن ذهبت القوة العسكرية .[1]

مثل هذه التصريحات التى تكشف عن النوايا الحقيقية لا تجدها عزيزى الطالب إلا فى الوثائق الرسمية السرية .

ثانيهما : وثيقة عن التعليم فى غانا ورغم تأكدنا[2] – من خلال وثائق أخرى أن الإسلام والتعليم الإسلامى موجود فى غانا ، بل وموجود مؤثر إلّا أنّ هذه الوثيقة أغفلت ذكره . كيف أستفيد من هذا الاغفال حقائق تاريخية وكيف أفسره ؟

والآن ، نخلى بينك وبين الوثيقتين ، لتعلم عزيزى الطالب كيفية الاستفادة من الوثائق وكيفية التحقق من صحتها . . ؟

الدراسة الوثائقية والاستنتاجات :

١ – عندما تحصل على مثل هذه الوثيقة لابد أن تتأكد من أنها صحيحة والوسيلة لذلك فى مثل هذه الحالة هى التأكد من اعتماد وأختام الأرشيف أو دار الوثائق التى سمحت لك بتصوير الوثيقة ، وبعض دور الوثائق تعطيك شهادة بذلك . وتجد هذا فى الصفحة الأولى وهى شهادة اعتماد من أرشيف غانا القومى « أشهد أنا ابنزر لامبتى رئيس الموثقين بأرشيف غانا القومى أن النسخة المرفقة من الوثيقة المذكورة أدناه والتى أستخرجت من الأرشيف المذكور أعلاه هى النسخة الصحيحة » .

لكن شهادة الصحة هذه قد ترفق بوثيقة مُغَايرة لذلك يقوم الأرشيف المذكور بلصق شهادة الصحة أو شهادة الاعتماد بالوثيقة المصورة وختمها بالشمع الأحمر وربطهما معا بشريط أحمر مدموغ بالشمع . (لاحظ ذلك فى الصفحة الأولى من الوثيقة) .

٢ – وجود الوثيقة فى مكانها الطبيعي وتسلسلها الزمنى الطبيعى فى الأرشيف (دار الوثائق) أحد العوامل المساعدة على التأكد من صحتها وتصديقها . ولتوضيح الفكرة

(١) الشيخ ، عبد الرحمن عبد الله : تاريخ التعليم فى غانا من ١٧٥١ إلى ١٩٦٣ . القاهرة، جامعة القاهرة ، ١٩٧٦ . رسالة ماجستير غير منشورة – الملحق .ص ٨ – ١٩ .

(٢) الشيخ ، عبد الرحمن عبد الله : نفس المرجع السابق .ص ١٩ – ٢٢ .



National Archives of Ghana

Certificate of Authentication

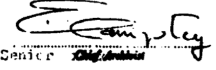
To all whom these presents shall come, Greetings:

I, EBENEZER LAMPTEY Senior *Archivist* [of] *the National Archives of Ghana, do hereby certify that the annexed copy or* [re]*production, or each of the specified number of annexed copies or reproductions, of* [the] *document (listed below) which is preserved in the above-named Archives, is* [a true] *copy:*

Extract from the Colonial Report, 1920

ADM. 5/1/28 PP. 12-13 Para. 45-52

Given under my hand and seal this 20 **day of** October, 19 7 **as authorized by Section 7 of the Public Archives Ordinance, No. 35 of 1955.**



Senior ~~Chief Archivist~~

Archives Form No. 9

EDUCATION.

45. There are three Government Schools in Ashanti, one at Coomassie, one at Sunyani in the Western Province, and one at Juaso the Headquarters of the Ashanti-Akim District of the Eastern Province.

46. At the end of the year the number on the roll at Coomassie was 496, at Juaso 138, and at Sunyani 110. At an early date a new Government School at Coomassie on a new site will be necessary, the present buildings are too close to the new railway station and the present site leaves much to be desired. A new site has been selected provisionally and it contains ample space for decent playing fields.

47. Altogether there are about 40 Schools distributed about the Eastern Province, and ten in the Western Province. Coomassie possesses the best facilities for education, but its population is so cosmopolitan that barely 50 per cent. of the School children are Ashantis. Outside Coomassie, and except at Obuasi, Sunyani, and Juaso the Schools are small and the education of a very simple kind.

48. One of the obvious present needs of the Ashanti is a better opportunity on the spot for acquiring something more than the very elementary education of the village School.

The Acting District Commissioner, Kintampo, for instance, writes "There are a number of sawyers, carpenters, bricklayers, and tailors in the bigger villages, but they mostly came from the Gold Coast Colony." This is the case everywhere. The dispensers, surveyors, road overseers, sanitary inspectors, storekeepers, clerks, mechanics, artisans, and so on come as a rule from the Coast. It is true that there are a few Ashanti boys, and their number is increasing, who are sent to Accra and Cape Coast for the educational advantages those towns offer, but until the same advantages are available locally the average Ashanti will not be trained to take much share in certain branches of the development of his country, and is likely to find certain avenues of employment closed to him.

Religion.

49. The majority of the inhabitants of Ashanti must still be classed as adherents of their native religion. This has been described by Sir Francis Fuller as "a veneration of ancestors, strongly blended with animism, commonly called fetishism."

50. The tide of progress, however, which has swept over the country in the past few years has loosened the moorings of the ancient religion, and there is little doubt that there would be a very great access of converts to Christianity if the various Missions could seize the opportunities now awaiting them. Mohammedanism does not seem at present to be able to proselytise among the Ashantis, and there is thus a clear field for the Christian Missionary.

51. The Heads of the various Missions speak optimistically of the progress and possibilities of their work, but there is the general lament at the absence of European personnel. It is greatly to be hoped that the ranks of the Missionaries will soon be filled, and that there will be no lack of moral guidance during the unsettling times which it seems the people of Ashanti have now to face.

52. The various Missions established in Ashanti are the following:—

The Seven Day Adventists who have seven Churches and Companies of Believers, and whose members number 283.

The A.M.E Zion Church with 156 full members and 64 probationers.

The Scottish Mission with 918 communicants and 389 adherents.

The Wesleyan Mission with 8,000 baptised members.

The Roman Catholic Mission with 1,100 converts.

The S.P.G. Mission with a roll of 300 members.

نذكر أن لكل طالب أو موظف فى الجامعة ملف (File) فلو أنك وجدت (وثيقة) أو خطابا يخص موظفا أو طالبا موجودا فى ملف موظف أو طالب آخر . . ألا يدعوك هذا للتشكك ولو إلى حين ؟ ولو أنك وجدت خطابا تاريخه ١٤٠٢ هـ فى ملف (File) مخصص لمعاملات سنة (١٤٠٠ هـ) أو ملف خاص بمعاملات سنة (١٤٠٣) هـ ألا يدعوك هذا للتشكك ؟ ألا تظن أن أحداً دسَّ هذا الخطاب أو المعاملة لسبب فى نفسه ؟ قد تكون المسألة مجرد خطأ ؟ وقد تكون تزويرا مقصودا. . لكن عليك التأكد فى كل الأحوال .

إذن وجود الوثيقة فى تسلسلها الزمنى وفى مكانها الطبيعى من الأرشيف يُعَد من العلامات أو الدلالات التى تساعد على التأكد من صحة الوثيقة .

٣ – الآن وقد تأكدتُ من صحة الوثيقة ، علىّ أنْ أدرسها بعناية لأخلص منها بالحقائق التى أُريد الوصول إليها . وهى بالنسبة لهذه الوثيقة حقائق خطيرة ، لذلك سنبدأ بترجمة بعض فقراتها ، ونؤكد مرة أخرى على الفكرة التى لا نمل من تكرارها وهى أن هذه الوثيقة **لولا أن كاتبها لم يُرد بها شهادة التاريخ ، ولولا ظروف عملية نَفعية حتَّمت عليه كتابتها ما خرجنا منها بهذه الحقائق الصادقة .**

(٤٩٠٠٠ – غالبية سكان الأشانتى (فى غانا) يجب أن يظلُّوا وثنيين native religion تلك الديانة التى وصفها السير فرانسيس فلر بأنها تُبجِّل الأسلاف بشكل يرتبط بعبادة الأرواح أو الأرواحية Animism ، وتسمى هذه العبادة بالفيتيشية Fetishism .

٥٠ – تيار التقدم الذى اجتاح البلاد فى الأعوام القليلة الماضية قد قلَّل من استقرار الديانة القديمة (الوثنية) وهناك شك فى إقبال عظيم على اعتناق المسيحية ولابدَّ للإرساليات التبشيرية أن تتعاون معاً لتحقيق هذا الغرض إذ لا يبدو الإسلام فى الوقت الراهن (١٩٢٠) قادرا على هداية سكَّان مناطق الأشانتى وعلى هذا **فالمساحة خالية للتبشير المسيحى .**

٥١ – رؤساء الإرساليات التبشيرية يتحدَّثون بتفاؤل عن التقدم والإمكانات المتاحة لهم فى مجال عملهم على أنه ينبغى ألَّا نُغْفل المصاعب الكبيرة التى سيواجهونها فى حالة غياب الإدارة الأوربية . . .)

والآن لو أتى باحث وذكر أن السلطات الأوربية كانت تَسعْى لبقاء الوثنيين على ديانتهم حتى يكونوا رصيدا مُستَقْبلياً للمسيحية وذكر أنَّه لولا الوجود الأوربى المسلح لما

حقـقت الإرساليـات التبشيريـة ماحققتـه من نشر للمسيحيـة ولو ذكر أن الإرساليات والسلطة الأوربية تعمل ألف حساب للمسلمين فى أفريقيا السوداء ولا تتوقع منهم تحويلا للمسيحية أو مؤزارة للأوربيين ، لو أن باحثا ذكر ذلك أو بعضه لاتهمناه بالتعصب والمبالغة . أما إذا قدم لنا وثيقة صادقة كهذه ، فتلك إذن حقائق أساسية وتلك إذن هى سياسة الاستعمار إزاء المسلمين مدعمة بالوثيقة .

مرة أخرى ، هل من الممكن أن تَرِدَ هذه الحقائق فى بيان أو خطبة أو توجيه علنى انجليزى ؟

إنها الوثائق ، المصدر الأصيل للتاريخ ، **لأن مُنشئها عند كتابتها أو صياغتها لم يكُن يقصد بها شهادة التاريخ** ، **فأتت صادقة حاوية على نواياه الحقيقية .**

* * *

ننتقل الآن إلى وثيقة أخرى لها نوع آخر من الاستخدام إذ أنها أغفلت بعض الحقائق التاريخية . **وهذا يوضح أن الوثيقة التاريخية يمكن الاستفادة منها سلباً وإيجابا** بمعنى أنها إذا أوردت حقائق تاريخية كان على المؤرخ أن يستفيد منها . وإذا أغفلت حقائق تاريخية يعرفها المؤرخ من وثائق أخرى أو مراجع أخرى أو مسكوكات أو آثار ، فإن هذا الإغفال لا يخلو من دلالة ، فهو يدل على أن منشىء الوثيقة أو كاتبها إما **جاهل** بهذه الحقائق التاريخية ، وإما **مغرض يبغى من وراء إغفاله هذا تحقيق مصلحة اقتصادية أو سياسية أو دينية .**

والوثيقة التى نحن بصددها عنوانها :

« اللائحة رقم ١٤ المؤرخة فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٨٧ بشأن الرق بالتعليم وتقديم الاعانات لتطويره فى مستعمرة ساحل الذهب »

والوثيقة صحيحة بشهادة دار الوثائق القومية الغانية[1] ولكن عند تحليل مضمونها تلاحظ أنها لم تشر من قريب أو بعيد لوجود تعليم إسلامى سواء نظام الكتاتيب أو المدارس الإسلامية المُعَانة من الحكومة . ولما كانت هذه الوثيقة لائحة رسمية فإنه من

---

(١) انظر شهادة الصحة والاعتماد فى الصفحة التالية وراجع الأختام والشمع الأحمر كما هو باد فى الصورة وراجع ما كتبناه عن صحة الوثيقة السابقة .

الواضح أن حكومة المستعمرة الانجليزية لا تريد أن تعترف بوجود الإسلام والتعليم الإسلامى فى غانا من الناحية الرسمية إما تمهيداً لإلغائه أو التقليل من شأنه .

وهكذا ترى أن الوثيقة الصحيحة لا تخلو من مدلول تاريخى سواء أشارت للحقيقة التاريخية أم أغفلتها .

وثائق التاريخ الحديث ، المنشورة وغير المنشورة :

ضربنا لك فى الصفحات السابقة أمثلة على وثائق لا زالت أصولها موجودة فى دور الوثائق أو الأرشيفات القومية ولكننا لم نحصل عليها من هذه الأرشيفات وإنما حصلنا عليها من كتب أو مجموعات وثائقية قام مؤلفوها بالذهاب بأنفسهم إلى دور الوثائق والأرشيفات ونشروها ، ثم أخذتُها أنا فى كتابى هذا عنهم ، أو استعان بها باحثون آخرون .

هنا لابد من وقفة فأنا أو غيرى من الباحثين لم يَرَوْا الوثائق الأصلية ولم يتحقَّقوا من وجودها فى أرشيفها فى مكانها الطبيعى وفى ملفها أو دَفْترها الطبيعى وفى تسلسلها الزمنى ، وإنَّما اعتمدتُ واعتمد غيرى على أنَّ غيرى قد رآها وعاينها . وعلى الباحث فى هذه الحالة **إذا شك فى صحة الوثيقة أو عِلْم الناشر لها أو نزاهته العملية أن يرجع بنفسه إلى الوثيقة الأصلية فى دار الوثائق أو الأرشيف الذى أشار المؤلف أنه أخذها منه .**

وهذه ليست مشكلة بالنسبة لوثائق التاريخ الحديث وأواخر العصر الوسيط الأوربى . لتوفر عدد كبير منها فى دور الوثائق .

كما ضربنا لك – فى الصفحات السابقة أيضا – أمثلة على وثائق حصلنا عليها مباشرة من دار الوثائق ، وتأكدنا بأنفسنا من وجودها فى أماكنها وتسلسلها الزمنى ، ثم حصلنا على شهادة بصحتها معتمدة ومختومة من الأرشيف أو دار الوثائق . **فتلك إذن وثائق صادقة مائة فى المائة وليس هناك مجال لتزييفها أو الكذب عليها أو فيها .**

ومن ناحية القيمة الأكاديمية تعتبر الوثائق غير المنشورة أكثر قيمة ، وتعطى البحث التاريخى أهمية كبيرة . وغالبا ما يشترط الأستاذ المشرف على الطالب الذى يُعِد درجة للماجستير أو الدكتوراه فى مجال التاريخ الحديث أن يضمِّن بحثه بعض الوثائق التى لم يسبق نشرها ، وذلك لسببين :



National Archives of Ghana

Certificate
Authentication

To all whom these presents shall come, Greetings:

I, [illegible] LAMPTEY Senior Archivist [of] the National Archives of Ghana, do hereby certify that the annexed copy or reproduction, or each of the ~~specified number of annexed copies or reproductions~~ of [the] document (listed below) which is preserved in the above-named Archives, is [a true] copy:

Ordinance No. 14 dated 20th September, 1927 for the promotion and Assistance of Education in the Gold Coast Colony.

Adm 4/1/9 PP. 1 – 3

Given under my hand and seal this 23 day of October, 1974 as authorised by Section 7 of the Public Archives Ordinance, No. 35 of 1955.

E. Lamptey

Senior ~~Chief~~ Archivist

74.

Archives Form No.

NO. 14. **1887.**



GOLD COAST COLONY.

IN THE FIFTY-FIRST YEAR OF THE REIGN OF

HER MAJESTY QUEEN VICTORIA.

COLONEL FREDERICK BENJAMIN PRICE WHITE, ADMINISTRATOR.

AN ORDINANCE for the promotion and Assistance of Education in the Gold Coast Colony. *Title.*

[28th September, 1887. *Date.*

Whereas it is expedient to provide for the Promotion and Assistance of Education in the Gold Coast Colony;

Board of E[ducation].

I. There shall be a Board of Education in the Gold Coast Colony, which Board shall consist of the Governor, of the Members of the Legislative Council, and of such other members, not exceeding eight in number, who may be nominated by the Governor.

President quorum.

II. The Governor, or in his absence such other member as he may think fit to appoint in writing shall be President of the Board. The President and three members of the Board, one of whom shall be a member of the Legislative Council, shall form a quorum. The President, in addition to his vote as a member of the Board, shall have a casting vote in case the opinions of the members are equally divided.

Appointment of [Inspector].

III. It shall be lawful for the Governor subject to the approval of one of Her Majesty's Principal Secretaries of State, to appoint some fit and proper person to be

Inspector of Schools. The Governor may also from time to time appoint such other officers as may be deemed necessary for carrying this Ordinance into effect.

Powers of Board.

IV. Subject to the provisions of this Ordinance the Board of Education may, from time to time make, alter, amend or revoke Rules with regard to the examination of schools and of persons to be employed as teachers under this Ordinance: for classifying certificates to be given to such teachers; for determining the capitation grants, which shall be paid as a contribution towards the remuneration of the teachers of schools entitled to grants-in-aid: for regulating the application for and the allowance of grants-in-aid to schools, for regulating the terms on which any minister of religion may have access to any government school for the purpose of giving religious instruction to the children of the religious denomination to which such minister may belong; and generally, all other rules as may be found necessary for the more effectual carrying out the provisions of this Ordinance: And all such rules, alterations, amendments and revocations shall, on being approved by the Governor and on publication in the Gazette, have the same effect as if the same had been made by Ordinance subject to disallowance by Her Majesty.

Primary schools.

V. Schools of Primary Education shall be divided into two classes: first Government Schools or schools established by the government and entirely maintained from the funds of the colony; and, secondly, Assisted schools or schools established by private persons to which aid may be contributed from the public funds.

Religious teaching in government Schools.

VI. Direct religious teaching shall not form part of the instruction to be given in any government school.

Aid to primary schools.

Condition under which granted, and for what purposes.

VII. Assisted schools shall, on being allowed by the Board of Education, be enabled to receive aid from the public funds of the Colony on the following conditions:—

1. That the control and management of such schools be vested in one or more managers who shall have power to appoint, dismiss, and fix the salaries of the teachers of such schools.
2. That such managers be responsible for the payment of the salaries of the teachers and for all other expenses of such schools, and also for keeping the school buildings in a state of repair, and in good sanitary condition: provided that in case of the non-performance of any of the conditions in this sub-section it shall be lawful for the Board of Education during the continuance of such non-performance to reduce or altogether to withdraw the grants-in-aid of such schools.
3. That the present teachers of such schools do obtain within three years from the commencement of this Ordinance, a certificate from the Board of Education and that every teacher hereafter appointed shall hold a certificate from the Board, that he has satisfied the Board as to his competency. These certificates may be honorary or obtained by examination.
4. That the schools be open to children without distinction of religion or race.
5. That the subjects taught include reading and writing of the English language arithmetic, and, in the case of females, plain needlework. Grammar of the English language, English history, geography, especially of the British Empire, may also be taught or not at the option of the managers; provided that, if taught, they shall be taught as class subjects.
6. That no child receive any religious instruction objected to by the parent or guardian of such child, or be present when such instruction is given.
7. That the schools be open at all times to inspection by the Inspector of schools or by any person appointed by him in writing, or by any member of the Board of Education, or by any District Commissioner, or by any person approved by the Governor.
8. That schools attain to not less than the required proficiency.

Managers: definition of term.

VIII. By managers shall be understood all members of the local governing bodies of any society, body, or corporation, taking part in the educational work of the Colony: provided that, in all cases, correspondence shall be maintained with, and payments made to, the representative of any such society, body, or corporation, or to such other person as may be authorised in writing by such representative.

Power of managers to appoint local managers.

IX. Managers shall have power to appoint local managers, who shall be directly responsible to the said managers, who in turn, shall be directly responsible to the Board of Education for the maintenance and efficiency of their schools.

X. No school shall receive any grant-in-aid unless the average attendance of pupils has been at least twenty for each day the school has been open during the period for which the grant is payable.

Average attendance.

XI. The managers of every assisted school shall submit yearly accounts of revenue (from whatever source derived) and expenditure to the Inspector of schools for the information and satisfaction of the Board of Education; and no school shall be placed on the list of assisted schools, unless a detailed tabular statement of the revenue of the school from all sources be furnished, together with the expenditure incurred under every head during the twelve months preceding the date of application.

Financial responsibility of managers.

XII. Schools in which a proportion of the pupils, to be fixed by the Board of Education, devote not less than ten hours a week to manual labour on a regular and approved plan, shall be considered to be Industrial Schools.

Manual labour shall be understood to mean any kind of handicraft, manufacturing process or agricultural work, and, in the case of females, household work.

Industrial schools.

XIII. Any school receiving aid from public funds shall be bound to receive pauper children, who may be assigned to it by the Government, in such numbers and upon such terms as may be decided on by the Board of Education.

Pauper or alien children.

XIV. Nothing in this Ordinance contained shall be construed to debar the Governor from establishing, schools under the entire control of the Government, or maintaining, any such school already established, and, in such case, the Governor may fix the salaries of the teachers of such schools definitely or partly at a definite amount and partly by grants in proportion to the results attained or wholly in proportion to the results attained.

Provision as to Government Schools.

XV. A grant from public funds, the amount of which shall be fixed from time to time by the Board of Education, may be made to any training college, school, or institution, in which teachers are specially trained, for every teacher who shall obtain a certificate from the Board of Education that he has satisfied the Board as to his competency: provided that every such teacher shall have received at least two years' instruction in such training college, school, or institution, and shall give a bond to the Governor to teach, either in a government school, or school receiving a grant-in-aid, for a period of five years.

Grant to training colleges, schools or institutions.

XVI. "The Education Ordinance, 1882," and all rules made thereunder, "The "Education Ordinance, 1882 Amendment Ordinance," and "The Education Ordinance "Amendment Ordinance, 1883," shall be repealed as from the commencement of this Ordinance, provided that the repeal of the above recited Ordinances and rules shall not affect the grants for the year 1887.

Repeal.

XVII. This Ordinance may be cited as "The Education Ordinance, 1887."

Short Title.

Passed in the Legislative Council this Twenty-eighth day of September, in the year of Our Lord, One thousand, eight hundred and eighty-seven.

[signature]
Clerk of the Legislative Council.

I assent to this Ordinance in the name of Her Majesty this 28th day of September, 1887.

[signature]
Administering the Government.

This Printed Impression has been carefully compared by me with the Bill which has passed the Legislative Council and found to be a true and correct copy of the said Bill.

[signature]
Clerk of the Legislative Council.

١ - لأن الوثائق التى لم يسبق نشرها ، إذا ما نُشرت وحققّت فإنها إضافة جديدة للعلم التاريخى بما فيها من حقائق جديدة ومعلومات .

٢ - لتدريب الباحث على ارتياد الأرشيفات ودور الوثائق باعتبارها من كنوز البحث التاريخى .

* * *

وثائق التاريخ الإسلامى (الوسيط)

الوثيقة هى الوثيقة سواء انتمت للتاريخ الوسيط أو الحديث أو حتى القديم . ولكن وثائق كل عصر تاريخى لها طبيعتها الخاصة كما سنوضح من حيث مادة الكتابة وأداتها[١] لكن هناك فرقا أساسيا سبق أن أشرنا إليه وهو أن وثائق التاريخ الحديث المنشورة فى كتب ، إن شككت فيها لجهل ناقلها أو ناشرها أو لقلة نزاهته العلمية ، فما عليك إلّا أن ترجع لأصل الوثيقة من دار الوثائق أو الأرشيف . أما بالنسبة لمعظم وثائق التاريخ الإسلامى الوسيط فالأمر يختلف ، فقد نشر المؤرخون العرب بدءا من ابن اسحق وابن هشام مرورا بالطبرى وابن مسكويه-حتى مؤرخو الدولة المملوكية وغيرها من الدول الإسلامية آلاف الوثائق . . أوامر سلطانية ، وقَفْيَّات ، خطابات متبادلة . . الخ لكن الغالبية العظمى لهذه الوثائق ليس لها أصول بين أيدينا ، لذلك فالحكم عليها متوقف على مدى ثقتنا فى المؤلف ، والوثيقة فى هذه الحالة مثلها مثل الرواية العادية تخضع للنقد والتحليل والترجيح لكن ليس لدينا وسيلة مادية حاسمة للتأكد من صحتها على نحو ما نفعل فى وثائق التاريخ الحديث أو وثائق التاريخ الوسيط والقديم التى بين أيدينا نسخها الأصلية،نستطيع أن نذهب بها للمعمل ونحدد عُمرها بالوسائل العلمية ، ونقارن أختامها والتوقيعات عليها ، ونقارن كتابتها بنوع الكتابة فى ذلك العصر وما إلى ذلك فمثل هذه الوسائل المادية ذات نتائج حاسمة لا تقبل الجدل .

وهذا يوضح أن الباحثين فى مجال التاريخ الوسيط الإسلامي يتعبون تعبا شديدا فى تحقيق المسائل الخِلَافِيَّة لعدم وجود الوثائق الأصلية فى معظم الأحوال . وليست الوثائق بأعز على أصحاب الغرض من حديث الرسول عليه السلام الذى تعرض لحملة أكاذيب

(١) انظر ما كتبناه عن النقد المادى للوثائق فى الصفحات التالية .

ووضع شرسة لتحقيق أغراض سياسية وشعوبية لولا أن هيَّأ الله له رجالا بحثوا فيه وسنوا فى بحثهم منهجا مازلنا نترسم خطاه حتى اليوم .

لكن هذا لا يعنى أنه لا توجد وثائق أصلية منتمية للعصور الاسلامية . إذ الواقع أن عدداً كبيراً من هذه الوثائق لازال موجودا ،لكن أماكن وجوده ليست عادة هى دور الوثائق والأرشيفات وإنما المحاكم (خاصة وثائق الوقف) والمتاحف (خاصة التى تهتم بالتراث الاسلامى) .

وتحتفظ وزارات الأوقاف ودواوينها فى العالم العربى والإسلامى بكثير من وثائق الوقف الذائعة الصيت والتى تنتمى إلى العصر الوسيط والدولة العثمانية . وتوجد أيضا وثائق من هذا النوع وغيره فى المديرية العامة للأوقاف فى أنقره كما يوجد كثير من وثائق الوقف والسجلات القضائية فى بعض المحاكم الشرعية بما لها من أهمية كبيرة فى دراسة التاريخ الاجتماعى والعمرانى . . . »[1] » .

ووثائق الوقف تشير لكثير من المظاهر الحضارية فى العالم الاسلامى ، فالوقف كثيرا ما يُخَصص للإنفاق على البيمارستانات ومدارس الأيتام وعمران المساجد وعتق الأرقاء والإفراج عن المسجونين وما إلى ذلك . ووثيقة الوقف غالبا ما تقدم وصفا للبيمارستان أو المدرسة أو المسجد . . وذلك كله يعين المؤرخ على تقديم وصف حضارى ذاخر بالتفاصيل . .[2]

ويذكر الباحثون أن العصر المملوكى بالذات يتميز بكثرة وثائقه التى ما زال جزء كبير منها موجودا .

وبعض وثائق العصر المملوكى لا توجد فى إدارات الأوقاف والمحاكم وإنما توجد فى المكتبات وذلك مثل **المكتبة الظاهرية بدمشق**[3] .

وبعض الوثائق الإسلامية مكتوبة على البردى ، إذ عثر الباحثون على برديات تُعطى دلالات حضارية عن حياة المصريين الاجتماعية والاقتصادية فى ظل الحكم الاسلامى فى

---

(١) ابراهيم ، عبد اللطيف : وثائق الوقف على الأماكن المقدسة . نشره ضمن بحوث مصادر تاريخ الجزيرة العربية . الرياض . جامعة الرياض ، ١٩٧٧ (١٣٩٧) حـ ١ . ص ٢٥١ .

(٢) ابراهيم ، عبد اللطيف : المرجع السابق . ص ٢١٥ .

(٣) ابراهيم ، عبد اللطيف : المرجع السابق . ص ٢٥٥ .

عهد الدولتين الأموية والعباسية . وتُحدد هاتين الدولتين لأن البرديات المعروفة الآن تغطيهما وإن كان هذا لا يمنع اكتشاف برديات أقدم من ذلك فيما بعد .

والوثائق البردية الخاصة بمصر « تنقسم إلى قسمين : قسم مكتوب باللغة اليونانية قام الأستاذ بل H.G.Bell بنشره ، وهى موجودة فى الجزء الرابع من مجموعة أوراق البردى المحفوظة فى المتحف البريطانى فى لندن وقسم مكتوب باللغة العربية ، قام بنشره الأستاذ أدولف جروهمان Adolf Grohmann أستاذ اللغات السامية وتاريخ الحضارة الشرقية فى الجامعة الألمانية فى براج (القاهرة ١٩٣٤) وحوى عددا وفيرا من أوراق البردى ومجموعة من الألواح ، وقام بترجمته من الانجليزية إلى العربية الأستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن ، وهو من الكتب الجديرة بالقراءة والدرس . »(١)

---

(١) حسن ، على ابراهيم : استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ الاسلامى العام وفى التاريخ المصرى الوسيط . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٠ . ط ٣ . ص٥٤ .

النقد المادى للوثيقة أو الأثر الكتابى

١ - دراسة مادة الكتابة (حجرا أم رقًا أم ورقا . . الخ) وأداتها (مسمارا أم قلما بأنواعه وأشكاله المختلفة) والأصباغ أو الأحبار ، كل أولئك يُعتبر وسيلة أساسيَّة فى التحقّق من صِحَّة الوثيقة أو الأثر الكتابى ونِسْبته لعصره . لهذا فإنه يتحتّم علينا أن نعرف أدوات الكتابة ومادتها عبر التاريخ على نحو موجز[١] .

٢ - لقد كانت الكتابات الأولى عبارة عن صور فجَّة Crude Picture محفورة على الصخور والأحجار ولحاء الشجر والمعادن والصلصال أو أى مادة أخرى متوفّرة . وبعض هذه المخطوطات القديمة يُمكن تفسيرها وإن لم يبق منها إلَّا ما صاغه الإنسان رسوماً على الحجر أو المعدن أو الصلصال ، أما رسوم الإنسان البدائى أو المُغْرق فى القدم التى صاغها على لحاء الشجر أو حتى على جلده هو أى جلد الإنسان ، فهذه فَنِيت بِفَناء اللِّحاء والجلد البشرى .

٣ - وفى الفترة من ٣٦٠٠ قبل الميلاد إلى ٢٣٥٧ قبل الميلاد ازدهرت الحضارة السومرية فى دجلة والفرات . وفى حوالى سنة ٣١٠٠ قبل الميلاد بدأ المؤرخون السومريون فى تسجيل وقائع التاريخ السومرى المعاصر لهم وتصور ما مر عليهم من حقب تاريخية ، وطريقة السومريين فى الكتابة هى أقدم طريقة عُرفت حتى الآن ، وطريقة السومريين هذه ربما كانت أعظم إسهامات السومريين فى الحضارة ، وكلمة إسفينى أو مسمارى Cuniform التى تصف أسلوب الكتابة السومرية مشتقَّة من اللفظ

---

(١) اعتمدت فى كتابة هذا المبحث على ترجمتى لكتاب جين كى جيتس : دليل القارىء والباحث فى الكتب والمكتبات . والفصل الأول من هذا الكتاب خصب جدا فى مجاله فمن أراد مزيدا من التفصيل عن النقد المادى للوثائق فليرجع إليه .

جيتس ، جين كى : دليل القارىء والباحث لاستخدام الكتب والمكتبات . ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ . الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٩٧٩ (١٣٩٩ هـ) ص ١٦ - ٥٧ .

اللاتينى Cuneus وتعنى وَتَد أو إسفين . وكانت المادة التى يكتب عليها السومريون هى الطين غير الناضج أو الطين اللين Soft أما أداة الكتابة فهى قلم يأخذ شكل الإسفين أو الوتد أو المسمار غالبا ما يكون مصنوعا من المعدن أو العاج أو الخشب.وعندما كان الكاتب ينتهى من كتابته فإنه يترك الطين غير النضيج الذى يكتب عليه حتى يجف ويصير يابسا كالحجر .

وهذه القطع من الطين الجاف تكون صغيرة بالقدر الذى يستطيع الكاتب معه أن يحملها فى يده . **وهذه القطع من الطين الجاف هى الكتب الأولى**.

ولقد انتقلت الحضارة السومرية إلى بابل فى الحوض الأدنى لميزوبوتاميا (العراق القديم) تلك الحضارة التى استمرت حتى سنة ٦٨٩ قبل الميلاد والتى قدمت للبشرية حمورابى وتشريعاته القانونية الشهيرة . وكان البابليون يستخدمون نفس مادة الكتابة عند السومريين ونفس الأداة المسمارية . على أن كثيراً جداً من هذه الكتابات المسمارية لم تصمد أمام عوادى الزمن ، وإن نجا منها قدر لا بأس به استطاع مؤرخو العصور القديمة أن يكّونوا من خلاله صورة لطبيعة العصور وروحه .

ومن بين الألواح الهامة والتى لازالت باقية حتى اليوم قانون حمورابى Code of Hammorabi وهو محفوظ الآن فى متحف اللوفر فى باريس ،وكذلك ملحمة جلجامش Gilgamish Epic وهى جزء من قصة البابليين مع الطوفان .

٤ – أما المصريون القدماء الذين انتعشت حضارتهم فى وقت مزامن للحضارات السومرية والبابلية والأشورية ، فقد استخدموا مواد أخرى للكتابة إذ كانت أوراق البردى Sheet of papyrus هى الأكثر شيوعا.وأقدم كتابات المصريين ترجع إلى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، وكانوا يكتبون بأقلام هى عبارة عن أغصان معالجة بطريقة خاصة . ولم يكن البردى هو المادة المثلى للكتابة فقد كان عرضه للثقب أثناء إعداده للكتابة كما كان عرضة للتشقق حال جفافه وكان هناك احتمال أن تفسده المياه . ومع هذا فإن أوراق البردى كانت مقبولة للكتابة فى منطقة حوض البحر المتوسط القديم . بل لقد ظل البردى يستعمل كمادة للكتابة حتى سنة ١٠٢٢ بعد الميلاد تقريبا . وكان شكل الكتاب أو الوثيقة فى مصر القديمة هو اللفافة Roll.وعادة ما كانت اللفافة تتراوح ما بين ٢٠ قدم طولا و١٢ بوصة عرضا ، وكانت اللفافة تصنع من جملة أوراق بردى يتم توصيل نهاياتها مع بعضها .

أما الحفر المقدس على الأحجار فقد كانت تستخدم فيه الكتابة الهيروغليفية .

وهناك برديات كثيرة تعد مصدراً أساسيا لبعض مراحل التاريخ الإسلامى خاصة أحوال المصريين أيام الدولتين الأموية والعباسية .

أما الفينيقيون فقد استخدموا أيضاً أوراق البردى وكانوا يستوردونه من مصر ويتاجرون به فى مِنْطقة البحر المتوسط .

٥ – أما الصينيون فقد عرفوا الكتابة فى الألف الثالثة قبل الميلاد وكانوا يكتبون على العظام وظهور السلاحف وسوق البامبو والأقراص الخشبية والحرير وقطع الكتان وكانوا يستخدمون الأقلام المدببة الأطراف والأقلام التى فى نهاياتها فرشاوات وريش الطيور Quill .

٦ – وفى بداية الألف الثانية قبل الميلاد كانت كريت مركزا لحضارة متطورة للغاية حيث انتشرت هذه الحضارة الكريتية فى بلاد اليونان ، وبعد وفاة الاسكندر سنة ٢١٣ قبل الميلاد وحتى الغزو الرومانى شهدت المنطقة حضارة عرفت بالحضارة الهيلينستية Hellenistic.وما يهمنا فى هذا المجال هو أن هذه الحقبة الحضارية شهدت إلى جانب أوراق البردى المستوردة من مصر ، الحجارة والبرونز بالإضافة إلى الأقراص الخشبية المطلية بالشمع Wooden Tablets wax Coated بالإضافة إلى استخدام الرق أو الجلد المرقق Parchement والجلد ، ولقد كان استخدام الجلد والرق فى الكتابة مَدْعاة لظهور أقلام من نوع جديد ، لذا ظهر القلم العريض السن Broad Pointed-pen المصنوع من البوص أو ريش الطيور . ولقد كان الرق أقل عُرضة للتلف . ومهما يكن فقد ظل البردى والرق يتنافسان كمادة للكتابة زهاء قرون ثلاثة ، ولم يصبح للرق الغلبة والسيادة إلَّا فى القرن الثالث للميلاد . ولقد كانت الكتب الاغريقية فى شكل لفافة Roll وعلى شكل أقراص خشبية مطلية بالشمع وعلى شكل دفتر Codex وهذا الشكل الأخير كان يأخذ شكلا قريبا جدا من شكل الكتاب الذى نعرفه اليوم ، وإن كان مكونا من عدة أوراق من البردى أو عدة صحاف من الرق . ولم تختلف مواد الكتابة أيام الرومان عمَّا كان موجودا قبلهم .

٧ – بانحلال الامبراطورية الرومانية آذنت شمس الآداب الكلاسيَّة بالغروب وعانت كل المكتبات بما فى ذلك المكتبات التى تضم بين جنباتِها مجموعات كتب مسيحية من

التخريب على يد البرابرة غير أن الأديرة كانت هى المكان الذى حُفِظت فيه هذه الآداب الكلاسية ، كما تطورت هذه الآداب فى الأديرة خلال العصور الوسطى .

وفى النصف الأخير من القرن السادس أصبحت الأديرة مركز كل الدراسات ومراكز لحفظ كل الكتابات الدينية أو العلمانية ، وفى القرن السادس أيضا شهدت قاعات النسخ Scriptoria فى ايرلندا بالذات نشاطا كبيرا محوره نسخ المخطوطات القومية والفنون القومية . وهكذا بدأ تطور الكتاب المخطوط فى أوربا وشهدت هذه الفترة مخطوطات مجودة الخط ذاخرة بالزخارف الجميلة ، ولقد بلغت المخطوطات الايرلندية ذروة جمالها واتقانها فى مخطوط عن الكرة الأرضية كتب فى القرن الثامن الميلادى .

ولقد تميز حكم شارلمان (٧٦٨ - ٨١٤) بالجهود المبذولة لرفع مستوى التعليم مما جعل هذه الفترة فترة ازدهار ثقافى وتعليمى إذ تم إنشاء قاعات للنسخ والمخطوطات فى الأديرة . وفى هذه القاعات التى لا يحصى عددها عبر أرجاء القارة الأوربية نسخت المخطوطات وأعيد نسخها على أيدى الرهبان والناسخين من غير الرهبان .

وعن طريق هذه المخطوطات عرفنا معظم معلوماتنا عن العالم القديم ففى هذه المؤسسات الديرية تم حفظ الإنجيل وملاحم هوميروس وأشعار فرجيل والمسرحيات اليونانية والأعمال العلمية والقانونية والفلسفية لعمالقة مفكرى العالم القديم .

والمواد الرئيسية التى كان يستخدمها الرهبان فى الكتابة هى الرق المجفف وأقلام من ريش الطيور وأنواع كثيرة من الحبر ذات ألوان مختلفة وكان الكتاب يتخذ شكل لفافة أو دفتر .

ولقد كانت مكتبات الأديرة صغيرة فى بادىء الأمر وكانت المخطوطات غالية الثمن ، إذ كان ثمن نسخة الإنجيل المخطوطة تساوى ما يعادل هذه الأيام عشرة آلاف دولار ، كما كان يمكن مبادلة مخطوطة القداس وهو كتاب صلوات ودعاء بحقل من الكروم .

وبظهور الجامعات زاد ازدهار الكتب المخطوطة وأصبحت الجامعات هى نفسها مراكز لنسخ الكتب وبيعها ، وكانت هذه الجامعات تمنح النساخين على الرق والجلد إجازات أو شهادات لتبيان مدى إتقانهم لعملهم .

٨ - لقد شهد عصر النهضة حماسة شديدة لاقتناء الكتب غير أن هذه الحاجة لم يكن من السهل إشباعها عن طريق النسخ اليدوى ، ونتيجة هذه الحاجة الملحة تم تطوير

وسيلة جديدة فى منتصف القرن الخامس عشر . . إنها طريقة الطباعة بالحروف المتحركة Movable types ولقد كان نجاح الطباعة يعتمد على رِخَص تكاليف إنتاج النسخ وعلى توافر الحبر المستخدم ، والمطبعة التى يجب أن تواجه الضغط المتزايد لإنتاج النسخ المطلوبة .

وفى الربع الثانى من القرن الخامس عشر توفر كل ما يساعد على الطباعة فلقد توفر الورق وأضحى رخيصا جيد الصنعة . **ولقد كان الورق قد تم اكتشافه فى الصين فى القرن الثانى** ولكنه كان قليل الاستعمال حتى بين أهل الصين أنفسهم وانتقل الورق إلى أوروبا عبر طرق التجارة **إذ جلبه الأوربيون من بلاد فارس فى القرن الثامن للميلاد وأحله المصريون محل البردى فى القرن التاسع للميلاد** واستخدمه المسلمون فى أسبانيا فى القرن الحادى عشر للميلاد ، وأصبح يصنع فى ايطاليا فى القرن الثالث عشر للميلاد أو حوالى سنة ١٢٧٠ .

وبانتشار الورق هذا الانتشار الكبير وظهور الطباعة بالحروف المتحركة دخلت البشرية مرحلة جديدة .

وهكذا يمكننا القول أن نهاية القرن الخامس عشر هى بداية النهاية لعصر المخطوط الأوروبى وبداية المطبوع إذ حلت المطبعة محل النساخ ، وحل الورق محل الرَّق وما سواه .

٩ - لكن هل يمكن القول أن النقد المادى أو الخارجى للوثيقة أو المطبوع قد انتهى بظهور المطبعة ؟ بالطبع لا ، وإن اختلفت أساليب هذا النقد المادى . فمادة الورق تساعدنا فى نسبة الوثيقة لعصرها ومكانها أحيانا . ففى نهاية القرن الرابع عشر كان **الورق يصنع فى فرنسا وألمانيا من خِرَق الكتان بعد تنعيمها وضغطها بآلات خشبية** ، ثم تكسى بمادة غروية حتى لا تتشرب الحبر أما الأحبار فكانت زيتية .

وواقع الأمر أن سنة ١٤٠٠ تعتبر حدا فاصلا إذ استطاع جوتنبرج أن يطور تكنولوجيا الطباعة بالحروف المتحركة.وكان أول ما طبعه هو ٤٢ سطرا من الإنجيل وذاع صيت هذه السطور الإنجيلية لدرجة أنه أطلق عليها اسم انجيل جتنبرج Gutenberg Bible وكان ذلك بين سنتى ١٤٥٠ و ١٤٥٦ للميلاد.وكان هذا الإنجيل هو أول كتاب يطبع بطريقة الحروف المتحركة.ولقد كانت حروف الكتاب المطبوع فى بادىء الأمر

شبيهة بالحروف اليدوية أى المخطوطة باليد وكانت تترك مسافات للزخرفة وكتابة العناوين الرئيسية باليد ، أما الرسوم التوضيحية فتطبع عن طريق الحفر على الخشب ، وكانت الكتب المطبوعة تسمى Incunabula ولازال هذا الاسم يطلق على الكتب المطبوعة الأولى أو أوائل المطبوعات وهى مشتقة من الكلمة اللاتينية Incunabulum وبحلول عام ١٧٠٠ كانت الكتب تأخذ الشكل الذى نعرفه الآن ، لها صفحة عنوان وبها رسوم توضيحية أحيانا ، ولها صفحة محتويات بل ولها كشافات أو شيء قريب من الكشافات .

١٠ - بقيت مسألة هامة وهو أنه قد توجد كتابات بردية فى عصر الرق وقد توجد كتابات على الرق فى عصر الورق ، وقد توجد مخطوطات فى عصر الطباعة ، وقد توجد كتابات بالقلم البوص (لا زال الخطاطون أو مجوِّدو الخط يكتبون بأقلام البوص حتى الآن) فى عهدنا الحاضر . ومعنى ذلك كله أن المراحل الحضارية قد يتداخل بعضها مع البعض الآخر ، ولا تأتى مرحلة لتجُب أو لتنهى بالضرورة مرحلة سابقة ، وإنما الأساليب أو الوسائل الحضارية قد تتعايش معا . حقيقة قد يكون لإحداها الغلبة والزيوع والانتشار ولكن هذا لا يعنى انتهاء أو موت الوسيلة السابقة انتهاءاً تاما ، فركوب الحمار قائم فى عصر السيارة والسيارة قائمة فى عصر الطائرة . . وهكذا .

لكن العكس غير قائم أو يحتاج لتثبت شديد فوجود مخطوطة ورقية سابقة على الزمن الذى نعرف أن الورق قد اكتشف فيه ، تعنى كشفا جديدا إن صحت نسبتها إلى ذلك العصر ، إن ذلك يعنى تغييرا للحقائق التاريخية الموجودة ، ويعود باكتشاف الورق عُمقا فى التاريخ سنوات أو أكثر . . لذا لابد من التثبت المعملى أو الفحص المعملى لمعرفة التاريخ الحقيقى للوثيقة أو المخطوط فى هذه الحالة ، لمعرفة ما إذا كان مزيفا أم لا ؟

نخلص من كل هذا بحقيقة هامة وهو أن الفحص الشكلى أو المادى للوثيقة أو المخطوط ، من حيث نوع المادة المكتوب عليها وأداتها من أقلام وأحبار تعطينا معلومات مفيدة وصادقة عن صحة الوثيقة ونسبتها لعصرها الذى تنتسب إليه .

١١ - وبالاضافة لكل ما سبق هناك التثبت من الخط ، أو انتماء الخط للعصر الذى كتب فيه والمنطقة التى كتب فيها فالخط المغربى غير الخط المشرق . وللمصريين وأهل الجزيرة بعض الخصائص الإملائية تختلف عن تلك التى يتبعها السوريون . . وهكذا والخط العربى مر بمراحل زمنية كان غير منقوط فنُقِط . . ووضع هذه الاعتبارات فى

ذهن الباحث تساعده على تحديد مدى صحة الوثيقة ، وقد تناولنا ذلك تفصيلا فى غير هذا الموضع .(١)

نقد مضمون الوثيقة :

تناولنا فيما سبق بعض الطرائق المادية للتأكد من صحة الوثيقة وهو ما أسميناه النقد المادى وبيَّنا أن نتائج هذا النقد حاسمة فى الغالب الأعم .

أما نقد المضمون فيستلزم قراءة الوثيقة وتحليل محتوياتها للتأكد من الآتى :

١ - أن أسلوب الوثيقة يتمشى مع الروح العامة لأسلوب العصر الذى كتبت فيه .

٢ - ألا تورد الوثيقة أعلاما أو أسماء لم تكن موجودة زمن كتابة الوثيقة .

ويمكن عن طريق تحليل المضمون اكتشاف ما إذا كانت الوثيقة مزيفة أم لا ؟

وقد ضرب الباحثون والمؤرخون أمثلة عديدة على ذلك .(٢)

الوثيقة بين الأثاريين والوثائقيين :

أوضحنا فيما سبق أن الوثائق من الطراز الأول هى كل المراسلات الرسمية وعقود البيع والشراء والإيجار والاستدانة والمشاركة والتمويل وعقود الزواج وقوائم الأسماء وقوائم الحسابات والوقفيات . . . الخ . وقلنا إن أهمية هذه الوثائق أنها إن صحت فان كاتبيها لم يُريدوا بها شهادة التاريخ ومن هنا يأتى صدقها . وسواء كتبت هذه الوثائق على العظام أو العسب أو الطين غير النضج أو الصخر أو البردى أو الرق أو الجلد أو الورق أو الخشب أو الخشب المطلى بالشمع ، فهى جميعا وثائق .

ولكن لاعتبارات عملية ، لأنه كما سبق أن قلنا يستحيل على الإنسان الواحد بعمره القصير وقدرته المحدودة أن يتخصص فى العلم كله أو التاريخ كله ، **لذلك فقد جرت العادة أن تكون الوثائق المنقوشة على الحجر والمكتوبة على الطين من اختصاص علماء**

---

(١) راجع ما كتبناه فى الباب الثانى عن المخطوطات .

(٢) لمعرفة أمثلة على ذلك يصح الطالب بالرجوع للكتابين التاليين :

(أ) عثمان ، حسن : منهج البحث التاريخى .

(ب) هارون ، عبد السلام : تحقيق النصوص ونشرها .

الآثار ، والوثائق المكتوبة على الجلد والرق والبردى والورق غالبا من اختصاص الوثائقيين . فالاثاريون يهتمون بالنقوش على شواهد القبور والكتابات فى المساجد رغم أنها أحد مصادر المؤرخ الذى يعمل فى مجال التاريخ الاسلامى وغالبا ما يهتم الأثاريون بأوراق البردى أيضا سواء كان مكتوبا عليها وثائق أم كتابات عادية .

وعلى الباحث التاريخى أن يراعى ذلك كله ويضعه فى اعتباره فيراجع ما كتبه الأثاريون والوثائقيون من كتابات متصلة بالعصر أو الفترة التى يؤرخ لها .

تعريف ببعض دور الوثائق فى العالم :(١)

سبق القول أن الوثائق هى المصدر البكر للتاريخ ، ولقد توفرت الوثائق بكثرة خاصة فى مجال التاريخ الحديث والمعاصر . وقد عمدت كثير من الدول إلى تجميع وثائقها فى مكان محدد عرف باسم دار الوثائق القومية أو دار المحفوظات القومية أو الأرشيفات القومية . وعمدت إلى تنظيمها ووضع الفهارس لها وإصدار طبعات ببعض الوثائق الهامة . كما عهدت بعض الحكومات إلى تخريب بعض الوثائق الضارة بسمعتها أو حجبها عن دور الوثائق أو عن القراء والباحثين .

وبعض البلاد ذات التاريخ العريق لديها وثائق مكتوبة تلقى ضوءا على تاريخها الوسيط والقديم كالبرديات المصرية مثلا التى تؤرخ لمصر الفرعونية والاسلامية لكن جرى العرف أن يكون مكان هذه البرديات (الوثائق) هو المتحف وليس دار الوثائق وفى بعض الأحيان تحتفظ بها بعض المكتبات .

وفى السطور التالية إلمامة عن بعض دور الوثائق :

---

(١) اعتمدنا اعتمادا أساسياً فى تعطية هذه الفقرة على ما كتبه محمد أحمد حسين فى كتابه : الوثائق التاريخية . القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٥٤ .

(١)

الأرشيف القومى الفرنسى

Archives Nationales

فى ١٢ سبتمبر سنة ١٧٩٠ صدر قانون بانشاء الأرشيف القومى الفرنسى وكانت نواة وثائقه مجموعة وثائق الجمعية التأسيسية Assenrble Constituante **ورغم هذه الخطوة** الحضارية التى خطتها حكومة الثورة إلّا أنها **أصدرت أمرا بحرق وثائق النبلاء والوثائق** الإقطاعية ، وهى خطوة غير حضارية بلا شك وغير متمشية مع الروح العلمى أيضا .

ومنذ سنة ١٧٩٤ أصبح الاطلاع على وثائق الأرشيف القومى الفرنسى حقا لكل مواطن مع تحفظات سنذكرها فيما بعد .

وقد نقلت كثير من وثائق الأقاليم إلى هذا الأرشيف المركزى ، ولما تضخمت مجموعاته سمح للأرشيفات الاقليمية بالاحتفاظ بوثائقها . وكانت هذه الأرشيفات الإقليمية تابعة لوزارة الداخلية ثم نقلت تبعيتها لوزارة المعارف (التعليم) بعد أن تقلب فى تبعيته قبل ١٨٧٠ بين وزارتى الداخلية والتجارة .

وقد نقل نابليون إلى الأرشيف القومى الفرنسى وثائق من ألمانيا وأسبانيا وبلجيكا والفاتيكان .

وفى دار الوثائق القومية الفرنسية ثلاثة أقسام رئيسية هى : القسم التاريخى ويضم وثائق منذ سنة ١٧٨٩ ، والقسم الإدارى فيضم وثائق من أملاك الدولة وأوامر ملكية وأرشيفات الوزارات خلا الخارجية والحربية -والعدل ، أما القسم التشريعى فيضم القوانين التى أصدرتها الهيئات السياسية منذ سنة ١٧٨٧ إلى الوقت الحاضر بالإضافة لوثائق وزارة العدل .

ولا يجوز الاطلاع على الوثائق التى لم يمض عليها أكثر من خمسين سنة إلّا بإذن من الجهات المختصة على أن وثائق وزارات الخارجية والحربية والبحرية والطيران ومجلس

الوزراء لها وضعية خاصة وتعفى هذه الوزارات من ضم أرشيفها إلى الأرشيف القومى إلّا إذا رغبت هى فى ذلك ولها أن تحتفظ لنفسها بأرشيفاتها الخاصة وقد سمحت وزارة الحربية للباحثين بالاطلاع على وثائقها السابقة على سنة ١٨٤٨ ونقلتها إلى الأرشيف القومى .

مما سبق يتضح أن الباحث فى مجال التاريخ الفرنسى لا يمكنه الاستغناء عن التردد على الأرشيف الفرنسى القومى أو مراسلته وهذا الأرشيف لا يفيد الباحثين فى مجال التاريخ الفرنسى فحسب وإنما الباحثين فى تاريخ أوروبا الحديث عامة فهو يحوى كما سبق القول وثائق ألمانية وأسبانية وبلجيكية وأخرى من الفاتيكان. وكل الباحثين فى تاريخ المغرب العربى الحديث وأفريقيا الناطقة بالفرنسية وسائر المستعمرات الفرنسية السابقة لا يمكنهم كتابة تاريخ حقيقى عن هذه المناطق دون الاستعانة بالأرشيف الفرنسى .

أما الباحثون فى مجال العلاقات الفرنسية بالدول الأخرى كالعلاقات الفرنسية العربية عامة ، أو العلاقات الفرنسية المصرية أو اللبنانية . . . وما إلى ذلك فإن الوثائق الفرنسية بالاضافة للوثائق العربية أو اللبنانية أو المصرية تساعد على خروج البحث بشكل متكامل .

(٢)

دار الوثائق البريطانية

Public Record Office

فى ١٤ أغسطس سنة ١٨٣٨ صدر القانون البريطانى بجعل كل وثائق المملكة تحت إشراف قاضى القضاة كما نص القانون على إنشاء دار وثائق تضم كل مستندات المملكة وسميت The Public Record Office غير أن الدار لم تفتح إلّا سنة ١٨٥٦ بعد أن تم بناؤها الحالى فى لندن (Chancery Lane) ولا يجوز نقل أى وثيقة من مكانها فى الوزارات والمصالح الحكومية البريطانية **إلّا بعد مرور عشرين سنة عليها** .

ولا يمكن فى الواقع لأى باحث فى مجال التاريخ العربى الحديث أن يستغنى عن الرجوع لهذا الأرشيف وكذلك الباحث فى تاريخ المستعمرات البريطانية السابقة .

وقد لاحظ المؤلف أثناء مراسلته للأرشيف البريطانى أن كثيرا من الوثائق قد تم التخلص منها لسبب أو لآخر فعند طلب بعض الوثائق خاصة فى مجال النشاط الإرسالى أو التبشيرى أو الأوضاع الاقتصادية للدول الافريقية فى القرن التاسع عشر كان الجواب أنها – أى هذه الوثائق قد تم التخلص منها (Damged) .

(٣)
الأرشيف الأمريكى القومى

يعتبر الأرشيف القومى الأمريكى الذى أنشىء بقرار من الرئيس الأمريكى سنة ١٩٣٣ هو أكثر دور الوثائق تنظيما وأخذا بالتقنيات الحديثة . ويُصْدر الأرشيف مرجعين أساسيين هما :

- National Archives Guide
- Your Government Records in the National Archives.

وهناك وثائق يحظر الاطلاع عليها وتلك قسمتها لوائح الدار إلى ثلاثة أنواع :

١ – وثائق سرية للغاية Top Secret وفى نشر هذه الوثائق أخطار كبيرة على الدولة .

٢ – وثائق سرية وهى أقل خطورة من السابقة .

٣ – وثائق نشرها يضر بحقوق الأفراد والدولة . بالإضافة إلى وثائق لا يطلع عليها إلا باحثون لهم مستوى عال .

وقد حاول المسئولون فى الأرشيف القومى الأمريكى أن يوسعوا من دائرة مقتنياته فأصبح يضم وثائق عن التاريخ الأوربى والعربى .

ودار الوثائق الأمريكية تفيد فى المقام الأول فى التأريخ للولايات المتحدة وبريطانيا كما أن الدار تذخر بالوثائق عن دول أفريقية ، وليس أدل على ثراء هذه الدار أن أحد الباحثين المصريين حصل منها على وثائق هامة وكثيرة عن جهود مصر الكشفية فى أفريقيا فى القرن التاسع عشر ، كما حصل منها باحث آخر على وثائق عن ليبيريا[١] .

---

(١) حصل الزميل الدكتور سيد نصر على وثائق هامة كانت عماد رسالته عن جهود مصر الكشفية ، كما حصل أخى وصديقى صلاح أبو زيد على وثائق عن ليبيريا لرسالته للماجستير من دار الوثائق الأمريكية .

(٤)
الدفترخانة أو دار المحفوظات المصرية بالقلعة
(أخيرا دار الوثائق القومية)

تقع فى القاهرة فى حى القلعة وقد تم انشاؤها سنة ١٢٤٤ هـ وقد كان النظام الادارى يقضى بأن تظل الدفاتر والسجلات بيد النظار والباشكاتب والمباشرين فى المأموريات والبنادر ودواوين المحروسة ، وكان هؤلاء حينما يعزلون أو ينقلون يأخذون معهم وثائقهم ، وقد نشأ عن هذا اضطراب الأعمال الأمر الذى جعل محمد على يفكر فى انشاء الدفترخانة ، وقد كان الغرض هو أن تجمع فى مكان واحد سجلات جميع الأقاليم والدواوين المحفوظة فى بعض الأماكن وعند الباشكاتب حتى تصان من التلف ويرجع إليها عند الحاجة[١] .

وتعتبر دار الوثائق المصرية من أغنى دور الوثائق فى العالم فى مجال التاريخ الاقتصادى أو النشاط الزراعى بالذات نظرا لطبيعة الدولة المصرية فهى ، تضم دفاتر صيارف القرى ودفاتر الشونة ومكلفات الأطيان بالاضافة إلى دفاتر الدواوين . وفى دار المحفوظات قسم ضخم للوثائق التركية وهو قسم هام جدا يشمل وثائق تؤرخ للادارة التركية فى مصر وفى البلاد العربية أيضا . والجدير بالذكر أن دار الوثائق المصرية تضم مجموعة ضخمة عرفت باسم وثائق الحجاز تؤرخ للجزيرة العربية منذ بدء الحركة الوهابية . كما توجد وثائق متعلقة بالسودان منذ امتداد الادارة المصرية له ، ووثائق تؤرخ لأوغنده والصومال والحبشة ، ذلك أن النفوذ المصرى كان قد امتد إلى هذه المناطق جميعا .

ونظرا لعمق العلاقات المصرية بالعالم العربى فقلما نجد دولة عربية ليس لها وثائق تؤرخ لها فى دار الوثائق القومية .

ومما يؤسف له أن الدار المصرية رغم أنها تذخر بهذا الفيض الهائل من الوثائق التاريخية إلّا أن استخدامها للنظم الحديثة فى فهرسة الوثائق وتلخيصها وتصويرها تحول دون الاستخدام الكامل لهذا الفيض الهائل من الوثائق وذلك عكس دور الوثائق الأمريكية والفرنسية والبريطانية التى تستخدم الميكروفيلم وغيره من الوسائل الحديثة .

---

(١) حسين ، محمد أحمد : الوثائق التاريخية . ص ٦٩ .

وفى مصر مجموعات ضخمة من الوثائق المكتوبة على البردى والرق والجلد والورق المقوى موزعة بين دار الكتب المصرية والمحاكم وهى وثائق هامة تؤرخ لمصر الاسلامية . ويذكر الدكتور على ابراهيم حسن[1] أن « هذه الأوراق البردية هى مصدر هام لتاريخ مصر الإسلامية لا يستطيع مؤرخ وصف الحياة العامة فى مصر وصفا دقيقا دون الرجوع لهذه الأوراق التى أخرجت من أرض مصر .

وأوراق البردى الخاصة بمصر تنقسم إلى قسمين : قسم مكتوب باللغة اليونانية قام الأستاذ بل H.G. Bell بنشره وهى موجودة فى الجزء الرابع من مجموعة أوراق البردى المحفوظة فى المتحف البريطانى بلندن ، وقسم مكتوب باللغة العربية قام بنشره أدولف جرومان Adolf Grohman أستاذ اللغات السامية وتاريخ الحضارة الشرقية فى الجامعات الألمانية فى براغ وقد نشر كتابه هذا فى القاهرة سنة ١٩٣٤ وحوى عددا وفيرا من أوراق البردى ومجموعة من الألواح وقام بترجمته إلى العربية الدكتور حسن إبراهيم حسن وهو من المراجع الجديرة بالدرس .

قراءات مقترحة

(*) حسين ، محمد أحمد : الوثائق التاريخية . القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٥٤ .

وهو الكتاب الوحيد بالعربية فيما أعلم الذى يقدم تعريفا مقبولا لبعض دور الوثائق التاريخية فى العالم ، وقد شغل مؤلفه رحمه الله وظيفة مدير لدار الكتب المصرية ، كما قام بتدريس الوثائق وتاريخ الكتب والمكتبات لطلبة قسم الوثائق والمكتبات بجامعة القاهرة .

---

(١) فى كتابه استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ الاسلامى العام . . . ص ٥٤ .

ثانيا : المسكوكات

NUMESMATICS

وأهم المسكوكات هى النقود أو العملة ، ولتبيان المعلومات الهامة التى يمكن أن نحصل عليها من النقود المسكوكة نضرب مثلا معاصرا :

لنتناول ريالا سعودياً مثلا ، سنجد عليه عدة معلومات تاريخية فى غاية الأهمية[1] .

وجه (١) :

- السنة الهجرية ١٤٠٠
- قيمة العملة : ١٠٠ هلله بالرقم العربى والأوربى .

وجه (٢) :

اسم جلالة الملك .

اسم الدولة : المملكة العربية السعودية .

فى الوسط : سيفان متقاطعان ونخلة .

مادة العملة :

سبَكة أو خَلْطة مَعْدنية قوية بها نسبة من الفضة .

ماذا يعنى هذا ؟ أنه فيض من المعلومات التاريخية يمكن كتابتها على النحو التالى :

والمملكة العربية السعودية دولة اسلامية اتَّخذت من السيف رمزا تاريخيا لها . وتحتل النخلة مركزاً هاماً فى اقتصاديات البلاد فيبدو أن المملكة السعودية من أول الدول المنتجة للتمور ، وفى سنة ١٤٠٠ هـ كان يتولى هذه الديار جَلالة الملك خالد بن

---

(١) عملة سعودية متداولة فى السوق .

عبد العزيز وكان الاقتصاد فى عهده مزدهرا منتعشا بدليل أن الريال موضوع الدراسة حسن السبك خلطته المعدنية قوية . ربما فاقت قيمته الذاتية أكثر من الريال ، والمملكة العربية السعودية تستخدم التاريخ الهجرى تاريخا رسميًا للدولة مما يدل على تَمَسّكها بالوجه العربى والإسلامى . أليست كل هذه المعلومات الدقيقة والهامة موجودة على الريال الذى بين أيدْينا ؟

نضرب مثالا بعملة أو مَسْكوكة أخرى ، مائة فلس كويتية :

الوجه (١) :

- صورة سفينة شراعية .
- التاريخ بالهجرى والميلادى .

الوجه (٢) :

- قيمة العملة .
- اسم الكويت باللغة العربية للأعلى .
- اسم الكويت KUWAIT باللغة الانجليزية للأسفل .

والآن لنصغ هذه المعلومات القيِّمة حقائقَ تاريخيَّة .

الكويت دولة بحرية أو يلعب البحر دورا هاما فى حياتها (رمز السفينة) ويلاحظ أن قيمة العملة الكويتية مكتوبة بالعربية والانجليزية وكذلك اسم الكويت يبدو أن عددا كبيرا من الأجانب يعيشون فى هذا البلد . وتتمتع الكويت باقتصاد قوى .

ووجود العملة الكويتية بكثرة فى البنوك السعودية أو وجود الريالات بكثرة فى البنوك الكويتية يدل على تبادل تجارى متين .

طبعاً هذه المعلومات لَيْست جديدة بالنسبة للطالب لأنها معلومات معاصرة لكن بعد مرور ألف سنة أو يزيد فإن هذه المعلومات تعتبر بالنسبة للباحث التاريخى معلومات أساسيَّة وجوهريَّة وصادقة عن وضع المملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٠ هـ وهى أصدق ما يجده فى الكتب المؤلفة[١] .

---

(١) عملة كويتية متداولة فى السوق .

وقد أمكن للمؤرخين عن طريق قطعة نقود ضربت فى القاهرة أن يعرفوا أن قلاوون اتَّخَذَ لنفسه لقب « قسيم أمير المؤمنين » ولم يكن أحد يعرف قبل ذلك أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون اتخذ لنفسه هذا اللقب كما أن المراجع التاريخية التى وصلت إلينا لم تُشر لذلك وثبت عن طريق دراسة السكَّة الهندية أن نفوذ الخليفة المستكفى بالله قد امتد فى سنة ٧٢٦ (١٣٢٦ م) على بلاد الهند إذ منح محمد بن طغلق حاكم دلهى (دهلى) تفويضا بالحكم كان له أكبر الأثر فى تدعيم سلطانة[1] .

والواقع أن العملة الاسلامية تُعد من أهم مصادر التاريخ الاسلامى . وحتى إذا ما اثبت الباحث أن أمة ما أو دولة ما أو جماعة ما لم يكن لها فى وقت من الأوقات عملة ، أو كانت تستخدم عملة غيرها فإن ذلك أيضا لا يخلو من دلالة تاريخية .

والثابت أنَّ عرب الجاهلية لم يسكُّوا النقود وإنَّما استعملوا نقود من جاورهم من الأمم كالدنانير البيزنطية والدراهم الساسانية بالإضافة للسكة الحِميرية ، وهذه وتلك كان العرب يجلبونها معهم ويتعاطونها فى أعمالهم التجارية فى رحلاتهم للشمال والجنوب ، أو ترد إليهم مع من يقدم من تجار بيزنطيين أو يعيشون فى أملاك الدولة البيزنطية ، ومع تجار ساسانيين أو يعيشون فى كنف الدولة الساسانية . .

وكان الدينار البيزنطى مستديراً يحمل أحد وجهيه صورة الإمبراطور البيزنطى (وُجِدَت دَنانير بيزنطيَّة عليها صورة هِرقل ودنانير أخرى عليها صورة هرقل وعن يمينه ابنه هِرْقِليوناس وعن يساره ابنه قُسْطَنطين) ويتوج رأس الامبراطور صَلِيب . وعلى وجه الدينار الآخر يوجد الصليب يَعْلو مُدرَّجات أرْبع محفوفاً ببعض الدعوات بالإضافة لمكان السَكِّ أو الضَرْب بالأَحرف اليونانيّة واللاتينية معا . **وظَلَّت هذه الدنانير مُستعملة إلى أنْ عرَّبها نهائيا عبد الملك بن مروان** (٦٥ - ٨٦ هـ) وهذا لا يمنع الرواية القائلة بأنَّ معاوية بن أبى سفيان (٤١ - ٦٠ هـ) سَكَّ دنانير عليها صُورته ، ولكن ربما كان ذلك على نحو محدود[2] .

وكانت دنانير عبد الملك عربية خالصة لا تحوى أىّ رمز يُناقص المُعْتقد الإسلامى أو يُوميء لتأثير مسيحى .

---

(١) حسن ، على ابراهيم : المرجع السابق . ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢) الحسينى ، محمد باقر . العملة الاسلامية فى العهد الاتابكى . بغداد - مطبعة دار الجاحظ ، ١٣٨٦ (١٩٦٦) ص ١٥ - ١٦ .

أما الدراهم الساسانية والتى عرفها عرب الجزيرة قَبْل الإسلام وفى فجره فكانت عبارة عن قِطَعْ مستديرة من الفِضَّة على أحد وجهيها صورة كِسْرى وعلى الوجه الآخر حارسان بينهما مَعْبد النار وعلى الأطراف الخارجية للدراهم ثلاثة أهِلَّة أو أربعة دَاخلها نجوم .

وَيَعْمد بعض المؤرخين إلى الكذب خاصة عندما يتناولون شخصية لا يميلون إليها ومن ذلك أنَّ بَعْض المؤرِّخين زعموا أنَّ الحجَّاج بن يوسف الثقفى سَكَّ دراهم فى العراق كتب عليها (قل هو الله أحد هُو الحجاج) ولكنَّ أحد الباحثين العِراقيين أجرى دِرَاسةً حَازَ بها على درجةِ الماجستير عن النقودِ والمسكوكاتِ العربية فى العراق وقد أثبت أن « الداراسات العِلْمية للنقود فى المتاحف أو المجموعات الخارجيَّة لم تثبت صِحَّة ذلك »[١] .

وعلى العموم يرجع المؤرخون تاريخ تعريب الدراهم إلى سنة ٧٩ هـ تقريبا ويرجع سرعة تعريب الدراهم عن الدنانير إلى أنها أقل قيمة كما أن الموكول بسكِّها هم أمراء المقاطعات أو الولاة والدراهم كانت فضية وتحمل أسماء الولاة الذين ضربوها .

أمَّا عن الفِلْس النُحَاسِى فقد كان عمر بن الخطاب أوَل من سَكَّه ووصلنا فلس عليه اسم عمر وكان هذا سنة ١٧ هـ تقريبا .

هذه إلْمامة يَسِيرة عن العُملة كمْصدر للتاريخ والواقع أن الباحث فى التاريخ (الوسيط خاصة) لا يمكنه الاستغناء عن هذا المصدر الهام .

والواقع أن الباحث يْمكنه أن يكتب تاريخا كاملاً مُسَلْسَلا زمنيا على نحو دقيق بالاضافة لكثير من الإشارات الحضارية والثقافية إذا كان بين يديه سِلْسلة مُتكاملة ومتعدّدة من المسكوكات . ومن المحاولات الطريفة التى طالعتها حديثا دراسة تتسم بالجدة ، وهى تلك الدراسة التى كتبها كورنيليوس فيرميل **CORNELIUS VERMEUIE** تحت عنوان :

Numismatic Art in America,Aethetics of the United States Coinage[٢]

---

(١) نفس المرجع . ص ٢٥

(٢) يمكنك الاطلاع عليه فى المكتبة المركزية (جامعة الملك سعود) تحت رقم تصنيف **737.4573** وهو نفس الرقم الذى قد يوجد عنده الكتاب فى أى مكتبة أخرى . فأرقام التصنيف تدل على موضوع الكتاب وهى موحدة تقريبا فى مكتبات المملكة العربية السعودية بل وغالبا فى كل مكتبات العالم العربى . راجع ما كتبناه فى الباب الثانى تحت عنوان فرعى : مراجع التاريخ فى المكتبات .

وقد أورد المؤلف مجموعات كبيرة من النقود الأمريكية (وصورها فى الكتاب واضحة) وشرحها وعلّق عليها وذكر دلالة رموزها الثقافية ، وترتيبه لقطع العملة تاريخيا غالبا .

ومن الكتب الأساسية فى التدريب على قراءة المسكوكات العربية كتاب Richard J.Plant والمسمى : Arabic Coins & how to read them وواضح من عنوان الكتاب أنه كتاب مَبْدئى ، لذلك يُنصح كل الباحثين الذين يتعاملون للمرة الأولى مع المسكوكات العربية أن يرجعوا إليه ، وهو كتاب صغير الحجم (١٤٨ ص) وبه ما لايقل عن ٣٠٠ شكل توضيحى[١] .

هذا بالنسبة للنقود المسكوكة أو المَعْدنية أم النقود الورقية فيذهب بعض الباحثين إلى أن المسلمين لم يعرفوا النَقّد الورقى ولا النقد الخَطّى ، فقد نشأ البنكنوت فى القرن السادس عشر على أيدى الصيارفة فى إيطاليا والصياغ فى انجلترا وتمّتعت أوراقه بالقبول العام فى تسوية الالتزامات خلال القرن التالى ، الأمر الذى عبد الطريق للحكومات لإصدار نقودها الورقية فى العصر الحديث[٢] .

والواقع أن مسلمو آسيا الوسطى عرفوا النقود الورقية منذ وقت طويل ويوجد فى المتحف البريطانى بَعْض هذه النقود المغولية الورقية ترجع للقرن الثالث عشر للميلاد . وبعض النقود الورقية المتداولة فى آسيا الوسطى فى القرن الثالث عشر وما بعده كان يكتب عليها (لا إله إلّا الله محمد رسول الله) بل إن شيوع النقد الورق (كان معمولا من ورق التوت بشكل متقن ومُصَدَّرة بختم وامضاء الموكلين بعملها وعليها الختم الرسمى للسلطان وتكتب بالحبر الأحمر) فى آسيا الوسطى أدّى إلى قبوله فى العراق بعد الغزو المغولى[٣] .

---

(١) رقم تصنيفه فى المكتبات 737.4956 .

(٢) المصرى ، رفيق : الاسلام والنقود . جدة ، جامعة الملك عبد العزيز ١٩٨١ (١٤٠١ هـ) ص ١٠
وقد قدم هذا البحث فى ندوة اقتصاديات النقود والمالية فى الاسلام التى عقدت فى مكة المكرمة سنة ١٣٩٨ هـ
وما ذهب إليه الدكتور المصرى هناك أدلة وآراء تعارضه كما أوضحنا فى المتن .

(٣) العزاوى ، عباس : المرجع السابق – ص ٣٤ – ٣٨ .

من كل ما سبق تتضح أهمية دراسة المسكوكات عامة والعملة خاصة كمصدر من مصادر التاريخ ، لذا فإن الباحث ينصح دائما بمراجعة قوائم النقود المنشورة فى العصر الذى يؤرخ له ، ومما يؤسف له أن المصنّفين فى المكتبات يجعلون مراجع المسكوكات فى باب الفنون مما يجعل كثيرا من الباحثين لا يهتدون لمكانها ولتثبيت موضع هذه الكتب فى أذهان الباحثين نورده هنا (٧٣٧,٤) كما نورد هنا بعض مراجع المسكوكات الهامة :

١ - « المسكوكات الاسلامية التركية » نشر المتحف التركى فى اسطنبول ويعلم الباحث أن عشرة أجزاء صدرت منها ، وربما ظهرت أجزاء أخرى بعد ذلك والمرجع هذا يقدم صورا للعملة ونشراً لمحتوياتها ، مع تعليق وربط بالأحداث التاريخية . والمرجع لا يضم المسكوكات التركية أو العثمانية فحسب وإنما يضم ما هو موجود فى المتحف من مسكوكات ترجع لعصور أقدم . **إنه إذن مرجع أساسى هام لكل الباحثين فى تاريخ الدولة العثمانية** ، وتفيد المسكوكات الأخرى فى التاريخ للعصور التى تعود إليها .

٢ - النقود العربية وعلم النميات للأب أنستاس مارى الكرملى . وقد اهتم بالشق اللغوى وضبط الألفاظ اهتماماً بالغاً .

٣ - « النقود العربية ماضيها وحاضرها » و « صنج السكة فى فجر الاسلام » للدكتور عبد الرحمن فهمى وقد نشر الدكتور العديد من المسكوكات الاسلامية فى مرجعيه هذين وفى مراجع أخرى .

٤ - Soret, F. Jacob: Early Dirhem of the Ommeyade Dynasty

٥ - Lane- Poole; stanlay:

- Catalogue of the Mohammadan coins, Preserved in the Bodleian at Oxford 1688 (oxford) 1888.
- Catalogue of the collection of oriental coins, coins of the Amawi Khalifes. London, 1874.
- Catalogue of the Collection of Arabic coins preserved in the Khedieviol Library at Cairo London, 1897.

متوافرة نسخة فى دار الكتب المصرية

-Catalogue of the oriental Coins in the British museum. London, 1875- 1890.
Walker, John; Catalogue of the Arab Sassanion Coins, London, 1941.
Catalogue of the Arab- Byzantine & Post- Reform Umaiyad coins. London, 1956.
Miles, G.C. : Coinage of the Umayyads of Spain.
2 vois. New york, 1958.

وهذه مجرد أمثلة على المجموعات المنشورة وعلى الباحث متابعة ما سواها فى مظانها وفى مجالات المجامع العلمية والمجالات المتخصصة فى المسكوكات .

ولا تقل المسكوكات أهمية بالنسبة للتاريخ الأوربى ، لكننا ركزنا على التاريخ الإسلامى لأسباب لا تخفى . أما النقود الأوربية المسكوكة فتبدأ كأداة للتبادل التجارى فى وسط إيطاليا . وكان يقيم بالوزن . ومن المحتمل أن البرونز كعملة فى إيطاليا كما فى أجزاء أخرى من أوروبا الجنوبية كان يأخذ شكل الحلقات ورؤوس الفؤوس . وقبل بداية القرن الثالث قبل الميلاد وجدت الأشكال التالية :

١ – تِرْس .

٢ – سيف أو غِمد خِنْجَر .

٣ – حامِل ثلاثى القوائم .

٤ – صولجان Caduceus .

٥ – نجوم .

٦ – نَسْر برونزى .

٧ – فِيل برونزى . . الخ[1]

ثم تتابعت النقود المسكوكة بعد ذلك وقد نُشرت مئات عن العملات التى سادت فى الدولة البيزنطية ، والدولة الرومانية الغربية قبل سقوط رافنا والدولة الرومانية التى أحياها شارلمان وما تلا ذلك من عصور ، فليرجع إليها من شاء فى مظانها .

لكل ما سبق ، ليس بِدْعا أن يذكر أحد الباحثين فى مجال المسكوكات أنه قد بانت لنا بسبب النقود أمور كثيرة فَسَّرت التاريخ وأوضحت بعض نصوصه الغامضة أو مبهماته ، وجاءت بجملة من وقائعه المشهورة . . فولدت فكرة صحيحة ، وعلمنا منها أوضاعا سياسية فأدركنا العلاقة وكل ما أمكن عن طريقها من روابط اقتصادية وصلات اجتماعية .

---

(١) Sydenham, Edward :the Coinage of the Roman Republic. London, Spink, 1952. P. xv

ومن النقود تتجلى ظواهر الدولة ، فنعلم الحالة السياسية ،والمعاملات المدنية ، والعلاقات الشرعية ، والأوزان المعتادة ، والخطوط وتطوراتها ، وسائر وسائل الحضارة مما له اتصال بها ، فهي من أجل آثار المجتمع في عصوره العديدة ولو بطريق الاستنتاج والانتقال الفكري . . .[1] .

---

(١) العزاوي ، عباس : تاريخ النقود العراقية . بغداد ، شركة التجارة والطباعة ، ١٩٥٨ (١٣٧٧ هـ) ص ٥ .

ثالثا : الآثار

الآثار - مثلها مثل الوثائق والمسكوكات - تتميز بأنها فى كثير من الأحيان لم يقصد بها مُنْشؤها أو بانيها أن تكون شَاهداً على التاريخ . وإن كانت هناك آثار كثيرة وضع أصحابها فى اعتبارهم أنها ستكون شاهدا على التاريخ . فَمُشيِّد المسجد الفخم قد يكون قد بناه ابتغاء مرضاة الله وليقيم الناس فيه الصلاة وقد يكون قدبناه وفى نفسه أن هذا الأثر سيكون مُخلِّدا لذكره ، فيتفنن فى بنائه ويغرق فى زخرفته . . إلَّا أنَّ هذا القصد لا يقلل فى الواقع من دلالة الأثر ، فهو يدل على مدى ما وصلت إليه فنون البناء فى حينه ، وإذا كان بانى المسجد أحد الحكام أو السلاطين فغالبا ما يُنقش على صخور المسجد تاريخ بنائه واسم الحاكم أو السلطان وربما اسم المهندس المصمم أو كبير البنائين لهذا فان الكتابات والنقوش فى المساجد وعلى التحف والأحجار والمعادن والأخشاب والزجاج ، تَعد من المصادر الهامة لدراسة التاريخ الإسلامى إذا تأكَّدنا من نسبتها لعصرها .

والمتاحف فى الغالب الأعم هى المكان الطبيعى لهذه الكتابات الأثرية[1] ومن الناحية العملية ، ولاتساع المعرفة البشرية ، تخصَّص بعض علماء الآثار الاسلامية ، وأساتذة الفنون ، والمتخصصون فى الباليوجرافيا Paleography أو علم تطور الخطوط ، فى هذه الكتابات الأثرية والنقوش ، فَعَكَفوا عليها ينشؤونها ويستخلصون منها ويتثبتون من صحَّتها . لذلك لابد للباحث فى التاريخ الإسلامى من مراجعة كتابات هؤلاء حتى لا يفوته خير كثير . إذ أن الكتابات الأثرية خاصة ، والآثار عامة كثيرا ما تلقى الضوء على حقائق أغفلتها الكتب أو المراجع . .

ومن الأمثلة التى تدل على قيمة هذه الكتابات الأثرية أنه « ثبت لدى المؤرخين أنَّ جامع ابن طولون بدىء فى بنائه سنة ٢٦٣ هـ وتم الفراغ منه وأعد للصلاة سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨) وذلك لوجود تاريخ الفراغ منه فى النقوش التاريخية التى وجدت على

(١) يمكن أن يقوم الطالب بزيارة متحف الآثار التابع لكليته والاطلاع على بعض النقوش والآثار .

لوحة من الرخام مكتوبة بخط كوفى ، عثرت عليها لجنة حفظ الآثار العربية حين كانت تُجرى بعض الأعمال فى الجامع . وكان بعض المؤرخين قد ذهب إلى أنه شرع فى بناء هذا المسجد فى سنة ٢٥٩ هـ (٨٧٢) فكان العثور على تلك الكتابات سببا فى وضع حدٍ لهذا الخلاف »[1] .

ومن الآثار الهامة شواهد القبور أو ما يكتبه أهل الميت على قبر المتوفى للدلالة على المكان أو للذكرى . وفى بعض الأحيان تشير هذه الكتابة النقشية على عقيدة المتوفَّى ومذهبه الدينى ، كما تشير إلى سنة وفاته ، وقد تشير هذه النقوش على الشواهد الحجرية على المحاجر التى كان القَوْم يقطعون منها حجارتهم .

« ولقد كان الأستاذ ماكس فان برشم من أوائل من لفت الأنظار إلى أهمية الكتابات الأثرية العربية بما فى ذلك النصوص الجنائزية وشواهد القبور ، وقد عَكَفَ على جمع هذه الكتابات ودراستها . .

وقد قام بعض الباحثين بعمل سجل جامع لهذه الكتابات ، وحظيت شواهد القبور خاصة بدراسات مستقلة كان من أهمها نشر بعض مجموعات الشواهد بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة .

وكان من جوانب العناية بالآثار فى المملكة العربية السعودية العمل على جمع شواهد القبور من مختلف أنحاء المملكة ، وتم جمع أعداد كبيرة منها حفظت لدى بعض الجهات المعنية بالآثار . نذكر منها إدارة الآثار والمتاحف بالرياض ومتحف الحرم المكى الشريف ، وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة . وكان من نصيب المتحف الأثرى بكلية الآداب بجامعة الرياض حفظ عدد من هذه الشواهد .

وليس من شك فى أنه فى الإمكان الإفادة من هذه الشواهد كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية .

ومن الواضح أن لشواهد القبور دورا مباشرا فى دراسات تاريخية معينة ، مثل دراسة تطور الخط العربى والزخرفة الاسلامية ، لاسيما وأن كثيرا من الشواهد مؤرخ وبعضها يشتمل على أسماء كاتبها .

---

(١) حسن ، على ابراهيم : استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ الاسلامى العام ، ١٩٨٠ . ط ٠٣ ص ٥٨ .

كما أن دراسة الأحجار المستخدمة فى عمل الشواهد ، قد يساعد فى التعرف على المحاجر التى كانت تقطع منها الأحجار فى العصور المختلفة .

ومن جهة أخرى فان الشواهد قد تمدنا بمعلومات وحقائق ، تلقى بعض الضوء على جوانب مختلفة فى تاريخ الجزيرة العربية . ولقد فطن بعض المؤرخين المسلمين القدامى إلى دور الكتابات الأثرية ، بما فى ذلك شواهد القبور ، فاعتمدنا عليها فى أحيان كثيرة .

ومع ذلك فليس من المتوقع أن يزودنا شاهد القبر بتاريخ للأسرات الحاكمة أو تراجم للشخصيات البارزة ، أو وصف لمعركة حربية أو معاهدة سياسية ، على نمط ما تحققه أحيانا الكتب التاريخية ، أو غيرها من المصادر الأدبية أو الوثائق الدبلوماسية التى تتناول هذه الأمور تناولا مباشرا[1] .

لقد ضربنا أمثلة على أهمية الآثار بالنسبة للتاريخى الاسلامى .

أما بالنسبة للتاريخ القديم فهو معتمدا اعتمادا يكاد أن يكون كليا على الآثار فعلم التاريخ القديم صنو علم الآثار أو قرنية .

وفى كل الأحوال لابد من التأكد من تاريخ الأثر ونسبته لعصره سواء بأساليب البحث التاريخى أم بالرجوع للمعمل وقياس زمن الأثر باستخدام الكربون ١٤ .

كما يجب أن يتأكد الباحث أن الأثر فى مكانه الطبيعى ولم ينقل من مكان لآخر لإثبات هجرات مفتعلة أو حقوق تاريخية كاذبة .

الإشارة المرجعية للوثيقة والمسكوكة والأثر

عندما يستفيد الباحث من المعلومات الموجودة فى الوثيقة أو المَسكوكة أو الأثر فانه يتحتم عليه أن يذكر مصدر معلوماته فى هوامش بحثه Footnotes وغالبا ما يكون ذلك على النحو التالى :

---

(١) الباشا ، حسن : أهمية شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية فى العصر الاسلامى ، مع نشر مجموعة الشواهد بالمتحف الأثرى بكلية الآداب جامعة الرياض (الملك سعود) فى : مصادر تاريخ الجزيرة ، الابحاث المقدمة للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية . الرياض ، ١٩٧٧ م (١٣٩٧ هـ) جـ ١ . ص ٨١

١ - بالنسبة للوثيقة : إذا اقتبس الباحث نصًا حرفيا من الوثيقة وجب وضع هذا النص فى متن بحثه بين أقواس « . . . . » ثم يشير لذلك فى الهامش ، فإن كانت الوثيقة غير منشورة بمعنى أن الباحث رجع إليها مباشرة فى الأرشيف أو دار الوثائق فإنه يكتب فى هامشه : اسم الارشيف أو دار الوثائق ، رقم الدفتر أو الملف أو القسم ، رقم الوثيقة الأرشيفى كما وضعه موظفو الأرشيف وسنة الوثيقة أو تاريخها بدقة إن كان ذلك ممكنا وعنوان الملف أو المحفظة إن كان لها عنوان .

أمثلة :

دار الوثائق المصرية . دفتر ١٩١٢ أوامر عمومى ص ٢ . صورة الأمر رقم (٢) فى ٢٤ ربيع أول سنة ١٢٨٢ هـ .

دار الوثائق المصرية . ملف ٥١ دوسيه ٢ جـ ٢ . الموضوع : السودان

- رئاسة مجلس الوزراء ، ص ٧ ، ٨ . محفظة (١) فى الفترة من ١٨٢٠ إلى ١٩٤٨ .

وفيما يلى إشارة لوثيقة حصل عليها الباحث من دار الوثائق البريطانية Foreign office
F.O. 8411452. Kirk to F.O., 4 April 1876.

فى هذه الإشارة ذكر لوزارة الخارجية البريطانية ، ورقم الخطاب ، وإشارة إلى مرسله (كيرك) والمرسل إليه (الخارجية البريطانية) وتاريخ الخطاب (٤ ابريل ١٨٧٦) .

أما إذا كانت الوثيقة قد سبق نشرها . فتذكر المعلومات السابقة مع إضافة عبارة مثل :

(نشرت هذه الوثيقة فى مرجع كذا تأليف فلان) . أو الاستعاضة عن كل ما سبق ويقوم الباحث بالكتابة فى الهامش . نشرت هذه الوثيقة فى المرجع الذى ألفه فلان من المؤلفين . أو الاكتفاء بالاشارة للكتاب الذى نشر الوثيقة على نحو عادى كما نشير لأى كتاب آخر .

٢ - بالنسبة للمسكوكة : إذا كان الباحث هو الذى قرأ المسكوكة مباشرة فى المتحف أو المكتبة دون الرجوع لمرجع نشرها وحلل محتواها فإنه يشير فى الهامش هكذا :

مسكوكة رقم (   ) فى المتحف الاسلامى المصرى أو المتحف العراق . . . أو أى متحف آخر .

أو :

مسكوكة رقم (   ) فى متحف (   ) وهى مؤرخة فى (   ) وهى من (الذهب أو الفضة أو البرونز . . .الخ) . وفى بعض الحالات قد يفرد الباحث ملحقا للمسكوكات التى اعتمد عليها فينشرها ويحللها وفى هذه الحالة يمكن أن تكون الاشارة فى الهامش :

– راجع ملحق المسكوكات . مسكوكة رقم (   )

أما إذا كان الباحث قد رجع للمسكوكات المنشورة والتى سبق أن أشرنا لبعض مجموعاتها ، فإن الإشارة فى هذه الحالة يمكن أن تكون :

– مسكوكة رقم (   ) بتاريخ (   ) فى :

ثم يكتب اسم المجموعة أو الفهرس . والناشر ، وتاريخ النشر ،ورقم الصفحة . إذا أجرى الباحث دراسة معملية لتحديد عمر المسكوكة أو تحديد تاريخها فإن أهمية هذه المعلومات الناتجة تجعلها جديرة بأن توضح فى المتن وليس فى الهوامش .

٣ – أما بالنسبة للآثار فيحسن بالباحث أن يصورُها تصويرا جيدا ويَلحقها ببحثه . وإذا كان الباحث هو أول من يكتشف الأثر أو أول من يستقى منه المعلومات التاريخية فإن أهمية ذلك تجعله جديرا بأن يُشار إليه فى المتن وليس فى الهوامش . أما إذا كان الأثر مصورا ومدروسا فى أحد المراجع فيكفى أن تكون الاشارة المرجعية عادية على نحو ما نشير إلى الكتب .

رابعا : الرّنوك والشّارات والصِنَج

ويقصد بها الأختام والتواقيع والمعايير والأَوْزنة ، وتلك تُفيد كثيراً فى معرفة الأسماء والألقاب ، كما أن بعض الأختام فيه من الإشارات الدينية ما يدل على المعتقد أو المذهب ، كما أن المادة المصنوع منها الختم وطريقة صنعه تُعطى دلالة على المستوى المادّى والنفوذ اللذين يتمتع بهما صاحب الختم ، كما تشير لمستوى الصنعة فى العصر الذى ينتمى إليه الختم .

وكان العرب فى صدر الإسلام يستخدمون الفخّار فى صياغة الختم ، أما الأمويون فقد استخدموا الشَمع .

وتوجد فى متاحف البلدان العربية كثير من الأختام والشارات والصنج ، وقيام الباحث بالاطلاع عليها يُعد من الأمور الهامة[1] .

أما الصِنَج فتعنى العِيار والوزن ، وكانت مسئولية ديوان الخراج فى العصور الإسلامية إصدار الصنوج . وعلى الصنوج كتابات عربية تفيد كثيرا فى مجال تطور الخط العربى ، كما أن دراسة الصنوج هذه تفيد كثيرا فى مجال التاريخ الاقتصادى الذى أضحى فرعا مهما للدراسات التاريخية .

---

(١) قام السيد أسامة ناصر النقشبندى والفاضلة حياة عبد على الحورى بنشر مجموعة الأختام الموجودة فى المتحف العراق مع مقدمة عن الأختام فى الاسلام وذلك فى مطبوع عنوانه : الأختام الاسلامية فى المتحف العراق . بغداد ، وزارة الأعلام ، مديرية الآثار العامة ، ١٩٧٤ (١٣٩٤ هـ) .

الباب الثانى

مراجع التاريخ المؤلفة ، مخطوطة ومطبوعة

- الكتاب المخطوط .
- مقابلة نسخ الكتب المخطوطة .
- الكتاب المطبوع .
- تقويم المرجع .
- ما كتبه الرحالة والجغرافيون .
- فى نسبيَّة المصدر والمرجع .
- الصحافة كمرجع تاريخى .
- كتب التاريخ ومراجعة فى المكتبات العربية والأجنبية .

انتهينا فى الباب السابق من دراسة الوثائق والمسكوكات والآثار باعتبارها مصادر التاريخ الأساسية أو المصادر التى لا تحتمل الكذب ، لأنَّها لا إراديَّة ، أو لأن مُنشئيها لم يُريدوا بها ساعة إنشائِها أنَّها ستكون شاهداً على التاريخ .

ننتقل الآن إلى المراجع أو الكتب التى كتبها المؤلفون وهم على وَعْى كامل بأنك وأنا سنقرأ هذه الكتب ، وهم يَودون أن نقتنع بما كتبوا وأن نَمِيل لآرائهم . إن المؤلف يكتبُ المرجع أو الكتاب وهو على وعى كامل برغبته الحقيقية فى أن يقرأه الناس ويأخذوا بما فيه .

ولأن هؤلاء المؤلفين بشر ، فهم أحْيانا عُرضة للخطأ الذى هو لازمة بشرية وعُرضة للجنوح إلى الهوى وعُرضة لفرض نَظْرتهم للحياة على تفسير الأحداث . . . وما إلى ذلك . لكل هذا وغيره كان من الضرورى **نقد المرجع** أو معرفة ظُروف كتابته وطابع كاتبه وذلك هو موضوع بابنا هذا .

والمراجع التى بين أيدينا الآن امَّا مخطوطة (قبل اكتشاف الطباعة وإن كان هذا لا يمنع من وجود مخطوطات بعد عصر المطبعة) وإما مطبوعة .

والمراجع المخطوطة فى الواقع أكثر أهمية وقيمة بالنسبة للباحث التاريخى لأنها مصادر بِكْر لمَّا يعرفها الناس ، وعادة ما يحثّ الأساتذة المشرفون على رسائل الماجستير والدكتوراه خاصَّة فى مجال التاريخ الإسلامى ، طلَّابهم على الرجوع للمخطوطات أو نشر واحد منها كملحق لرسائلهم ، وأحيانا تكون الرسالة مجرد نشر للمخطوط ، وذلك لسببين :

أولهما : أن المخطوطات تحوى معلومات فى بعض الأحيان لا يعرفها المشتغلون بالموضوع ، ففى نشرها إحياء للتراث ، ونشر لمعلومات جديدة .

ثانيها : تدريب الطالب على قراءة المخطوط والتحقق من صحته .

لقد كان النسَّاخون متوفرين فى العالم الاسلامى خاصة فى القرن لمثانى الهجرى (الثامن الميلادى) وما تلى ذلك ، وكان هؤلاء بديلا عن المطبعة فى عصرنا الحاضر ،

وليس أدل على توفر أعداد كبيرة من النساخين أنه نادراً ما نجد قيام أكثر من خطاط بنسخ مخطوطة واحدة يوزعونها على أنفسهم ، فظاهرة التنسيخ أو النسخ الجماعى Pecia والتى عُرفت فى أوروبا الوسطية كانت ناشئة عن قلة عدد النسَّاخ غير أننا نجد هذه الظاهرة كما سبق القول فى أحوال نادرة بالنسبة للمخطوطات العربية ، كما حدث عند نسخ تاريخ دمشق لابن عساكر وكان فى ثمانين مجلدا إذ اختير لهذا العمل عشرة من النسَّاخين انتهى كل منهم من نسخ ما سُلِّم إليه فى سنتين وهى مدَّة غير طويلة [1] .

والذى لا شك فيه أن عصر المخطوط قد تأخر بعض الشىء فى الحضارة الإسلامية ، فنحن لم نرمخطوطات مؤلّفة فى أوائل القرن الأول الهجرى أو لم نسمع أن كتابا مخطوطا ألف ، بمعنى أن الفهرست لابن النديم وغيره من الكتب التى حاولت حَصْر الإنتاج الفكرى العربى لم تشر لشىء من ذلك ، وذلك يرجع فى جملته لعدة أسباب :

١ - كان العربُ يفضلون التعليم والتعلُّم بالرواية على التدوين فى بداية الأمر ، ولم يكن العرب بِدْعاً فى هذا فنحن نجد أن بعض الفلاسفة اليونانيين كانوا لا يرتاحون كثيرا لكثرة التدوين فهُم - على حد قولهم يفضلون وجود أفكارهم فى صدور الناس وعقولهم بدلاً من وجودها على جلود البقر . ومع هذا فقد ثبت أن بعض الشعر الجاهلى قد وصل إلى العرب مكتوبا .

٢ - فى بداية الإسلام ، كتب المسلمون القرآن ، ولم يكتبوا الحديث إلَّا قليلا استجابة لما ورد فى حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تكتبوا عنِّى شيئاً سوى القرآن ، فمن كتب عنى شيئا سوى القرآن فليمحه » رواه مسلم فى صحيحه .

★ ★ ★

وليس معنى هذا كله أن العرب والمسلمين كانوا ضد محو الأمية أو ضد التأليف والتدوين .

---

(١) روزنتال ، فرانتز : مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى . ترجمة أنيس فريحة ، مراجعة وليد عرفات . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦١ . ص ١٢ .

١ – فى أعقاب غزوة بدر كان من وسائل مُغَاداة أسْرى المشركين أن يُعلِّم الأسير عشرة من المسلمين الكتابة ، فكان زيد بن ثابت كاتب رسول الله أحد هؤلاء الذين علَّمَهُم الأسرى .

وكان أُبى بن كعب أولَ أنصارى كتب للرسول . وعبد الله بن سعد بن أُبى السَرْح أول من كتب له من قريش ، وكان عدد من كتب لرسول الله زهاء أربعين كاتبا[1] .

٢ – كان أمر الرسول عليه السلام بالنهى عن كتابة الحديث مرتبطا فيما يرى البعض بنزول القرآن حتى لا يختلط به ، لكن المسلمين بعد ذلك كانوا فى حاجة لكتابة الحديث اعتماداً على أحاديث أخرى ، من ذلك ما رواه البخارى من أن أباً شاه اليمنى التمس من رسول الله ﷺ أن يكتب له شيئا سمعه من خطبته عام الفتح ، فقال عليه السلام : « اكتبوا لأبى شاه » . وروى أبو داوود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قُلت يا رسول الله ، إنى اسمعُ منك الشيءَ فأكتبه . قال عليه السلام نعم . قال: عبد الله ابن عمرو بن العاص : فى الغضب والرضا ؟ قال عليه السلام : نعم فإنِّى لا أقول فيهما إلَّا حقًّا .

وروى البخارى أن أبا هريرة قال : ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثا منى ، إلَّا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص فانه كان يكتب ولا أكتب .

٣ – لم يعد خوف من اختلاط حديث الرسول بالقرآن الكريم ، ففى عهد أبى بكر رضى الله عنه وكان ما كان من قتل القرَّاء والحفَّاظ فى اليمامة قام أبو بكر الصديق بجمع القرآن من صدور الرجال ومن العُسب (أصل سعف النخيل) والقضم (الجلد الأبيض) والرقاع واللخاف (حجارة بيض رقاق) والأكتاف والأضلاع ، ولمَّا تعدَّدت المصاحف فى عهد عمر جمعهم عثمان بن عفان بعد ذلك فى إمام أو مصحف واحد بعث إلى كل أفق بصورة منه . وعلى هذا **فالقرآن الكريم أول نص أو مخطوط كامل وصل إلينا فى ظل الاسلام .**

★ ★ ★

---

(١) هارون ، عبد السلام : تحقيق النصوص ونشرها . القاهرة ، مكتبة الخانجى ١٩٧٧ (١٣٩٧ هـ) ط ٤ ص ١١ .

كان من الطبيعى فى ظل الظروف السابقة . أن يكون حديث الرسول عليه السلام هو أول ما يهتم المسلمون بجمعه وضبطه وتدوينه ، بعد أن تم اطمئنانهم على القرآن الكريم . ولقد ظل الخليفة الصالح عمر بن العزيز يستخير الله أربعين يوما فى تدوين الحديث ، وخار الله له ، فأذن لأبى بكر محمد بن عمرو بن حزم فى تدوين الحديث ، فدون ما كان يحفظه فى كتاب بعث به إلى الأمصار وكان أبو بكر هذا واليا وقاضياً على المدينة المنورة توفى سنة ١٢٠ هـ ، (٧٣٧ للميلاد) .

ثم تنهض الدولة العباسية وينهض التدوين وتوضع مسانيد الحديث وكتبه فيؤلف فى المدينة : سفيان بن عيينة ومالك بن أنس ، وفى مصر : عبد الله بن وهب ، وفى اليمن : معمر وعبد الرزاق ، وفى الكوفة : سفيان الثورى ومحمد بن فضيل ، وفى البصرة : حماد بن سلمة وروح بن عبادة ، وفى خراسان : عبد الله بن المبارك . . وتظهر الكتب فى كل علم وفن مُتَّخذة طابع كتب المحدثين وهو إسناد الرواية « وتسرى بين المؤلفين قواعد يلتزمونها فى السماع والرواية والقراءة على الشيخ والإجازة[1] .

* * *

ويخلط بعض الباحثين بين الوثائق والمخطوطات ، وحقيقة الأمر أن المخطوطات كتب عادية ، كالكتب المطبوعة التى بين أيدينا . ولكن مؤلفيها لم يدركوا عصر المطبعة فدفعوا بها إلى النساخ . إذن لابد أن يقوم المخطوط أو ينقد على نحو ما ينقد الكتاب ، ولابد من تحليل محتوى المخطوط على نحو ما نحلل محتوى الكتاب . والمادة فى المخطوط مثلها فى الكتاب المطبوع ، مادة إرادية أراد لها مؤلفها أن تكون شاهدا على التاريخ . كل ما فى الأمر أن المخطوط لأنه لم ينتشر على نطاق واسع ولم تتداوله أيد كثيرة فربما حوى حقائق ومعلومات جديدة . وتلك ميزته الرئيسية على الكتاب المطبوع .

والواقع أن التعامل مع المخطوطات يُعد أمرا فى غاية الصعوبة ، خاصة بالنسبة للطالب أو حتى الباحث الذى لا يمتلك الخبرة الكافية أو التجربة الطويلة فقد تحمل المخطوطة عنوانا غير عنوانها الحقيقى ، والدوافع لذلك كثيرة متعددة فقد يعمد الورَّاق أو بائع المخطوطات إلى كتابة عنوان مثير للمخطوطة ليجعلها أكثر رواجا ، وقد يتم ذلك بحسن

---

(١) هارون ، عبد السلام : المرجع السابق ص ١١ - ٢٨ .

نية وجهل أما نسبة المخطوطة إلى غيرمؤلفها فدوافعهأوضح فقد يكون ذلك لرغبة الوراق فى بيع مخطوطة بثمن مرتفع ، وقد يكون ذلك تزويرا لاكتساب وضع معنوى ، وقد يكون ذلك جهلا لتشابه الأسماء وكثيرا ما تتشابه أسماء المؤلفين .

وقد حصر العاملون فى مجال تحقيق التراث أساليب شتى لاكتشاف التزْييف ومن ذلك :

١ – أن يرد فى الكتاب (المخطوط) وقائع وأحداث بعد عصر المؤلف أو بعد وفاته إن كانت سنة الوفاة محقَّقة يقينا . ويذكر عبد السلام هارون وهو مُحقِّق له نشاط فى مجال التحقيق وافر أن من الأمثلة على ذلك مخطوط موجود فى دار الكتب المصرية يحمل عنوان (كتاب تنبيه الملوك والمكايد) منسوبا للجاحظ ودليل تزييفه أنه يحوى باباً عن كافور الأخشيدى وما عصر الجاحظ كافورا .

٢ – اختلاف أسلوب الكتاب (المخطوط) عن الأسلوب المعهود للكاتب أو طريقته فى البحث أو المجال الذى تعود أن يكتب فيه ، غير أن ذلك كله يجب أن يؤخذ بحذر لأن أسلوب الكاتب ودرجة اتقانه تختلف باختلاف مراحل عمره ، فعادة ما تكون كتابات المؤلف وهو كبير السن أكثر تحفظا وأدعى للدقة والتثبيت مما كتبه فى مطلع شبابه .

٣ – أما أساليب الفحص الشكلية كفحص مادة الكتابة (الأحبار) وأداتها (الأقلام) والمادة المكتوب عليها (الجلد ، الرقَ ، الورق بأنواعه . .) فقد سبق أن تعرَّضنا لها عند حديثنا عن الوثائق فارجع إليها .

٤ – نوع الخط أيضا من المسائل التى تساعد على تحقيق النص ونسبته لعصره ومؤلفه ومكانه ، فالخط المغربى له طبيعة مغايرة للخط المشرق ، والخط الأندلسى فيه ميل وفيه محاكاة أو تأثيرات من الحروف اللاتينية . . وحتى الآن ورغم استقرار الخط العربى ، فان المغاربة يستخدمون الأرقام العربية (1,2,3,000) والمشارقة يستخدمون الأرقام الهندية (١ – ٢ – ٣) وقلَّما يضع المصريون وأهل الجزيرة نقطتين تحت الياء الأخيرة (ى) بينما يفعل ذلك الشوام . . وكان الخط العربى غير منقوط فى مرحلة من المراحل ثم نقط وكان النقط يعنى الشكل أى الكسرة والفتحة والضمة والغُنَّة . الأعجام – أى الشكل والضبط ، وكان يسميه أبو الأسود النقط قال أبو الأسود لكاتبه القيسى : إن رأيتنى قد فَتحت فمى بالحرف فانقط نقطة على أعلاه ، وإن ضَمَمْتُ فمى فانقط نقطة

بين يدى الحرف وإن كسرت فمى فاجعل النقطة تحت الحرف فان اتبعت ذلك شيئا من غُنّة فاجعل مكان النقطة نقطتين .

وهذه الطريقة فى الشكل أو الضبط موجودة فى المصاحف العتيقة . ورغم نقط الخط وإعجامه فإن إهمال النقط والإعجام قد امتد شيء منه إلى قرون متأخرة فالناظر فى خط ابن حجر من علماء القرن التاسع يرى هذا الإهمال بوضوح تام[1] .

مقابلة النسخ أو المعارضة :

إذا عثر الباحث على النسخة الأصلية التى كتبها المؤلف بخط يده فانه يكون بذلك قد عثر على كنز ثمين ، لكن عليه أن يتأكد أولا من أن هذه النسخة هى فعلا بخط المؤلف ، لأن بعض الوراقين أو النساخين قد يعمدون إلى كتابة المخطوط بأيديهم ثم ينسبونه للمؤلف لزيادة قيمته أو ليبتغون من وراء ذلك سعرا كبيرا .

وأساليب التأكد من ذلك كثيرة منها :

١ – مقارنة خط المخطوطة بمخطوطات أخرى بخط المؤلف إن وجدت .

٢ – التأكد من أن المادة المكتوب عليها المخطوط كانت معروفة فى عصر المؤلف .

٣ – التأكد من أن الحبر أو مادة الكتابة كانت معروفة فى عصر المؤلف .

٤ – طريقة الكتابة العربية مرت بتطورات فقد كانت غير معجمة (منقوطة) ثم أعجمت (نقطت) وكان الشكل يأخذ فى بعض المراحل شكل النقاط ثم تطور إلى ما نعرفه اليوم ، ولابد أن تكون طريقة كتابة المخطوط متمشية مع ما تذكره المراجع عن نوع الكتابة المعروف فى ذلك الوقت .

٥ – أن تكون طريقة الكتابة متمشية مع جنسية المؤلف أو إنتمائه المكانى ، فالخط المغربى مثلا يختلف عن الخط فى مصر والشرق . . . وهكذا .

أما إذا كان المخطوط مكتوبا بيد الناسخ أو الوراق فمن الأفضل أن يجمع الدارس أو الباحث أكبر عدد من النسخ المخطوطة لمقارنتها معا ، ليخرج فى النهاية بنص موثّق .

---

(١) هارون ، عبد السلام : المرجع السابق ص ٢٩ – ٣٠ .

وعادة ما يحاول الباحث ترتيب نُسَخِهِ فى طبقات أو مراتب بمعنى أن يجعل النسخة التى كتبها المؤلف بخط يده هى النسخة الأم ثم المنقولة عنها فالمنقولة عن المنقولة عنها . . وهكذا وبطبيعة الحال فإنه من النادر أن يحصل الباحث على النسخة الأم خاصة بالنسبة لمؤلفين فى القرون الإسلامية الأولى .

وكان من الطبيعى أن يعترى الملل النسَّاخين لمشَّقة عملهم ، لذلك نراهم يعمدون إلى بعض الكلمات فيختصرونها ، لذلك لابد للباحث الذى يتعامل مع المخطوط وأن يضع فى اعتباره عادة النسَّاخين هذه .

وفيما يلى بعض الاختصارات الشائعة فى المخطوطات العربية :

ثنا : حدثنا
نا : أخبرنا
صـ : للوصل
سـ : للتشديد

ومن كتاب الشفاء لابن سينا :

مح : محال
مع : معلوم
لامحه : لا محالة
لايخ : لا يخلو
كـ : كذلك
المقص : المقصود
ظـ : ظاهر
يق : يقول
ح : حينئذ

ويذكر الاستاذ عبد السلام هارون أمثلة أخرى منها :

ثنى : حدثنى
دثنا : حدثنا أو أخبرنا

أخ نا :أخبرنا ، فى خط بعض المغاربة .
قثنا : قال حدثنـــــا
ح : تحويل السند فى الحـــديث
ش : الشـــــــرح
الش : الشـــــارح
س : سيبـــويـــــه
أيض : أيـضـــــا
لايخ : لا يـخـفــــى
الظ : الظـاهـــــر
مم : ممـنـــــوع
م : معتمد . معــــروف
الخ : إلى آخـــــره
اه : انتهـــــى
ع : موضع . استعمله الفيروز بابى صاحب القاموس المحيط
ج : جمـــــــع
جج : جمـع الجمـــع
ة : قرية . . . . الخ

تقويم المرجع :

تناولنا فيما سبق بعض ما يتعلق بالمخطوطات كمراجع ذات طبيعة خاصة وإن كان مضمون المخطوط لا يختلف عن مضمون الكتاب المطبوع . فكلاهما مرجع أو كتاب له مؤلف من البشر وهؤلاء المؤلفون متباينون « فمن مُخْبر عن أمرٍ كَذب يقصد فيه نَفْسه ، فيَعظِّمَ بنى جنسه ويُذْرى بخلاف جنسه ، وإن كلا هذين من دواعى الشهوة والغضب المذمومين . ومن مُخْبر عن كذب فى طبقة يحبهم لشكر ، أو يبغضهم لنكر . وهو مقارب الأول ، فان الباعث على فعله من دواعى المحبة والغلبة . ومن مخبر عن شىء كذب متقربا إلى خير بدناءة الطبع أو مُتَّقيَا لشر من فشل أو فزع . ومن مخبر عن شىء كذب طباعا ، كأنه محمول عليه غير متمكن من غيره . . ومن مخبر عن شىء جهلا وهو المُقلِّد للمُخْبرين » .

ويذكر البيرونى أن كثيرا من أخبار الهند الشائعة خاطئة لأن من قالوا بها وأزاعوها « أبعدهم عن الصواب الهوى والرياء أو الخوف والاضطهاد »[1] .

إذن لابد كمرحلة أولى لتقويم المرجع من معرفة مؤلفه أو مؤلفيه من حيث اتجاهاتهم السياسية إن وجدت ، والمذهب الدينى ، أو الدين بشكل عام ، وهل هو مستشرق مسيحى يكتب عن الاسلام ؟ أم باحث يهودى يكتب فى الشريعة الاسلامية ؟ وكذلك معرفة موقعه الزمنى والمكانى من الواقعة التى يؤرخ لها ، بمعنى : هل عاصر الأحداث ؟ هل يرويها سماعا ؟ هل يبحثها من خلال الوثائق والمصادر الأساسية بعد انقضاء عصرها ؟ هل الباحث جدير بالبحث الذى يخوض فيه ؟ هل هو مؤهَّل علميا ؟ على يد من درس ؟ ويلاحظ أن كتابنا فى العصور الاسلامية كانوا يحرصون على ذكر شيوخهم ومن تلقوا عنهم العلم . كما أن معرفة جنسية المؤلف تساعد أيضاً على فهم الأمثلة التى يضربها . . . الخ .

ومما يؤسف له أن كثيرين من الطلبة ، بل وبعض الباحثين المبتدئين يشرعون فى النقل عن الكتاب أو المرجع دون معرفة حتى اسم المؤلف فى بعض الأحيان . وهذا خطأ كبير ، فأنت عندما تتناول كتابا أو مرجعا لتقرأه وتأخذ عنه ، فكأنك قد جلست على مائدة المؤلف ، أيمكن أن تجلس على مائدة شخص لا تعرفه ثم تشرع فى التهام ما يقدمه لك ؟ أليس من المحتمل أن يقدم لك هذا الذى لا تعرفه من الطعام سُماً يهرى معدتك ويلهب جوفك !

عنصر آخر من عناصر تقويم المرجع أو نقده : هل يغطى المرجع الموضوع الذى يتناوله تغطية كاملة أم تغطية جزئية ؟ هل يتناول كل أبعاد الموضوع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية أم يغطى عنصرا على حساب العناصر الأخرى . أم يذكر عنصراً ويغفل عناصر أخرى ؟ وقد يكون إغفال العناصر الأخرى ليس بعيب إن نص الباحث فى عنوان بحثه أو فى المقدمة على اقتصاره على ذلك ، فالدكتور السيد رجب حرّاز مثلا أصدر بحثا عن (الأصول التاريخية للمشكلة الارترية) فنحن لا نعيب عليه إذن عدم تناول الأبعاد السياسية للمشكلة هذه الأيام على نحو مفصل ، وأستاذنا الدكتور حسن محمود ألف كتابا رائدا عن الإسلام والثقافة العربية فى افريقية ، أى أنَّه قصر بحثه

على ذلك فقط ، فلا يلجأ باحث يريد دراسة التدخل الأوربى فى أفريقيا إلى كتاب الدكتور حسن ، فيجد نقصا فى موضوع التدخل الأوربى فيعيب ذلك على الكاتب ، فحقيقة الأمر أن المؤلف حدد منذ البداية مجال بحثه . . . وهكذا .

إذن لابد للباحث أو الطالب أن يعرف **مجال** المرجع ومدى تغطيته وشموليته قبل البحث فيه .

ولابد للباحث أن يعرف الحد الزمنى الذى وقف عنده المؤلف ، فلا يبحث عن ترجمة شخصية عاشت فى القرن التاسع للهجرة فى كتاب ابن حجر العسقلانى الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، أو يبحث عن شخصيات توفيت بعد سنة (٦٨١ هـ) (١٢٨٣ للميلاد) فى كتاب وفيات الأعيان لابن خليكان فالرجل أى ابن خليكان قد مات سنة ٦٨١ هـ فكيف يكتب عن أشخاص لم يعاصرهم . . . . وهكذا .

ولابد للباحث من معرفة البعد المكانى للمرجع ، فلا يعقل أن يبحث عن حيوات رجال مصر أو الجزيرة العربية فى كتاب ابن حيان القرطبى (توفى ٤٦٩ هـ) المسمى المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، فالقرطبى قد نصَّ على أنَّه قصره على رجال الأندلس . . . وهكذا .

ومن عناصر تقويم المرجع ، سنة النشر ، والناشر ، فبعض الناشرين يتخصَّصون فى نشر الكُتب الإسلامية وبعضهم يتخصَّص فى نشر الكتب ذات الاتجاه الايديولوجى الخاص . وبعض الناشرين ذوو سمعة سيئة من حيث كثرة الأخطاء والتصحيف والتحريف فى الكتب التى ينشرونها ، وبعض الناشرين معروف عنهم حرصهم الشديد على الضبط والمراجعة .

وبعض كتب التراث نُشرت اعتمادا على نسخة مخطوطة واحدة ، وبعضها الآخر اعتمد على نسخ عديدة أو على كل النسخ الموجودة .

وفى بعض الحالات يكون الكتاب المنشور كان فى الأصل رسالة للماجستير أو الدكتوراه وعادة ما تكون هذه الكتب دقيقة موثَّقة .

وعلى الباحث أن يضع كل ذلك فى اعتباره قبل الأخذ عن المرجع. ولابد للطالب والباحث أن يُلم بترتيب المرجع وكيفية تبويبه أبوابا أو تفصيله فصولا ، وهل استخدم المؤلف الترتيب الحَوْلى بمعنى أنه يكتب أحداث كل سنة على حدة ، أم رتبه فى مقالات

ورتّبها هجائيا « كما تفعل دوائر المعارف » أم قسمه حسب المواقع والبلدان (تاريخ مصر ، تاريخ المغرب ، تاريخ الجزائر . . . وهكذا) وشيء مهم جدا آخر وهو هل وضع له كشافات أو فهارس بما ورد فيه أى فى الكتاب – من أعلام كأسماء البلاد والقبائل والأشخاص . . . الخ . والواقع أن مثل هذه الكشافات التفصيلية والتى تنقص كثيرا من كتب التراث المنشورة تعتبر فى غاية الأهمية خاصة إذا كان المرجع ضخما متعدد الأجزاء .

ومعرفة الطالب أو الباحث بذلك كله تقيه خطورة تفلّت الموضوعات منه ، فقد يكون المرجع قد أشار للمعلومة أو المعلومات التى يبحث عنها الباحث ولكنه لا يعثر عليها إطلاقا أو يعثر عليها صُدفة أو بِشِق الأنفس ، وكل ذلك ناتج عن جهله بطريقة ترتيب المرجع .

ويقع بين يدى الباحث كتب مجهولة المؤلف أو الناشر ، ومثل هذه الكتب لابد أن يأخذ عنها الباحث بتحرّز شديد ، أما الكتب المجهولة الناشر فلا خطورة منها ، فقد يكون المؤلف هو نفسه الذى مَوَّل كتابه ونشره على حسابه الخاص دون أن ينص على ذلك .

ومن معايير تقويم المرجع كذلك ، مدى توثيقه ، بمعنى استخدام المؤلف للحواشى التى تنص على مصادر معلوماته . وفى بعض الأحيان قد لا يكون لذلك أهمية إذا كان البحث معايشة لتجربة استقاها الباحث مباشرة من الواقع أو مقالا مدعما بالصور أو كان المؤلف أحد صُنّاع الأحداث كأن يكون وزيرا أو سلطانا أو حاكما . .

وبعد معرفة ذلك كله والإلمام به ، يشرع الباحث أو الطالب بقراءة الكتاب بتمعُّن ، مقارنا الحقيقة أو الحدث التاريخى فى أكثر من مرجع ، ولدن مؤلفين لهم أكثر من اتجاه ، يتثبت مما أوردته المراجع بالاستعانة بالوثائق والمسكوكات والآثار إن وجدت ، أما إذا لم توجد خاصة فى فترات التاريخ القديم والوسيط ، فما عليه إلّا أن يُمعن التدّبر والتفكير ، ويقارن الحقائق بالأحداث المعاصرة لها ، وطبيعة العصر حتى يخرج فى النهاية بما يطمئن إليه قلبه . .

وننتقل الآن إلى دراسة بعض فئات المراجع التى يجدر بالباحث الرجوع إليها ، وتلك مجرد أمثلة بطبيعة الحال .

ما كتبه الرحالة والجغرافيون :

تعد كتب الرحالة والجغرافيين من أهم المراجع التى يرجع لها الباحث التاريخى بل أنها تعد مراجع جيدة من الدرجة الأولى ، لأن الرحالة قوم عايشوا كثيراً من الأحداث وجابوا الآفاق وليس من رأى كمن سمع . وهذا لا يمنع من تقويم المرجع أو الكتاب من حيث معرفة مؤلفه ومذهبه الدينى واتجاهه السياسى وشيوخه وغرضه من الرحلة فكل أولئك يحدد لنا درجة علمه ومدى نزاهته .

وقد حفل التاريخ الإسلامى برحَّالة عظام أثروا الحركة الفكرية والثقافية وكان لهم دور بارز فى إمدادنا بمعلومات ثرَّة عن العالم الإسلامى بل وغير الاسلامى فى ذلك الوقت .

فاليعقوبى قام برحلات إلى أرمينية وإيران والهند ومصر وبلاد المغرب وألف لنا كتاب البلدان ، ووضع **الاصطخرى** كتابه مسالك الممالك ، **وللمسعودى** كتابه الشهير مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ولشمس الدين **القدسى** : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم **وابن حوقل** ألف فى القرن الرابع الهجرى كتابه المسالك والممالك **والبيرونى** العالم العظيم الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى كتابه القيم الآثار الباقية عن القرون الخالية ، وتحقيق ما للهند من مقولة مرذولة فى العقل أو معقولة . **والبكرى** الذى عاش الربع الأخير من القرن الخامس له كتاب : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ومرجعه الشهير **معجم ما استعجم** ، وفى القرن السادس الهجرى ألف **الإدريسى** : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق وفى القرن السابع كتب **ابن جبير** رحلته المشهورة وكتب ياقوت الحموى معجم البلدان . وفى القرن الثامن يطلع علينا الرحالة الذائع الصيت **ابن بطوطة** ويكتب رحلته التى نسبت لاسمه رحلة ابن بطوطة واسمها الاصلى : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار .

وعلى الباحث أو المؤرخ أن يدرس بعناية الرحلة التى تغطى العصر الذى يكتب فيه أو القطر الذى يؤرخ عنه .

وعلى الطالب المبتدىء أن ينظر فى هذه الرحلات كلها ليتعود عليها ويلم بأسمائها فإذا ما حان وقت العمل الجدى كانت قريبة إليه ، مألوفة لعينه وقلبه ودماغه .

ومن الرحالة العرب الذين أدوا للعلم فوائد كبيرة :

١ - المسعودى الذى توفى سنة ٩٥٦ للميلاد ، والرجل بغدادى شرَّق حتى الصين وغرَّب حتى الصحراء الكبرى وبلاد السودان وللمسعودى كتابان هما :

مروج الذهب ومعادن الجوهر

٢ - ابن حوقل : عاش فى القرن الرابع الهجرى أو العاشر الميلادى جاب القارة الأفريقية من البحر الأحمر إلى المحيط الأطلسى كما زار الصين والهند والأندلس . ومن كتبه المسالك والممالك وصورة الأرض .

٣ - البكرى وهو مؤرخ ورحالة أندلسى ، له كتاب شهير هو المسالك والممالك وكتاب آخر هو تذكرة النسيان فى أخبار ملوك السودان وقد عاش البكرى فى الفترة من ١٠٢٨ إلى ١٠٩٤ للميلاد .

٤ - الإدريسى، وهو أندلسى أيضا وإن هاجرت عائلته إلى الشمال الأفريقى ، ودخل الإدريسى فى خدمة الملك روجر الثانى ملك صِقلّية ، وله كتاب معروف هو : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، وقد ولد الإدريسى فى سبته الغربية سنة ١١٠٠ للميلاد .

٥ - ابن جبير ، وهو رحالة معروف قدم لنا وصفا تفصيليا للطريق التى سلكها من غرناطة حتى وصل الحجاز وأدى مناسك الحج . وقد طبعت رحلته تحت عنوان رحلة ابن جبير .

٦ - العمرى صاحب الكتاب المعروف باسم **مسالك الأبصار فى الممالك والأمصار** .

٧ - ابن بطوطة ، وهو أشهر من نار على علم ، وقد عاش فى الفترة من ١٣٠٤ إلى ١٣٧٧ للميلاد (٧٠٤/ ٧٧٩ هـ) قام بثلاث رحلات غَطَّى فيها الشمال الأفريقى والحجاز وشرق أفريقية وغرب أفريقيا والصحراء الكبرى وبلاد الصين . وقد طبعت رحلته تحت عنوان **رحلة ابن بطوطة** وأحيانا تحت عنوانها الأصلى : تحفة النظار فى **غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** .

٨ - الحسن بن الوزان المعروف بليو الافريقى Leo Africanus الذى ولد سنة خروج المسلمين من الأندلس ١٤٩٣ وأسرته جماعة من القراصنة المسيحيين سنة ١٥١٨

وقدموه للبابا ليو العاشر LeoX وقد نشرت رحلة الوزان بالايطالية سنة ١٥٥٠ للميلاد وترجمت للانجليزية سنة ١٦٠٠ للميلاد ، وصدرت لها أخيرا ترجمة عربية جيدة نشرتها جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية تحت عنوان : وصف أفريقيا .

تدريبات :

توزع هذه الرحلات على الطلبة للاطلاع عليها ، وتكليف كل طالب بكتابة مبحث يسير عن كل رحلة ورحالة مبينا قيمتها التاريخية . ويلاحظ الطالب أنه ليس كل ما نشر فى هذه الرحلات صحيحا ، فالرحالة يخطئون ويصيبون ويسمعون فيكتبون وقد يكون ما سمعوه غير صحيح .

راجع ما ذكرناه عن تقويم المرجع . . .

★ ★ ★

وإذا كان سلفنا المُسلم لا يقصد من رحلته إلَّا العِلْم خالصا لوجه الله ، فإن رحالة العصر الحديث ومكتشفيه من الأوربيين – وإن كانوا قد أدوا للعلم الجغرافى والتاريخى فائدة غير منكورة ، إلَّا أن أغراضهم السياسية والاستعمارية وتبعيتهم لجمعيات لا تخفى دورها الاستعمارى قد شوَّه جهدهم العلمى ، وكان لزاما على الباحث أو المحقِّق أن يتحرَّز فيما ينقله عنهم فى بعض الأحيان ، خاصة فى مجال تفسيرهم للأحداث ووصفهم للمعتقدات .

وهناك كثير من الرحالة الأجانب جابوا منطقتنا العربية فى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين . والواقع أنه لا يمكننا تفريغ مضمون رِحلات هؤلاء الأجانب من مضمونها السياسى . ومن هؤلاء الرحالة الدنمركى كارستن نيبور Carsten Niebur الذى قام برحلاته فى الجزيرة العربية فى الفترة من ١٧٦٤ إلى ١٧٦٥ وقد ترجم كتابه للانجليزية تحت عنوان :

Travels Through Arabia & Other countries in the East. 2 volumes.

وقد زاد الاهتمام بالجزيرة العربية فى مطلع القرن التاسع عشر ، وفى الفترة من منتصف القرن التاسع عشر حتى السنوات الأولى من القرن العشرين ظهرت أسماء رحالة كثيرة مثل : بلى Pelly وجرمانى Guarmani ووالين Wallin وبالجريف Palgrave ودوتى Daughty وهوبرت Hubert وبيرتون Burton وبلنت Blunt . . وغيرهم .

وفى أثناء الحملة التركية المصرية على نجد ١٨١١ – ١٨١٨ زادت نشاطات المستكشفين فى الجزيرة العربية . ومن الرحالة المستكشفين الذين حققوا شهرة كبيرة بوركهارت الذى ادعى الاسلام وعرف باسم الشيخ ابراهيم بن عبد الله ، وكان يعمل لحساب الجمعية البريطانية الافريقية African Association وفيما يلى قائمة بأسماء بعض هؤلاء الرحالة وما كتبوه .[1]

Winder, Bayley: Saudi Arabia in the 19th Century. New york, 1965.
Hogarth, D.G.: The penetration of Arabia.

Arecord of the development of Western.

Knowledge Concerning the Arabia Peninsula.

London, 1901.

Burchardt: Notes on the Bedouins and Wahabys. 2 vols.

وكانت رحلة بوركهارت سنة ١٨٠٩ .

Palgrave, william Gippard: A narrative of a year's Journey through central and Eastern Arabia 1862- 1863. 2 vols. London, Cambridge, 1965.

ويذكر الريحانى أن بالجريف ولد عبرانيا اسم أسرته كوهن ، وصار بعدئذ مسيحيا ثم أبا يسوعيا ثم سياسيا ملحدا ، وكان فى سورية عن الاباء اليسوعيين يُدعى الأب ميخائيل .

أما بوركهارت الذى سبق أن أشرنا إليه فقد ارتقى بعدئذ السدّة البطريكية الرومانية الكاثوليكية وصار بعد ذلك اسمه البطريرك بطرس الجريجورى . ويكفى هذا للدلالة على الأبعاد الدينية والتبشيرية والسياسية لهذه الرحلات .

Doughty : Travels in Arabia deserts.
London, 1964.3vols.
Zwemer,s : Arabia, the Cradle of Islam.
London, 1908.

★ ★ ★

(١) قاسم ، جمال زكريا : الدوافع السياسية لرحلات الأوربيين إلى نجد والحجاز خلال القرن التاسع عشر وأوائل العشرين .

فى : مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، بحوث الندوة العالمية الأولى لدراسة تاريخ الجزيرة العربية . الرياض ، جامعة الرياض (الملك سعود) ١٣٩٧ (١٩٧٧ م) جـ ٢ . ص ٩ – ٢٨ .

والواقع أن الرحالة والمستكشفين فى التاريخ الحديث أكثر من أن يدخلوا تحت حصر ، لكننا اكتفينا هنا بالإشارة إلى الرحالة الذين كان لهم دور فى تاريخ منطقتنا العربية ، وعلى الباحثين فى مناطق أخرى أن يراجعوا الرحالة الذين جابوا هذه المناطق كجيمس بروس وسبيك وبيكر ولفنجستون وبارك وكلابرتون ولاندر وديجوكام وستانلى وجميعهم قاموا بدور فى كشف أفريقيا واستعمارها فى العصر الحديث .

ومن المحال فى كتاب كهذا أن نتناول كل الرحالة المعاصرين ونشير إليهم تفصيلا أو حتى إجمالا حتى لا يخرج هذا الكتاب عن مبتغاه ، لكننا نشير هنا إلى قضيتين منهجيتين هما :

أولا : أن هؤلاء الرحالة يعتمدون فى كثير من الأحيان على الروايات الشفاهية المحلية ، وذلك يجعل كتاباتهم حاوية ما تحويه الروايات الشفاهية من خلل أحيانا .

ثانيا : أن هؤلاء الرحالة رغم علمهم الذى لا ينكر قد يجهلوا العادات والتقاليد المحلية فيفسرونها تفسيرا خاطئا ، وقد يكون هذا التفسير مغرضا أيضا وسنضرب هنا نماذج لذلك :

يذكر منجو بارك وهو رحالة أوروبى جاب غرب أفريقية ، وكانت إحدى رحلاته سنة ١٧٩٥ - تحت عنوان ملك الوولى The King of Wooli :

« كانت المدينة Medina هى عاصمة مملكة وولى Wooli ، والمدينة كلمة عربية تعنى بالانجليزية City ، ولم يكن الاسم شائعا بين الزنوج ، ويحتمل أن يكون المسلمون هم الذين أدخلوه » .

لاحظ هنا إصرار منجو على الفصل بين الزنوج والمسلمين . أنه يتحدث عنهم كعنصرين مختلفين ، وكأنما لا زنوج مسلمين ، ولا مسلمين ، زنوج . . ثم لاحظ قوله ان الاسم غير شائع بين الزنوج . كيف ذلك مع أنها عاصمة مملكة ؟ أما كون اسم (المدينة) من أصل عربى وأنه أتى فى ركاب المسلمين فهذا أمر لا يدعو للظن أو الشك ! ثم يستمر منجو بارك قائلا : « لقد خططت رحالى فى المدينة ، وهى واسعة . . ويحيط بها سور من الطين مرتفع . . وذهبت بعد الظهيرة لتقديم الاحترام للسلطة (الملك) ولأسأله السماح لى بالمرور عبر بلاده إلى بوندو Bondou . . ولقد ألقيت التحية على الملك باحترام وأخبرته عن أسباب زيارتى ، وقد أجابنى الملك قائلا : أنا لا أعطيك فقط حق المرور بل سأقدم لك بركاتى وتمنياتى بالسلامة . . وعندئذ شرع

واحد من المرافقين لى فى الغناء أو بالأحرى فى الزئير فقد كان صوته قويا غير جميل ، وقد كانت أغنيته بالكلمات العربية ، وعند كل مقطع من الأغنية كان الملك نفسه وكل المحيطين به يضربون بأيديهم على جباهم ويردِّدون بخضوع وتأثر شديد : آمين . . آمين » .

من الواضح أن الرجل يدعو الله ، ومن الواضح أن الملك ومن حوله يؤمِّن على الدعاء ، ومن الواضح أن الكلمات العربية ، خاصة كلمات الدعاء مفهومة من الملك ، ومن الواضح أن الملك مسلم ، ورغم كل هذا فان منجو بارك يعلق قائلا : « ان الملك لم يكن بالتأكيد مسلما » ولم يذكر لنا منجو بارك مصدر تأكيده هذا . ويستمر بارك قائلا « وربما فعل الملك ذلك لأن نفسه خيِّرة وطيبة »[1] .

تعليل غريب ، والغرض واضح . لقد أحال منجو بارك تمنياته بألا تكون هذه المناطق على الإسلام ، إلى تقرير خالف به الواقع .

هذه مجرد أمثلة تجعل الباحث يخضع كتب الرحالة للنقد أو التقويم قبل الأخذ عنها .

الدوريات العلمية :

عادة ما تصدر الجامعات والمؤسسات الأكاديمية دوريات أو مجلات لتضم أبحاثا يتقدم بها الباحثون فيها .

وقد تكون هذه الدوريات شهرية أو فصلية (كل شهور ثلاث) أو سنوية . وغالبا ما تضم هذه الدوريات بحوثا قيمة . وعلى الباحث أن يعرف المؤسسات العلمية المهتمة بمجال بحثه . مثال ذلك الجمعية التاريخية المصرية ، أقسام التاريخ فى الجامعات العربية ، مركز دراسات الخليج ، جامعة الدول العربية . دارة الملك عبد العزيز وغيرها من المؤسسات المهتمة بالدراسات التاريخية ، ومتابعة ما تنشره من دوريات .

فكلية التربية فى جامعة الملك سعود على سبيل المثال تصدر مجلة دراسات الفصيلة وكلية الآداب تصدر مجلة كلية الآداب السنوية ، ودارة الملك عبد العزيز تصدر مجلة الدارة الفصلية وجميعها تحوى مقالات وبحوثا لكبار المتخصصين .

---

(1) Park, Mungo: Travels in the interior districts of Africa. 5th ed. London, 1807. pp.20-25.

والمجلات الأكاديمية لا تنشر بحثا فى العادة إلّا بعد عرضه على لجان تحكيم من المتخصصين فى مجال البحث فإذا أجازته نشر . وذلك مما يعطى البحث قيمة . وليس معنى ذلك أن البحوث المنشورة خارج هذه المجلات الأكاديمية ليست بذات قيمة . وحتى لا يضيع على الطالب أو الباحث اسم دورية يُنصح بالرجوع لقوائم الدوريات التى تصدرها المكتبات .[1]

الصحافة كمرجع تاريخى :

تغطى المادة الصحفية العربية أكثر من مائة وخمسين عاما ، فقد صدرت فى مصر أول صحيفة عربية سنة ١٨٢٨ هى **الوقائع المصرية** ، وقبل الوقائع المصرية كانت الحملة الفرنسية على مصر قد أصدرت صحيفة تحمل عنوان Corrier de l'Egypte وذلك سنة ١٧٩٨ ، ثم توالت الصحف بعد ذلك سواء فى مصر أو العالم العربى . ففى سنة ١٨٤٧ صدرت صحيفة **المبشر** فى الجزائر ، وفى ١٨٥٨ صدرت فى لبنان صحيفة **حديقة الأخبار** وفى ١٨٦٠ صدرت فى تونس صحيفة **الرائد التونسى** ، وفى ١٨٦٥ صدرت صحيفة **سورية** فى سورية سنة ١٨٦٦ صدر فى ليبيا صحيفة **طرابلس الغرب** ، وفى العراق صدرت سنة ١٨٦٩ صحيفة **الزوراء** ، وفى ١٨٧٩ صدرت فى اليمن صحيفة **صنعاء** وفى ١٨٨٩ صدرت فى **المغرب** صحيفة المغرب وفى سنة ١٨٨٩ — صدرت فى السودان صحيفة **الجازيت** وفى ١٩٠٨ صدرت فى السعودية **صحيفة الحجاز** وفى ١٩٢٨ صدرت جريدة **الكويت** .

ونحن هنا نذكر فقط أوائل الصحف ، لكن هذا لا يعنى أنها الصحف الوحيدة ، بل صدر فى كل بلد عربى بعد ذلك عديد من الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية والدوريات السنوية . . . الخ

هذا الكم الهائل هل يصلح مرجعا للتاريخ الحديث ؟ وما طبيعة المادة الصحفية وكيف تستخدم ؟

الواقع أن فى الصحف مادة تاريخية ترقى فى بعض الأحيان لمرتبة الوثائق من الطراز الأول ، ومن ذلك :

---

(١) من ذلك قائمة دوريات مكتبة كلية التربية التى أصدرتها عمادة شئون المكتبات بجامعة الملك سعود ١٤٠٢/ ١٩٨٢ وغيرها كثير .

١ - صفحات الوفيات فى بعض الصحف العربية ، تفيد كثيرا فى تحديد تواريخ وفاة بعض الشخصيات ، كما تفيد فى معرفة الألقاب الشائعة وبعض العادات المتصلة بالموت (ذكرى الأربعين ، الذكرى السنوية . . الخ) كما تفيد فى معرفة الألقاب والعادات الاجتماعية ، وتعطى هذه الصفحات مؤشرات خاصة على عدد الوفيات فى الشخصيات العسكرية الهامة (الضباط مثلا) فى أعقاب الحروب (حرب ٦٧ مثلا) . .

٢ - الاعلانات التجارية ، تفيد فى معرفة حالة السوق والبضائع المتوافرة وعلاماتها التجارية . . . مما يفيد فى مجال التاريخ الاقتصادى .

٣ - قوائم أسعار العملات ، تعطى مؤشرا لقيمة العملات بعضها بالنسبة للبعض الآخر فى الفترة موضوع الدراسة .

٤ - إخراج الصحيفة نفسها وحرفها الطباعى ، ومادتها الصحفية تُعْطى معلومات مباشرة على تطور الصحافة فى الفترة موضوع الدراسة .

٥ - بالنسبة للذين يؤرخون للحياة الثقافية والفكرية يعتبر ما تنشره الصحف أحد المصادر لتقويم الحركة .

ما ذكرناه سابقا حقائق خالصة يمكن استخلاصها من الصحيفة سواء كانت موجَّهة أو غير موجَّهة وسواء كانت واقعة تحت ضغط أو غير واقعة .

أما ماهو مكتوب فى الصحيفة من **أخبار أو مقالات** ، فتلك لابد أن تخضع لما يخضع له المرجع من تقويم ، وذلك بمعرفة اتجاهات الصحيفة واتجاهات الكاتب ، والتوثق من الخبر من خلال صحف أخرى أو بمراجعة الوثائق كمصدر أساسى للتاريخ .

ونظرا لأهمية المادة الصحفية فى التاريخ فقد عمد بعض الباحثين لتحليل محتوياتها وتصنيفها أو ادراجها تحت رؤوس موضوعات لتكون عونا للباحثين ، ومن ذلك ما قام به الدكتور منصور ابراهيم الحازمى بالنسبة لبعض الصحف السعودية[1] وهناك محاولات مشابهة فى بلدان عربية أخرى .

---

(١) الحازمى ، منصور ابراهيم : معجم المصادر الصحفية - أم القرى من ١٣٤٣ إلى ١٣٦٥ هـ / ١٩٢٤ إلى ١٩٤٥ للميلاد .

الحازمى ، منصور ابراهيم : صحيفة صوت الحجاز / من ١٩٣٢ إلى ١٩٤١ م .

أما الصحافة كمرجع للتاريخ الأوروبى الحديث فينصرف الحديث عنها كما انصرف إلى الحديث عن الصحافة كمرجع للتاريخ العربى ، وإن كانت البدايات سابقة فى معظم الحالات ، فقد ظهرت الصحافة أوّل ما ظهرت فى المانيا سنة ١٥٠٢ (New Zeitung) وفى بريطانيا ١٦٢٢ (Weekly News) وفى ايطاليا ١٥٦٦ وفى هولندا ١٦١٦ وفى السويد ١٦٢٤ وفى فرنسا ١٦٣١ وفى أمريكا ١٨٣٠ (The penny press) وعلى الدارس أو الباحث أن يلم بهذه التواريخ وقت الضرورة حال قيامه بالتأريخ لإحدى هذه المناطق أو سواها .

فى نسبية المصدر والمرجع :

اتضح لنا من السياق العام لما ذكرناه فى الباب الأول والثانى أن **المصدر** نقصد به (الوثيقة والمسكوكة والأثر) أو بمعنى آخر أن المصدر هو الذى لم يرد به كاتبه أو صائغه أن يكون شاهدا على التاريخ ، ومن هنا تأتى أهميته وصدقه وحياده . أما **المرجع** فهو كتاب مؤلف تتراوح قيمته وفقا لتوثيقه والنص على مصادره ومراجعه وشموله وتغطيته كل عناصر الموضوع ، وتعمق المؤلف فى موضوعه ، وتحصيله درجات علمية عليا . . . . الخ .

إلّا أنَّ الأمر ليس كذلك دائما ، فالمراجع التى كتبت فى العصر الذى أؤرخ له أحيانا يعتبرها بعض الباحثين **مصادر** ، والكتب التى كتبت فى عصور لاحقة للعصر الذى أؤرخ له تعتبر **مراجع** ، كما أن الباحث عندما يؤرخ لحياة شخص ودوره مثلا ، فان الكتب أو الإنتاج الذى كتبه الشخص الذى أورخ له تعد **مصادر** ، وما كتب عنها **مراجع** ، فكتابات الشيخ محمد بن عبد الوهاب مثل كتاب التوحيد المشهور تعد **مصادر** بالنسبة لباحث يكتب عن الشيخ محمد ، وما كتبه آخرون عن الشيخ فتعد **مراجع** . . وهكذا .

وهذه التفرقة بين المصدر Source والمرجع resource تعتبر مسألة نسبية ، وإن كان الباحثون فى التاريخ يميلون عموما لما ذهبنا إليه من اعتبار (الوثائق والمسكوكات والآثار . .) مصادر وما سواها مراجع .

ويميل أمناء المكتبات ، والعاملون فى حقل المعلومات إلى اعتبار (دوائر المعارف ، والقواميس ، والأطالس ، والكتب الموجزة ، والأدلة . .) **مراجع** ويفردون لها مكانا

خاصا ، وما سواها مجرد **كتب** ، وهم يتخذون أساسا لهذا طريقة **ترتيب المادة فقط** ، وبطبيعة الحال فإن هذا الأساس للتقسيم لا يصلح بالنسبة للباحثين فى مجال التاريخ .

كتب التاريخ ومراجعة فى المكتبات العربية والأجنبية :

فى الباب الأول قدمنا لك تعريفا بدور الوثائق فى العالم وذكرنا لك شيئا عن نظمها ولوائحها حتى يتسنَّى لك التعامل معها والحصول منها على صور الوثائق التى يتطلَّبها بحثك .

وفى هذه الفقرة من الفصل الثانى نقدم لك إلمامه عمليَّة عن أماكن وجود كتب التاريخ فى المكتبات .

ومما يؤسف له أن كثيرا من مصادر الدراسات التاريخية لا يضعه المصنِّفون فى قسم التاريخ ، مما يُضيِّع على الباحث غير الخبير بنظم التصنيف فى المكتبات مراجع كثيرة ، ومثال ذلك أن المسكوكات Numes-matics المنشورة يضعها المصنفون فى قسم الفنون (٧٠٠) مع أن الباحثين الذين نشروا هذه المسكوكات قصدوا بها أساساً خدمة البحوث التاريخية . حقيقة إن الدارسين لتطور الخط يرجعون إليها ، ولكن الحقيقة أن تطور الخطوط أو علم الباليوجرفيا Paleography هو أيضا من العلوم المساعدة للتاريخ ، وحقيقة أيضا أن المسكوكات (فن) بما تحويه من زخارف ورسوم ، لكننى أرى أنها أقرب لمصادر التاريخ ، منها لمصادر الفنون . وليس هذا مجال نقد نظم التصنيف ، ولكننى هنا بصدد تنبيه الباحثين إلى ضرورة مراجعة قسم الفنون (٧٠٠) للحصول على المسكوكات المنشورة التى تخص بحوثهم .

مسألة أخرى تفوت على الباحثين فى مجال التاريخ مراجع كثيرة جدا ، ذلك أن المصنفين فى المكتبات يضعون تاريخ التعليم فى قسم التعليم مع أن – الكتاب قد يكون رسالة من قسم التاريخ ، ويضعون تاريخ النظم السياسية فى قسم العلوم السياسية (٣٢٠) وتاريخ القانون فى قسم القانون (٣٤٠) وتاريخ الاقتصاد فى قسم الاقتصاد (٣٣٠) ... الخ . مع أن هذه الكتب قد تكون من تأليف مؤرخين .

لذلك يتعين على الباحث التاريخى فى مجال تاريخ العلوم أو تاريخ الحضارة أن يراجع القسم الموضوعى الذى يخصه فإن كان يبحث فى تاريخ الزراعة فعليه أن يراجع قسم الزراعة ، فمن المؤكد أنه سيحصل على مراجع هامة لموضوعه .

وجرت عادة المفهرسين أن يضعوا عصور ما قبل التاريخ مع الجيولوجيا فى العلوم البحته .

ويفوت كثيرٌ من الباحثين خير كثير باغفالهم بعض المراجع التى تبدو وكأنها غير تاريخية ، فكتب الانثروبولوجيا Anthropology من ألزم المراجع للباحث فى التاريخ الأفريقى لا باعتبارها علماً مساعداً فقط وإنما لاحتوائها على حقائق تاريخية .

وتختلط كتب السيرة النبوية وكتب أحاديث الرسول وكتب التاريخ الاسلامى ، اختلاطا تكامليا بحيث يمكن القول أن الباحث فى التاريخ الإسلامى لا غنى له عن مراجعة كتب الدين بفروعها المختلفة ، وكتب الدين الاسلامى فى قسم (٢٠٠)[١]

هذه ملاحظات مبدئية أضعها بين أيدى طلابى ، والباحثين ، ثم نشرع الآن فى الحديث بايجاز عن قسم التاريخ فى المكتبات وعلاقته بالأقسام الأخرى : التصنيف الذى تستخدمه المكتبات فى معظم بلاد العالم العربى هو تصنيف ديوى العشرى Dewey Decimal Classification وهذا التصنيف يقسم المعرفة لعشرة أقسام ، آخرها هو التاريخ ، ويعطى هذا التصنيف لكل قسم رمزا رقميا على النحو التالى :

من ٠٠ إلى ٩٩	معارف عامة
من ١٠٠ إلى ١٩٩	فلسفة وعلم نفس
من ٢٠٠ إلى ٢٩٩	الديـــــن
من ٣٠٠ إلى ٣٩٩	علوم اجتماعية
من ٤٠٠ إلى ٤٩٩	اللغـــــات
من ٥٠٠ إلى ٥٩٩	العلوم بحتة
من ٦٠٠ إلى ٦٩٩	العلوم التطبيقية
من ٧٠٠ إلى ٧٩٩	الفنـــون
من ٨٠٠ إلى ٨٩٩	الأدب
من ٩٠٠ إلى ٩٩٩	الجغرافيا والتاريخ

(١) عَملَ كاتب هذه السطور فترة من حياته فى مجال المكتبات وتصنيف الكتب ، وما ذكرته هنا خبرات وملاحظات أقدمها بين أيدى المهتمين بالبحوث التاريخية .

فاذا ما انتقلنا إلى القسم الأخير وهو الذى يهمنا بشكل أساسى وجدنا التقسيمات لهامة التالية :

٩٠١ كتب الحضارة

٩٠٢ الكتب الموجزة أو الملخصة فى التاريخ والجغرافيا
(الكتب هنا ذات طابع عام)

٩٠٣ القواميس التى تتناول المصطلح التاريخى والجغرافى

٩٠٧ تعليم التاريخ

٩٠٩ تاريخ العالم (عام)

٩٢٠ تراجم الأشخـــاص

من ٩٣٠ إلى ٩٣٩ التاريخ القديم

وينقسم على النحو التالى :

٩٣١ التاريخ القديم للصين

٩٣٢ تاريخ مصر القديم

٩٣٣ تاريخ فلسطين القديم

٩٣٤ تاريخ الهند القديم

... .

٩٣٧ تاريخ روما القديم

٩٣٨ تاريخ اليونان القديم

من ٩٤٠ إلى ٩٤٩ تاريخ أوربا :

٩٤١ اسكتلندا وايرلندا

٩٤٢ انجلترا

٩٤٣ المانيا

٩٤٤ فرنسا

٩٤٥ ايطاليا

... ... الخ

من ٩٥٠ إلى ٩٥٩ تاريخ آسيا :

٩٥١ تاريخ الصين

٩٥٢ اليابـان

٩٥٣ شبه الجزيرة العربية

٩٥٤ الهنـد

٩٥٥ إيـران

٩٥٦ الشرق الأدنى

٩٥٧ سيبيريـا

٩٥٨ آسيا الوسطى

٩٥٩ جنوب شرق آسيا

٩٦٠ – ٩٦٩ تاريخ أفريقيا :

٩٦١ شمال أفريقيا

٩٦٢ مصـر

٩٦٣ الحبشـة

٩٦٤ مراكـش

٩٦٥ الجزائر

٩٦٦ افريقيا الغربية

٩٦٧ افريقيا الوسطى

٩٦٨ افريقيا الجنوبية

٩٦٩ جنوب المحيط الهادى

٩٧٠ - ٩٧٩ أمريكا الشمالية :

٩٧١ كنـدا

٩٧٢ المكسيك

٩٧٣ الولايات المتحدة الأمريكية

٩٨٠ - ٩٨٩ أمريكا الجنوبية :

٩٩٠ - ٩٩٩ المحيط الهادى :

٩٩١ أندونسيا

. . . الخ[١]

وهناك ملاحظة أخرى وهى أن كل المكتبات تَعْزل القواميس ودوائر المعارف والكتب العديدة المجلدات فى مكان خاص أو قاعة خاصة يطلق عليها اسم قاعة المراجع وذلك غير مجموعة الكتب الأخرى . ولابد للباحث أن يتنبَّه لذلك . كما أن المخطوطات لاتحفظ فى المكان الذى تحفظ فيه الكتب المطبوعة .

استخدام فهرس المكتبة :

وفى معظم المكتبات أربعة فهارس رئيسية هى :

١ - **فهرست المؤلف** : حيثَ تَصف البطاقات صفا هجائيا باسم المؤلف وغالبا ما يُتخَّذ الاسم الأخير أساساً للترتيب فمثلا محمد بن اسماعيل البخارى تجده فى حرف الباء (البخارى ، محمد بن اسماعيل) وبعض المكتبات لا ترتب البطاقات بالاسم الأخير إلَّا فى حالة الأسماء السابقة على سنة ١٨٠٠ أما الأسماء بعد هذا التاريخ فتجدها فى الاسم الأول للمؤلف . مثلا : طه حسين تجده فى حرف الطاء (طه) وليس فى حرف الحاء (حسين) .

٢ - **فهرست العنوان** : يتكون من نفس البطاقات ولكن أساس صف البطاقات هو العنوان وليس اسم المؤلف . مثال : الاسلام والثقافة العربية فى أفريقيا تأليف الدكتور حسن محمود تجده فى حرف الألف (الإسلام والثقافة العربية . . . الخ) .

٣ - **الفهرست المصنف** : وترتب البطاقات فيه وفقا لرقم التصنيف ، فمثلا تاريخ أوروبا تجده فى الأرقام من ٩٤٠ إلى ٩٤٩ . . (راجع موجز أرقام التصنيف التى ذكرناها سابقا) .

٤ – **فهرس الموضوع** : وترتب فيه البطاقات تحت رؤوس موضوعات مثل : الانثروبولوجيا ، المماليك ، العثمانيون . . الخ .

وهذا الفهرس غير موجود فى كثير من المكتبات لصعوبة استخدام رؤوس الموضوعات .

ضرورة الرجوع لفهارس المكتبات المطبوعة :

يضطر الباحث لمعرفة ما هو مكتوب فى مجال بحثه فى المكتبات الأخرى غير مكتبات دولته ، ولما كان الانتقال إلى كل مكتبات العالم أمر صعب ، لذلك يمكن للباحث أن يطلع على عناوين ما هو موجود فى تلك المكتبات بواسطة فهارسها المطبوعة والتى غالبا ما تكون موجودة فى مكتبات بلده . ذلك أن المكتبات الكبرى فى العالم تطبع فهارسها وتُهديها إلى المكتبات فى البلاد الأخرى .

ومن الفهارس المطبوعة ، والموجودة فى مكتبات جامعات المملكة السعودية على سبيل المثال :

– **النشرة المصرية للمطبوعات** التى تُصدرها دار الكتب المصرية ، مُدرجَة فيها كل ما تنتجه المطابع المصرية .

– **فهرس المكتبة الظاهرية بدمشق**

– **فهرس مكتبة الكونجرس** . . . الخ

وبطبيعة الحال ، فإن فائدة هذه الفهارس لا تتعدى الإفادة عما هو موجود فى مجال بحث الباحث . أما إن ازاد الباحث استعارة هذه الكتب أو قراءتها ، فليس أمامه إلّا واحد من سبل ثلاث :

(أ) أن يسافر إلى حيث توجد هذه المكتبة .

(ب) أن يراسل هذه المكتبة ويطلب منها تصوير ما يريده نظير مبلغ معلوم .

(جـ) أن يطلب من المسئولين فى المكتبات فى بلده ، ليستعيروا له هذا الكتاب من المكتبة الأخرى بضمانها – أى بضمان مكتبة بلده – وذلك إذا كان نظام تبادل الاستعارات بين المكتبات معمولا به .

الباب الثالث

عصور التاريخ

حدودها الزمنية وأهم سماتها الحضارية
وتأثير ذلك على المنهج

- فى استمرارية التاريخ .
- العصور القديمة .
- بعض الأحداث الهامة فى التاريخ القديم .
- العصور الوسطى .
- بعض الأحداث الهامة فى التاريخ الوسيط .
- التاريخ الحديث .
- من أهم الأحداث والسمات الحضارية للتاريخ الحديث .
- التاريخ علم حى .
- أمناطق بلا تاريخ ؟ ! .
- العصر والمنهج .

حاول المؤرخون وضع علامات على مسيرة الزمن ، على نحو ما نضع علامات على الطريق الطويل لتبيان المناطق الحَضَرِية الهامةِ أو للدلالة على المسافة التى انصرمت . لكن هذه العلامات على الطريق لا تعنى انقطاعه ، فالطريق مُنْساب مستمر ، وهذه مجرد علامات. وإذا كان وضع العلامات على طول الطريق أمراً واضحاً لأنه مادى – أى الطريق والعلامة ، فإن تقسيم مسيرة الزمن أو مسيرة التاريخ أمر صعب لأن مسيرة الزمن أمر معنوى . ولأن الانتقال من عصر إلى عصر أو من مرحلة تاريخية إلى مرحلة تاريخية أخرى أمر لا يتسم بالفجَاءة وإنما يتم هذا التغير هَيِّنا لَيِّنا وَئِيدا .

ومع هذا فإن تقسيم التاريخ إلى عصور أمر لازم وضرورى أو لنقل انه مسألة لابد منها لأغراض عملية إذ من الصعب أو المستحيل أن يتخصَّص الباحث أو المؤرخ فى التاريخ كله ، كما أن لكل مرحلة سماتها الخاصة ولونها الحضارى ، بل أن لكل مرحلة أو عصر تاريخى أدواته البحثية المتميزة نوعا ما عن الأدوات البحثية للعصور الأخرى . لكل أولئك الأسباب كان حتما أن يفكر الباحثون فى تقسيم التاريخ إلى عصور .

ومع هذا التقسيم يجد الباحث فى مرحلة تاريخية أو عصر تاريخى نفسه مضطرا فى كثير من الأحيان للرجوع إلى مصادر المرحلة السابقة أو العصر السابق لتتبع جذور ظاهرة أو معرفة ظروف نشأتها « فمثلا لكى نفهم نظام الضرائب فى العصر الحاضر لابد من الرجوع إلى أصولها فى الدولة الإسلامية وفى كتب الخراج . . ولكى نفهم نظام انتقال الملكية العقارية فى العصر الحديث فى أوروبا لابد من الرجوع إلى أصول هذا النظام وصوره فى العصر الاقطاعى فى القرن الثالث عشر للميلاد . . »[1]

لقد بدأت العصور التاريخية منذ أن عرف الانسان الكتابة وكان هذا حوالى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، ولا تزال هذه البداية قابلة لتمتد صُعُدا فى الزمن كلما نمت أساليب المعرفة التاريخية وعاونتها الأساليب المنبثقة عن التطور العلمى . فواقع الأمر أن تقسيم

---

(١)طرخان ، ابراهيم على : مدخل إلى علم التاريخ . مذكرة مطبوعة على الاستنسل ص ٤٢ .

التاريخ البشرى قسمين كبيرين هما العصور التاريخية وعصور ما قبل التاريخ لا يعتمد فقط على اتّخاذ معرفة الإنسان الكتابة كحد زمنى للفصل بين الحقبتين ، وإنما يعتمد بالاضافة لذلك على أن كَمَّ المعلومات المتوفِّر لدينا عن عصور ما قبل التاريخ قليل لا يتيح لنا صياغة عامة للحياة والحضارة فى ذلك العصر . فإذا ما تطور العلم التكنولوجى ، وقد أصبح من العلوم المساعدة للتاريخ - خاصة التاريخ القديم وما قبل التاريخ باستخدام الكربون المشع ، فى تحديد عمر الأثر وما إلى ذلك . نقول إذا ما تطورت أساليب البحث التاريخى على النحو المشار إليه وأصبح فى مكْنَتنا أن نحصل على تفاصيل ثرَّة ومعلومات وافرة عن هذه الحِقَب القديمة ، ساعتها سيمتد العصر التاريخى صُعُدا فى الزمن وقد يبدأ من ٤٠٠٠ قبل الميلاد أو قبل ذلك . أما فى ظل المعلومات المتوفرة الآن فان المؤرخين يميلون إلى تقسيم العصور التاريخية إلى ثلاثة ، وإن اختلفوا قليلا فى تحديد بداياتها والنهايات :

١ - العصور القديمة أو التاريخ القديم ، ويبدأ تقريبا من ٣٠٠٠ ق.م. حتى ٤٧٦ للميلاد ، ذلك أن القسم الغربى من الامبراطورية الرومانية قد سقط فى هذا العام على أيدى البرابرة ، وهناك من يفضل جعل سنة ٣٩٥ للميلاد حدا زمنيا تنتهى عنده العصور القديمة وهوالعام الذى انقسمت فيه الامبراطورية الرومانية إلى شرقية عاصمتها القسطنطينية[١] وغربية عاصمتها رَافْنا فى الشمال الشرقى لإيطاليا[٢] . ولا يختلف الوضع كثيرا فى منطقتنا العربية والإسلامية فسنة ٥٧١ هى نهاية التاريخ العربى القديم باعتبارها سنة ولادة الرسول محمد عليه السلام أى أن نهاية التاريخ القديم العربى لم تتأخر إلا أقل من مائة سنة بالنسبة لنهاية العصر التاريخى القديم فى أوروبا .

---

(١) ظلت الامبراطورية الرومانية الشرقية التى عرفت بالبيزنطية بعد سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية بأكثر من ألف عام ثم انتهت على يد الفاتح العثمانى محمد الفاتح بسقوط القسطنطنية ١٤٥٣ م .

(٢) تم إحياء هذه الامبراطورية الرومانية الغربية بعد ذلك فى العصور الوسطى بتتويج شارلمان امبراطور فى روما سنة ٨٠٠ م .

انظر : دافيز ، هـ . و . دافيز : شارلمان . ترجمة الدكتور السيد الباز العرينى ص ١٦٧ - ١٨٠ .

وقد شهدت العصور القديمة حضارات زاهرة نذكر منها[1] :

(أ) الحضارة السومرية (من ٣٦٠٠ ق .م إلى ٢٣٥٧ ق .م تقريبا) وحققت هذه الحضارة ازدهارها فى العراق القديم « ميزوبوتاميا » حوالى ٣١٠٠ ق.م . وبدأ المؤرخون فى تسجيل وقائع تاريخهم ، وقد اكتشف الباحثون وجود بعض الكتابات السومرية الأدبية تسبق تأليف الالياذة بحوالى ألف سنة .

(ب) ولقد انتقلت الحضارة السومرية إلى بابل فى الحوض الأدنى لميزوبوتاميا (العراق القديم) واستمرت هذه الحضارة البابلية إلى سنة ٦٧٩ قبل الميلاد ، وقدمت هذه الحضارة للبشرية تشريعات حمورابى الشهيرة .

(جـ) أما الحضارة الأشورية فقد عاصرت الحضارة البابلية . وإذا كانت الحضارة البابلية قد قدمت للبشرية انجازات رائعة فى مجال التشريع ، فإن أشور قد طورت أساليب الكتابة . ولقد قام أشوربنيبال ملك أشور Assyria (٦٢٦ ق.م.) بانشاء كثير من المكتبات منها مكتبة نينوى Nineveh الشهيرة .[2]

(د) الحضارة المصرية القديمة : انتعشت هذه الحضارة فى وقت مُزَامِن لحضارات ميزوبوتاميا (العراق القديم) وأقدم الكتابات المصرية المعروفة تعود لسنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، على أن الحضارة المصرية أكثر إيغالا فى التاريخ من ٣٠٠٠ قبل الميلاد إذ أن من أقدم الأسانيد التاريخية التى نعرفها الآن والتى تؤكد ذلك رأس دبوس حجرى Mace-head ينسب لملك يسميه الأثاريون الملك العقرب ذلك أن اسمه كان يكتب باللغة

---

(١) يمكن معرفة إلمامة عن هذه الحضارات من أى كتاب من كتب التاريخ القديم وإن كنا قد اعتمدنا على عدة مراجع لتوفرها بين أيدينا عند كتابة هذا الفصل ومنها :

– مايرز ، ح.ل. فجر التاريخ . ترجمة على عزت الانصارى . مراجعة الدكتور عبد العزيز كامل . القاهرة ، مركز الشرق الأوسط ، ١٩٦٢ .

– الفصل الأول من كتاب جين كى جيتس : دليل القارىء والباحث عن استخدام الكتب والمكتبات . ترجمة الدكتور عبد الرحمن عبدالله الشيخ الكويت ،دار البحوث العلمية ، ١٩٧٨ . والفصل المذكور عن تاريخ الكتب والمكتبات عبر العصور .

– على ابراهيم حسن : التاريخ الإسلامى العام . القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ، عام ١٩٧٧ .

(٢) عن مادة الكتابة لديهم وطبيعة الخط المسمارى أو الاسفينى انظر ما كتبناه عن النقد المادى للوثائق فى هذا الكتاب .

المصرية القديمة على شكل عقرب . ومينا موحد مصر يرجعه المؤرخون إلى فترة تعود قدما من ٣٣٠٠ قبل الميلاد ، إلى ٣١٠٠ قبل الميلاد ، وكانت حاضرة مصر على أيام مينا هى طيبة إلى الغرب من جرجا وهى مدينة فى صعيد مصر ، كما كانت أبيدوس هى العاصمة الدينية وعلى أيام مينا أيضا تم تشييد منوفر Menofer التى عرفها الإغريق باسم ممفيس وعرفها العرب باسم منف . ومنوفر أو ممفيس أو منف أسست عند رأس مثلث الدلتا بين الوجه البحرى والوجه القبلى أو صعيد مصر واتخذها ملوك الأسرة الثالثة حاضرة أو عاصمة لهم واستمرت منف عاصمة حتى سنة ٢٣٦٠ قبل الميلاد (حاليا فى مركز بنى سويف) وهذا لم يُلغ دور منف فقد ظلت مدينة هامة .

(هـ) بعد حوالى ١٢٠٠ سنة قبل الميلاد كان الفينيقيون سادة البحر المتوسط وفينيقيا فى التاريخ القديم هى الشريط الساحلى الضيق الذى يبلغ طوله ١٠٠ ميل وعرضه عشرة أميال ، والذى يقع بين سوريا الحاليّة وساحل البحر المتوسط ، ولقد كانوا رجال بحر وتجارا من الطراز الأول .

(و) الحضارة الصينية : عرف الصينيون الكتابة فى الألف الثالثة قبل الميلاد وقد شهدت الحضارة الصينية كثيرا من المفكرين والفنانين لكن أشهرهم هو كونفوشيوس المصلح الكبير الذى لم يَدَّعِ أن وحيا يهبط عليه من السماء ولكنه وصف نفسه بالمصلح . ففى القرن الخامس قبل الميلاد ولع كونفوشيوس بالتأمل فى نظم الحكم وإصلاح حال الرعية وراح يدعو حكام الصين لاعتناق مبادئه لكن واحداً منهم لم يُرحِّب بذلك فعرف كونفوشيوس عن مجال الحكم والسياسة وأسس مدرسة وكان كونفوشيوس مُبَشِّراً بنظرية السلطة المطلقة العادلة . ولقد أثرت قوانين كونفوشيوس فى تاريخ الصين حتى بعد موته ويشير إليه الصينيون بالحكيم .

(ز) الحضارة اليونانية : فى بداية الألف الثانية قبل الميلاد كانت كريت Crete مركزا لحضارة متطورة ، وانتشرت هذه الحضارة فى بلاد اليونان . وقبل نهاية القرن الخامس عشر قبل الميلاد كانت هذه الحضارة تعم منطقة بحر ايجه Aegean Area ولقد كان القرن الخامس قبل الميلاد هو العصر الذهبى للحضارة اليونانية ، وهو الفترة التى تميَّزت بالآداب الخلاقة كتراجيديات سوفوكليس وايخيليوس ويوربيدز ,Sophocles, Aechylus Euripides وتاريخ هيرودوت Herodotus وأشعار بندار Pindar وتاريخ ثيوسيدبس Thucidides وكوميديات أرستوفان وفلسفة سقراط . وهذه الفترة التى تميزت بالانتاج

الأدبى والفكرى الراق امتدت تأثيراتها إلى القرن الرابع بل والثالث قبل الميلاد . وتمثل هذا التأثير فى أعمال أفلاطون Plato وارسطو Aristotle ، كما كان هذا التأثير أيضا فى مجال الدراما والشعر والخطابة Oration والموسيقا .

والفترة الهيلينستية Hellenistic هى الفترة التى تبدأ من وفاة الاسكندر ٣١٣ ق .م . حتى الغزو الرومانى وشهدت هذه الحقبة استمرار النشاط الأدبى الذى كان سائدا فى القرن السابق مع تركيز خاص على المعارف العلمية .

(ح) الحضارة العربية القديمة (السابقة على الاسلام) وقد اصطلح الباحثون على تسميتها بالجاهلية ، والجاهلية قد تكون مشتقة من الجَهْل الذى هو ضد العلم ، وقد تعنى عصر السفه والغضب والحمق وعدم الانضباط ، ومن الناحية التاريخية فإن عصر الجاهلية يطلق اصطلاحا على تاريخ الجزيرة العربية فقط قبل ظهور الاسلام .

وشهدت جزيرة العرب فيما قبل الإسلام بعض الممالك ، كمملكة معين فى الألف الثانية قبل الميلاد ، ومملكة سبأ الشهيرة والتى امتدت حضارتها فى الفترة من ٩٥٠ إلى ١١٥ قبل الميلاد ، وقد شهدت بلاد العرب الشمالية إمارتين تابعتين هى إمارة الحيرة (جنوب الكوفة) وأمارة الغساسنة .

كما شهد تاريخ العرب قبل الإسلام مُدنا زاهرة كمكة والمدينة والطائف وكان عرب الجاهلية فى غالبيتهم على الوثنية ، مع وجود أقليات مسيحية ويهودية صائبة[1] .

بعض الأحداث الهامة فى التاريخ القديم :

١ – أخناتون ودعوة التوحيد الأولى على ضفاف النيل :

كان التوحيد والتفكير فى الإله هو الشغل الشاغل لأخناتون أو أمنحوتب الرابع (١٣٧٥ – ١٣٥٨ قبل الميلاد) لقد انقطع اخناتون للتأمل ، ولم يكن راضيا بحال عن تعدد الآلهه فى مصر ، واستغراق هذا الملك فى التأمل الفلسفى ، رغم أبهة الملك ، وزينة المال والولد ، ومتعة الزوجة رائعة الجمال نفرتيتى ، يستدعى التوقف والتأمل طويلا .

---

(١) حسن ، على ابراهيم : التاريخ الإسلامى العام – القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٧٧ . ص ٢٨ – ١٦٨ .

لقد كان المصريون إلى أيام أخناتون يعبدون آلهة عدة على رأسها آمون رب الأرباب . وكان معبد آمون الرئيسى فى طيبة عاصمة مصر .

لكن اخناتون راح يناجى إلها هو « خالق كل شىء » وهو الذى يجعل « الكتكوت يصيص فى بيضته » وجعل أخناتون الشمس رمزاً لهذا الإله ، لكن كهنة آمون أبوا عليه ذلك ، لذلك نقل اخناتون عاصمة بلاده من طيبة وبنى له عاصمة جديدة فى تل العمارنة أسماها أخيتاتون ، وكما يحدث فى كل حركات الاصلاح الدينى ، عمد أخناتون إلى مَحْو الآثار التى تشير إلى اسم آمون ، حتى تلك التى نقشها أبوه . لقد كانت دعوة أخناتون صريحة للتوحيد ونادى بالإخاء البشرى ، لكن الكهنة أخمدوا دعوته وعبدوا الأصنام من جديد وخربوا عاصمته بعد وفاته ١٣٥٨ قبل الميلاد .

٢ – ومن أهم الأحداث فى التاريخ القديم ، والتى لعبت دورا هاما وأساسيا فى تاريخ أوروبا ، بل والمعتقد المسيحى ، اجتماع نيقية سنة ٣٢٥ للميلاد والذى عرف باسم مجتمع نيقية[1] المَسْكونى ، وهو أهم المجامع الكنسية على الاطلاق .

لقد عقد هذا المجمع بعد أن استشرت الفوضى العقائدية بين المسيحيين. فوضى وخلافات تمس جوهر العقيدة وطبيعة الاله . هل المسيح اله أم ابن الله ، هل هو بشر رسول ؟ أم اله ؟ أم يجمع بين الألوهية والبشرية ؟ ألابد أن يتهوَّد الإنسان قبل أن يتمسَّح ؟ وكيف التوفيق بين كون الإله أبا وابنا وروحا قدسا وهوفى نفس الآن واحد ؟

من هنا تشتت الكنائس لمذاهب شتى ، ووضعت كل كنيسة قانون إيمان جعلت الخارج عنه كافرا ، ومن هنا أتت أهمية مجمع نيقيا المسكونى والمسكونى صفة تعنى أنه ضم ممثلين عن كل الكنائس المسيحية ، أو ممثلين من كل المسكونة أى الأرض . ولم يخرج مجمع نيقيا باجتماع الآراء ، وإنما كانت طبيعة المسيح مسألة اقتراع أو انتخاب أو استفتاء .

لقد عقد مجمع نيقية بإيحاء من السلطة الزمنية (الامبراطور قسطنطين) . لقد كان الامبراطور يريد لامبراطوريته أن تستقر ويخشى أن تتحول الخلافات الدينية إلى خلافات سياسية « فلم يكن اعترافه بالمسيحية وتأييده لها سوى مظهر من مظاهر السياسة المدنية لتثبيت أركان امبراطوريته » .

---

(١) نيقية فى آسيا الصغرى على بحيرة إسكانيا ، وكانت قريبة من المقر الامبراطورى الصيفى .

وكان أهم انشقاق فى الكنيسة ، هو ذلك الانشقاق الذى تسبب فيه اكليركى تابع لأبرشيه الاسكندرية اسمه آريوس خالف الأسقف السكندرى الكبير (اسكندر) وقد كان من رأى آريوس أن المسيح عليه السلام بشر وأنه مخلوق وأنه لا تثليث ، فالله واحد لا يتجزأ وأن المسيح ليس من معدن إلهى « فمن كان مخلوقا فهو فى مرتبة ثانية بعد الخالق ، وأن المسيح عليه السلام ليس أزليا فقد أتى حين من الدهر لم يكن له وجود ، أما الله سبحانه وتعالى فلا قبل له ولا بعد .

لاحظ عزيزى القارىء – أن تلك نفسها هى نظرة الإسلام للمسيح ، نادى بها آريوس قبل البعثة المحمدية بأكثر من ثلاثمائة سنة .

وقد لخص آريوس معتقده فى نقاط :

١ – كان زمن لم يكن فيه للمسيح وجود ، أو قبل أن يولد لم يكن .

٢ – خُلق من جوهر لم يكن موجودا من قبل (أى خُلق من العدم) .

٣ – خلق من جوهر يتميز عن جوهر الله (إنه ليس الله)

٤ – إنه مخلوق .

ثم ذكر آريوس فى أحد خطاباته « لا نرتد عن إيماننا هذا ولو هدّدونا بألف ميتة شنيعة » وظل الرجل شديد الإيمان بمعتقده حتى مماته .

لقد أصبح الانشقاق فى الكنيسة المسيحية ، خاصة أقوال آريوس وأتباعه خطرا على المسيحية ، وكاد هذا الانشقاق الدينى يهدد الوحدة السياسية للامبراطورية الرومانية ، فبعث الامبراطور رسائله إلى الاسكندرية يطلب من الأساقفة الكف عن الجدل فلم تَجد رسائله فتيلا ، فدعا أساقفة الكنيسة فى أوروبا وأفريقيا وآسيا إلى الاجتماع فى نيقية ، فحضر منهم للاجتماع ٣١٨ أسقفا تقريبا ومع كل منهم حاشية من مريديه ، ووضع قسطنطين القصر الامبراطورى تحت تصرف المجمع . وانقّسم المجتمعون إلى فئات ثلاث :

أولا : جماعة آريوس ، وكانوا أقلية نشطة وكان على رأسها أحد أتباع آريوس .

ثانيا : خصوم آريوس وعلى رأسهم اسكندر أسقف الاسكندرية .

ثالثا : فئة وسط حائرة لا تؤمن بعقيدة آريوس ولا بتزمّت كنيسة الاسكندرية

تهدف إلى تحقيق رغبة الامبراطور والتوفيق بين المتخاصمين . وعلى رأسهم يوسيبوس وهو مؤرّخ كنسى وعرف باسم القَيْصرى نسبة إلى قيصرية فى فلسطين .

وقدم الآريوسيون (قانون إيمان) ينص على المعتقدات التى سبق أن أشرنا إليها ، فأثار غضب جماعة اسكندر ، فقدم يوسيبوس وأعوانه (قانونا وسطا) وتعاطف الامبراطور مع هذا (الوسط) ولما وجد أن عددا كبيرا من الأساقفة لا يروقهم هذا القانون طلب تعديله ، وبعد التعديل طرح فحاز على أصوات الأغلبية وإن رفضته تماما جماعة آريوس ، لكن الامبراطور وقعه وأصبح ذلك هو قانون الإيمان الرسمى ، ونص هذا القانون على (لَعْن) أتباع آريوس الذين تعرضوا بعد ذلك لاضطهادات شديدة[1] .

(*) التاريخ الوسيط أو العصور الوسطى :

وتبدأ تقريبا من سنة ٣٩٥ وهو العام الذى انقسمت فيه الامبراطورية الرومانية إلى قسمين كما سبق أن أشرنا عند الحديث عن التاريخ القديم أو ٤٧٦ وقد سبق مناقشة هذا التاريخ كحد زمنى لنهاية العصر القديم . ويمكن القول إجمالا أن القرن الرابع للميلاد هو البداية المعقولة للعصر الوسيط . أما نهاية العصر الوسيط وبداية الحديث فهناك جمهرة كبيرة من المؤرخين تعتبر سنة ١٤٥٣ وهى سنة سقوط القسطنطينية على يد الفاتح التركى محمد الفاتح أساسا للتحديد . وإن كان هناك تواريخ أخرى لا تخلو من دلالة مثل سنة ١٤٥٠ حيث اخترع جوتنبرج الطباعة فكان حقا وصدقا فاتحة نشر الثقافة المبنية على الكلمة ويسرت للناس سبل الثقافة أو ١٤٩٢ حيث أكتشف كولمبس القارة الامريكية وحيث خرج المسلمون من أسبانيا أو ١٤٩٤ باعتباره عام التنسيق بين المسيحية على يد البابا فلم تتصارع قواها لفترة من الزمن إذ توسط البابا لعقد اتفاق بين أسبانيا والبرتغال تمثله معاهدة تورد سيلاسى[2] Tordosillac وإن كان هذا التاريخ الأخير لا يصلح مرتكزاً فى الواقع لتحديد نهاية عصر وبداية آخر لسبب بسيط وهو أن هذا الاتفاق بين القوى المسيحية ما لبث أن تفجَّر بعد ذلك .

---

(١) فريحة ، أنيس : دراسات فى التاريخ . بيروت ، دار النهار للنشر ، ١٩٨٠ ص ٢٣٨ – ٢٥٠

(٢) طرخان ، ابراهيم على : مدخل إلى علم التاريخ . مذكرة على الاستنسل ص ٤١ .

وهناك بعض المؤرخين والباحثين الأسبان يرون أنه من الأجدر اعتبار سنة ١٤١٥ هي بداية العصور الحديثة لأن القوى الأيبيرية دَحَرت المسلمين فى الأندلس ولم يبق منهم إلا كيان هش ، وأن القوى المسيحية استطاعت أن تتبع المسلمين فى الشمال الأفريقى فاستولت على سبته فى ذلك التاريخ « ففى ٢٥ يوليو عام ١٤١٥ غادر ميناء لشبونة قوة برتغالية ضخمة على ظهر اسطول من ٢٤٠ سفينة وحرصت البرتغال على إخفاء وجهة هذه الحملة حتى وصلت سفنها إلى ميناء سبته المغربى الذى فوجىء بهذا الغزو ودخل الغزاة المدينة . . . لذا يقول الضابط البرتغالى فاسكو دى كرافيالو : « أن هذا الحدث الخطير والعظيم أجدر بأن يعتبر بداية للعصور الحديثة من أن يتخذ سقوط القسطنطينية فى يد المسلمين ١٤٥٣ بداية لها »[1].

ويبدو أن هذا الرأى طرح فى مناخ يتوقع فيه العالم المسيحى إزالة العالم الإسلامى واقتلاع جذوره .

ومهما يكن من أمر ، فان اختلاف هذه التواريخ أمر يسير فكلها فى القرن الخامس عشر وبصرف النظر عن الرأى المتعصب الذى طالب باعتبار ١٤١٥ - نهاية للعصور الوسطى وبداية للحديثة فان باقى التواريخ فى النصف الثانى من **القرن الخامس عشر** .

أهم الأحداث التاريخية التى صبغت التاريخ الوسيط بصبغتها :

بعثة الرسول عليه السلام وهجرته والفتوح الإسلامية

ولد الهدى سنة ٥٧٠ للميلاد تقريبا ، وتلقى الوحى سنة ٦١٠ وجهر بدعوته سنة ٦١٣ فيتعرض لاضطهاد شديد فيوجه بعض صحبه للحبشة سنة ٦١٥ وفى سنة ٦٢٢ يهاجر للمدينة ، فكان لهذه الهجرة آثار عظيمة فى تاريخ الدعوة . كثيرة هى الكتابات عن الهجرة ، وليس هنا مجال تفصيل أحداثها ، لكن يهمنا أن نقول أنه منذ الهجرة ، والإسلام فى تقدم مستمر ، لقد كان فتح مكة سنة ٦٣٠ ، وتوفى الداعى الرسول سنة ٦٣٢ ومن يومها لم يحدث طوال مراحل التاريخ أن تقلصت خريطة العالم الإسلامى أو اعترى المعتنقون له نقص فى العدد ، حتى فى أحلك فترات الضعف .

---

(١) الجمل ، شوقى عطاالله : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث ص ٤٤ .

١ - طبيعة الإسلام نفسه هى العامل الأساسى فى رسم خريطة العالم الاسلامى منذ أن كان إسلام وحتى اليوم ، وطبيعة الإسلام نفسه بالإضافة إلى جهود المسلمين هى التى ستحدد اتساع هذه الخريطة وامتدادها فى مستقبل الأيام .

ونقصد بطبيعة الإسلام أنه **دين دعوة** أنزل للناس كافة أو بتعبير آخر أنه دين عالمى النزعة .

ومثل هذه الكلمات تتكرر كثيرا لدرجة أن كثيرين منا باتوا لا يعرفون ما تنطوى عليه هذه الكلمات من أفكار ومن أحاسيس أيضا . لذلك فإن الأمثلة والشواهد تعيد إلى أذهاننا الخصوبة وتجعل أفكارا جديدة تَنْبَثِقُ فى عقولنا وفى قلوبنا .

إن المسلم - وكذلك النصرانى - يَسعد سعادة كبيرة عندما يرى شخصا يتحول إلى دينه ؟ فماذا تعنى هذه السعادة ؟ إنك كمسلم تعتقد أنك على حق ، وتعتقد أن معتقدك أو دينك هو الصحيح وأنه سيؤدى بك إلى حياة أخروية سعيدة مع الحور العين وعلى ضفاف أنهار من خمر ولبن وعسل مصفى ؟ ومعنى أنك تسعد أو تفرح عند دخول غير المسلم فى دينك أنَّكَ ترحب به شريكا فى هذا النعيم ! والمسلم لا يكتفى بالترحيب بمن يدخل فى دينه بل هو يسعى إلى ذلك أو هو **يدعوه** أو يبذل قصارى جهده لإقناعه بدخول الدين الحق . ألا يدل هذا على طيبة قلب وعلى سلامة طَوِيَّة ، وعلى فكر ذاخر بحب الناس كافة ؟ وَرُب قائل إن كل الأديان على هذا النحو والإجابة فورا : كلا ، فاليهودى يعتقد أن اليهودية قَصْر عليه كجنس أو كشعب ، لذلك فهو لا يرحِّب بك لو أردت دخول دينه ،ولا يدعوك إليه. إن الله هو ربه هو فقط فيما يرى، واليهودية دين وجنس معا ، إنها مقتصرة عليهم . ونفس الشيء بالنسبة للبَرْهمية والزرَادشْتِية مع فارق بسيط وهو أن البراهمة والزرادشتيين لا يدَّعون أصولا عرقية واحدة . لهذا فهى أديان مُنْقرضة بالضرورة إذا انقرض الجنس أو اعترى المعتنقين الحاليين فناء أو عقم أو وباء . أو على أحسن تقدير أنها أديان فى تناقص مستمر .

٢ - أما الإسلام فلم يحدث منذ أن كان اسلام أن اعترى المعتنقين له تناقص عددى . . إنه فى زيادة مستمرة حتى فى أكثر المراحل التى مر بها المسلمون صعوبة وشدة . وتلك حقيقة سنشير لها فى أكثر من موضع فى هذه الدراسة ، وهذا يرجع كما سبق القول إلى أنه **عالمى** النزعة ، وقد ظهرت هذه العالمية لا فى نصوص القرآن الكريم فحسب ، وإنما فى الوقائع التاريخية ومنذ بداية عهد الإسلام فقد كان من بين صحابة

الرسول الأوائل ممثلون لكل أجناس البشر فقد كان هناك صهيب الرومى وسَلْمان الفارسى وبلال الحبشى أما الجنس الحامى فهو مُختلط بالجنس السامى منذ البداية ، لذا فأم ابراهيم (مارية القبْطية) قد تكون حامية وقد تكون سامية وأم العرب هاجر قد تكون حامية وقد تكونْ سامية وقد تكون الدماء الحامية والسامية تجريان فى عروقها معا .

يبدو أن كل هذا ليس صدفة وإنما هى **وقائع تاريخية تؤكد عالمية الدعوة .**

٣ – ثم أننا نلاحظ أن توجيهات الرسول ومراسلاته الباكرة كأنها كانت ترسم الطرق التى سارت فيها الفتوح والدعوة بعد ذلك . ففى سنة ٦١٥ أى قبل الهجرة بسنوات سبع هاجر بعض المسلمين للحبشة ، وهو نفس الطريق الذى سلكه الإسلام لشرق القارة الافريقية بعد ذلك وأرسل الرسول خطابا للمقوقس حاكم مصر الذى أهداه مارية القبطية ، وعن طريق مصر انتشر الاسلام فى المغرب بعد ذلك وسار صُعُدا فى وادى النيل وأرسل الرسول خطابا لهرقل قيصر الروم وكسرى فارس وحاكم اليمن . . وكل هذه المراسلات كانت سنة ٦٢٨ م أو حوالى السنة السادسة للهجرة .

لو تتبعنا حركة انتشار الاسلام بعد ذلك لوجدناها تتبع نفس الخطوط أو التوجيهات فقد خرج الإسلام من الجزيرة وانتشر فى آسيا وأفريقيا وأوروبا . ففى أفريقيا دخل الإسلام عن طريقين أساسيين هما : مصر والبحر الأحمر أو مضيق باب المندب . وفى آسيا اتخذ الاسلام طريقه للشام (الروم) ثم العراق وفارس وفى الطرف الغربى للقارة الأفريقية حمل البربر ومعهم العرب.مهمة نشر الإسلام شمالا للأندلس وصقلية وجنوبا عبر الصحراء الكبرى إلى أفريقيا الزنجية . أما طريق البحر الأحمر أو باب المندب فقد انتقل عن طريقه الإسلام إلى الحبشة وكينيا وتنزانيا أو شرق القارة الأفريقية بل وتغلغل إلى أعالى الكونغو ، وأعالى النيل (أوغنده) وسواحل البحر الأحمر الغربية (ارتريا وجيبوتى وشرق السودان) والتقى هذا الجهد مع الجهد الآتى من النيل الأدنى صاعدا إلى السودان ، ذلك الجهد الآتى من مصر .

ولم يتوقف خط انتشار الإسلام المتجه شرقا عبر آسيا عند حدود إيران بل لقد وقف قتيبه بن مسلم الباهلى على أبواب الصين يدق بابها ودخل الإسلام الصين وكان الرقم المعُلن عن عدد المسلمين فى الصين سنة ١٩١٠ هو ٨٠ مليون مسلم . وحمل الأتراك الآسيويين فكرة الإسلام إلى آسيا الصغرى وإلى عمق القارة الأوربية بل ودق الأتراك العثمانيون أبواب فيينا .

وهذه الخطوط التى سار فيها الإسلام لم تكن مفاجأة وإنما كانت تسبقها إرهاصات تاريخية سبق أن أشرنا إليها . إرهاصات يمكن أن نصفها بأنها إعجاز تاريخى .

إرهاص تاريخى آخر يمر علينا دون أن نتنبه له . لقد حدد الرسول عليه السلام مواقيت للإحرام للحج ، فحدد الجحفة أو رابغ ميقاتا مكانيا لأهل مصر وما يليها غربا وذات عِرْق (شمال شرق مكة) ميقاتا لأهل العراق وما يليها ، وقرن المنازل (بالقرب من السيل) ميقاتا لأهل نجد وما يليها شرقا . ويلملم (جبل جنوب مكة) ميقاتا لأهل اليمن . أما ميقات أهل المدينة فذى الحليفة (آبار على) . لقد كان الرسول على وعى تاريخى كامل بأن كل تلك الأنحاء ستُسّلِم وستدخل فى دين الله أفواجا ، وإلَّا كيف نفسِّر تحديد هذه المواقيت مع أن الرسول قد توفى سنة ٦٣٢ م أو سنة ١٠ هـ ولم تكن الشام أو مصر أو العراق ولا ما وراء ذلك كله قد فُتحت أو انتشر فيها الإسلام انتشاراً جماهيريا . ألا يدخل ذلك فى باب الإعجاز التاريخى[١] ؟ !

* * *

ذكرنا فيما سبق إلمامة يسيرة عن طبيعة الإسلام وأثره فى رسم خريطة انتشاره . كما ذكرنا إلمامة يسيرة عن الإرهاصات الثابتة تاريخيا عن انتشار الإسلام وامتداده . وما نحب أن نؤكده هنا أن خريطة توزيع المسلمين الآن لم تصل لمرحلة الثبات النهائى وإنما ما زال الإسلام قابلا للانتشار وعلى نطاق واسع ، فإذا كان الجغرافيون يقولون أن الإسلام ينتشر الآن (١٩٨٢) ما بين خطى عرض ٦٠° شمالا و٦ جنوبا تقريبا . أو مابين نهر روفوما (الحد الفاصل ما بين تنزانيا وموزمبيق) جنوبا وأعالى نهر الفولجا شمالا ، وما بين خطى طول ١٢٠ شرقا و١٨ غربا وأقصى شرق أندونيسيا إلى أقصى الساحل الغربى فى أفريقيا الغربية أو ما يسمى بطن أفريقيا . إذا كان هو التوزيع الحالى التقريبى – بالإضافة للأقليات الإسلامية فى أوروبا والأمريكتين واستراليا – فإن إمكانات الانتشار الإسلامى المستقبلى قائمة وبغير حدود ، ونضرب لذلك بعض الأمثلة :

---

(١) الشيخ ، عبد الرحمن عبدالله : خريطة العالم الإسلامى من منظور تاريخى حديد . مقال نشر فى جريدة السياسة (الهدف) الكويت ١٩٨٢/١١/٥ .

(أ) الوثنيون باختلاف فئاتهم فى القارة الأفريقية والذين يطلق على معتقدهم مسميات شتى مثل Paganism أو Fetishism أو Animism وهذا المصطلح الأخير يُترجم بالأرواحية – هؤلاء يعتبرون رصيدا مستقبليا للإسلام . ويلاحظ أن إسلام فرد واحد له وضعية اجتماعية فى هذه المناطق الوثنية يمكن أن يَجُر للإسلام قبيلة بأكملها أو شعبا بأكمله . آخر هؤلاء عمر بونجو رئيس الجابون وقد اعتنق الإسلام فى إثره كثيرون . وتشاد ليست دولة إسلامية فحسب وإنما هى على شفا عروبة والوثنيون فى جنوبها يمكن تحويلهم للإسلام بسهولة ، وأفريقيا الوسطى ووثنيو غابات الكنغو ورواندا وبوروندى وغير ذلك .

(ب) وفى الاتحاد السوفيتى قضت المسيحية نَحْبها ولازال المسلمون على معتقدهم ويحملون أسماءهم الإسلامية رغم كل شيء ، وفى الصين سحقت المسيحية ، ورغم كل محاولات سحق الإسلام فلازال المسلمون موجودين وقد زار صحفى عربى الصين سنة ١٩٨٠ ووجد أن الصينيين المسلمين لايزالون يمتنعون عن أكل لحم الخنزير وأن لهم مطاعم يقال لهم المطاعم الإسلامية لا يُطبخ فيها إلَّا ما أحل الله .

وهناك فكرة أساسية أريد تأكيدها هنا وهو أن تفريغ الناس من معتقداتهم الدينية المسيحية والبوذية وغيرها فى الدول التى تتخذ موقفا مناهضا للدين . . هذا التفريغ هو فى النهاية لصالح المُعتقد الإسلامى . لقد كان اللادينيون أو الوثنيون من الناحية التاريخية أسرع تقبلا للإسلام من غيرهم . فقد انتشر الإسلام انتشار النار فى الهشيم بين البربر وانتشار الاسلام المذهل بين المغول رغم انتصاراتهم العسكرية يجعل المؤرخ يقف متأملا . . .

لذلك فالباحث يتوقع بمجرد سقوط الأنظمة اللادينية وسطوتها العسكرية أو تحللها أو ظهور الفكرة المضادة على حد تعبير هيجل فإن الإسلام سيجد نفسه أمام أقوام ليس لديهم أى أرضية روحية فيكون تقبلهم له – أى للاسلام – سريعا . .

(جـ) أما فى أوروبا فنحن جميعا نعرف أن شرق القارة الأوربية ذاخر بأقليات إسلامية قوية بل إن دولة بأكملها مثل ألبانيا على البحر الأدرياتى تعتنق الاسلام رغم فرض المعتقد اللادينى . ولقد كان انتشار الإسلام فى أوروبا الغربية هذه الأيام مرتبطا بنمو الحركات الإلحادية أو اللادينية أو الحركات الرافضة للحضارة الحديثة .

(د) وفى الأمريكتين جماعات إسلامية مهاجرة وكان اعتناق الزنوج الأمريكيين للإسلام رغبة منهم فى الرجوع إلى أصولهم الزنجية وإلى دين آبائهم كما قال بعضهم كما كان رد فعل ضد التفرقة العنصرية إلى جانب المزايا الذاتية للاسلام .

وملاحظة أخرى على خريطة الإسلام وهى أنه **لم يحدث أبدا طوال مراحل التاريخ أن تقلصت هذه الخريطة أو نقصت** ، بل هى طوال مراحل التاريخ وحتى الآن فى ازدياد واتساع . وقد يكون هذا من قبيل الوجد الدينى أو المبالغة ولكنها فى الواقع حقيقة تاريخية . حتى فى مراحل الانهزام العسكرى كان الاسلام أيضا ينتشر وتتسع رقعته إما باعتناق الغزاة الإسلام وإما بتعويض تاريخى مزامن لا نجد له تفسيرا إلَّا عناية الله . وهناك أمثلة عديدة على ذلك .

فمنذ أواخر القرن الحادى عشر للميلاد والوجود الاسلامى فى تقهقر واضح فى شبه جزيرة أيبيريا أو الأندلس ، ففى ١٠٨٥ سقطت طليطلة فى يد نصارى الجزيرة بمعاونة الفرنجة ، وفى نفس الفترة تقريبا كان ألب أرسلان السلجوقى (١٠٦٣ - ١٠٧٢) يطرد البيزنطيين من معظم آسيا الصغرى ، وطوال هذه الفترة وما بعدها كان الأتراك يهاجرون غربا إلى آسيا الصغرى بالذات متتبعين آثار السلاجقة أبناء عمومتهم . ومن الطرف الآخر للعالم الإسلامى سقطت قرطبة سنة ١٢٣٦ ثم استمر الزحف المسيحى فسقطت أشبيلية سنة ١٢٤٨ . لقد بدأ الاسلام فى أيبيريا أو الطرف الغربى للعالم الإسلامى مضعضعا على وشك الانهيار . وفى ١٤٥٣ سقطت القسطنطينية فى يد المسلمين الأتراك العثمانيين . وفزعت أوروبا كلها واستدارت تاركة الانتصارات المسيحية فى أيبيريا لتواجه نكسات وهزائم أخطر عقب سقوط القسطنطينية. إن الإسلام من هذا الباب القسطنطينى صار أقرب لقلب أوروبا من حبل الوريد .

توازن ! توازن غريب ، ليبحث فلاسفة التاريخ عن تفسير له ، تزامن مدهش ! وسقطت آخر القلاع الإسلامية فى الأندلس وهى غرناطة سنة ١٤٩٢ بينما كان الإسلام متمركزا فى شرق أوروبا بل وكان فى مرحلة بعث وانتشار . وفى أوروبا اليوم دولة إسلامية يزيد عدد المسلمين فيها عن ٩٨٪ وهى ألبانيا ، لكننا أضحينا لا نعرف عنها إلا قليلا منذ غمرها الحكم الشيوعى .

وهكذا لم تنقص مساحة العالم الإسلامى ولا نَقُص عدد المسلمين أثناء المد المسيحى فى الأندلس وأثناء تفَلك العالم الإسلامى . ورغم التعصب الشرس الذى تعرض له

المسلمون فى الأندلس لدرجة أن المراجع تذكر أن أكثر من ثلاثة ملايين مسلم قد جرى قتلهم أو طردهم من أسبانيا حتى بداية القرن السابع عشر بغرض أن تكون أسبانيا واحديَّة الدين بمعنى ألَّا توجد بها ديانة أخرى غير المسيحية .

نضرب مثالا آخر بمرحلة تاريخية أخرى بدا فيها الإسلام وكأنه يحتضر ونعنى بها فترة الهجوم التترى أو المغولى على العالم الإسلامى وسقطت بغداد عاصمة الخلافة على يد هولاكو ١٢٥٦ م واجتاحوا فى طريقهم قبل بغداد المناطق المحيطة ببحر الخزر (قزوين) وبحيرة خوارزم (بحر آرال) وضموا كل مناطق وسط آسيا والتى تعرف باسم بلاد ما وراء النهر Trans Oxania ووصلوا جنوبا حتى ما بعد ممر خيبر وكانت سيطرتهم تمتد إلى كاشغر شرقا (ضمن الصين الآن) وصين الصين أى عمق الصين ، وفى كل هذه المناطق كان الإسلام أثناء الهجمة التترية . دينا موجودا فى كل هذه المناطق . وقويا ومحترما بل لقد كان فى صفوف التتار أنفسهم أعداد من المسلمين وصلوا لدرجة الوزارة وتولى حكم بعض الولايات ، بل لقد كان بَركة التترى أو المغولى منافس هولاكو على العرش مسلما . ولقد تولَّى بركة التترى المسلم حكم منطقة واسعة عرفت بالأورد الذهبى فى الفترة من ١٢٥٧ الى ١٢٦٦ وتولى مباركشاه التَتَرِى المسلم حكم خانية آل جغتاى بصفة غير رسمية قبل ١٢٦٦ وفى نفس العام عُيِّن حاكم رسميا على المنطقة ، ومباركشاه هذا هو الحفيد الثالث لجنكيز خان .

والواقع أننا مدينون بكثير من التفاصيل عن تاريخ الإسلام فى هذه الفترة شرق بغداد وحتى الصين لكتاب المستشرق الروسى بارتولد (١٨٦٩ - ١٩٣٠) والذى ترجم للعربية سنة ١٩٨١ تحت عنوان تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى . وتكفى هنا هذه الإشارات الموجزة حتى لا يخرج البحث عن هدفه . المهم أن هذا الغزو المغولى رغم أنه أسقط عاصمة الخلافة العباسية وجمد الحركة الفكرية فى العالم الإسلامى لفترة إلَّا أن هناك نتائج أخرى هامة انبثقت عنه كانت بالتأكيد لصالح خريطة العالم الإسلامى ، ولصالح زيادة عدد الداخلين فيه نوجزها على النحو التالى :

(أ) قضى المغول تماما على عصابة الحشَّاشين الاسماعيلية التى أسَّسها الحسن ابن الصباح سنة ١٠٩٠ شمال فارس وسوريا وقد ظلت قلاع هذه الطائفة ومبادؤها تثير الرعب فى العالم الإسلامى . ولم يُقْمع هذا الإرهاب نهائيا إلَّا بعد قضاء المغول على هذه الحركة الإسماعيلية فى القرن الثالث عشر للميلاد ولم يعد لشيخ الجبل وجود .

(ب) كان الصراع المذهبى البغيض والصراع القبلى أيضا بين العرب فى خوارزم وبلاد ما وراء النهر عاملا مُضْعفا للإسلام وقد لقّن المغول هؤلاء المتصارعين درسا قاسيا لم يعيشوا بعده ليدركوه وإن كان أبناؤهم وأحفادهم قد أدركوه يقينا . ولم يكن المغول أصحاب عقيدة ينشرونها لذلك لم يُجْبروا أحدا على اعتناق وثنيتهم الشامانية ، بل إن المغول- قبل غزو بغداد - كانوا فى الغالب الأعم يميلون للمسلمين أكثر من ميلهم للبوذيين والمسيحيين رغم جهود اتباع الديانتين لنشرهما .

(جـ) أما بعد غزو بغداد وهزيمة المغول على يد مماليك مصر فان ما حدث يدعو للتوقف طويلا ، ولنقرأ معا ما كتبه روم لاندو وهو ما يدّرسه لطلبة التاريخ فى جامعة المحيط الهادى بكاليفورنيا فى الولايات المتحدة الامريكية : « وبعد أن غزا المغول سوريا ليصدهم عنها سلطان المماليك بيبرس ، وطّدوا أقدامهم فى فارس والعراق وانصرفوا إلى تعمير الأرض التى كانوا قد خَرَّبوها دون رحمة ، والواقع أن هذا التغّير المدهش الذى طرأ على سياسة المغول إنّما هو ثمرة من ثمار نفوذ الإسلام الممدَين المرّسخ ، فبعد أن احتل المغول الامبراطورية الإسلامية وجدوا أنفسهم فى وضع كالوضع الذى جابهه كثير من المنتصرين قبلهم : **لقد خضعوا لدين ضحاياهم وثقافتهم** » .

وهكذا أدى الغزو المغولى لإسلام المغول أنفسهم وتوثيق عرى الإسلام وتعميقه فى وسط آسيا وترسيخ أقدامه حتى حدود الصين بل وكان تدعيما للاسلام فى الصين نفسها .

وهكذا زاد عدد المسلمين واتّسعت رقعة العالم الاسلامى ولم تنقص ![1]

٣ - التاريخ الحديث :

منذ انتهى العصر الوسيط يبدأ العصر الحديث مع فترة انتقالية بينهما تضاف لرصيد التاريخ الحديث هى ما يطلق عليها عصر النهضة Renaisance.

(١) الشيخ ، عبد الرحمن عبدالله : خريطة العالم الاسلامى من منظور جديد . الحلقة الثانية ، مقال نشر فى جريدة السياسة (الهدف) الكويت ، ١٩٨٢/١١/١٢ .

ولا زلنا نعيش جميعا هذا العصر ، لكن الأحداث المعاصرة أو الموجودة الآن غالبا ما لا تكون موضوعا للدراسات الأكاديمية فى التاريخ لأنه كما سبق القول يتعين على الباحث التاريخى الأكاديمى ألّا يختار موضوعا لبحثه إلّا إذا توفر لديه جانب مهم من الوثائق وتلك جرى العرف فى دور الوثائق ألّا يُفرج عنها أو تكون مُشاعا بين أيدى الباحثين إلا بعد خمسين سنة على الأقل ، كما أن مرور فترة زمنية معقولة يجعل أبعاد الموضوع تتضح ويجعل الباحث أكثر قدرة على الحياد .

ويبدأ العصر الحديث باجماع عدد كبير من المؤرخين منذ سقوط القسطنطينية على يد محمد الفاتح سنة ١٤٥٣ . ذلك الحدث الرهيب الذى قرعت من أجله الكنائس أجراسها . وبداية التاريخ الحديث بهذا الحدث الدينى الفخم ، يدفع الدعوى القائلة بأن الدين لم يعد محركا للأحداث فى العصر الحديث ، فواقع الأمر أن الإسلام يشكل عاملا من عوامل الحقد التاريخى ضد الغرب والمسلمين ، ولقد كان لطبيعة فتح القسطنطينية ما يؤكد ذلك . وأحداث التاريخ ، كما تؤكد للمرة الألف ، لا تموت وإنما هى فى الضمائر والقلوب والشعور واللا شعور ، تؤثر فى الإنسان والحضارة ، وتحرك المشاعر واعية وغير واعية .

لقد ظهر الجيش العثمانى أمام أسوار القسطنطينية تحوطه دعوات العلماء وابتهالاتهم ، وكانت الروح الدينية غالبة على الجند الذين كانوا يعتقدون أنهم يؤدون واجبا مقدسا ، ولقد كانت المعارك تبدأ بصلاة السلطان ، وكان الجيش كله يصلى ، ورفض الامبراطور البيزنطى التسليم أكثر من مرة مما دعا محمد الفاتح السلطان الشاب (٢٢ سنة) إلى التوجه بجيشه قائلا « لقد وقفت هذه المدينة أعواما طوالا فى وجه الإسلام وتحالفت مع أعدائه . . لذلك فهى مباحة لكم . . » وبعد يوم واحد كانت المدينة فى يد المسلمين ، وعندما انتصف النهار دخل محمد الفاتح المدينة يمتطى صهوة جواده واتجه إلى الكنيسة الكبيرة (أيا صوفيا) ونزل عن جواده أمام بابها وعفر رأسه بالتراب تواضعا وشكرا لله وقابله رجال الكنيسة فأمنّهم ، ثم أشار إلى من أذن للصلاة فأذن لأول مرة فى هذه الكنيسة الفخمة الضخمة الرمز ، ومن يومها أصبحت مسجدا من أكبر مساجد الإسلام . لقد كان مطلع العصر الحديث هو « الله أكبر » تدوى فى أحد الكنائس . أيمكن أن يُنسى ذلك ؟ أيمكن ألاَّ يكون هذا حقدا فى صدور الأفراد وفى باطن الحضارة الأوروبية الحديثة ؟ لا أظن . إن كان الدين قد اختفى ظاهرا أو تعمدت القوى المحركة والمؤثرة فى التاريخ الحديث أن تخفيه إلّا أنه كامن خلف أحداث كثيرة .

من أهم الأحداث والسمات الحضارية للتاريخ الحديث :

نمو وسائل الاتصال ، وفيض المعرفة البشرية :

نمو وسائل الاتصال ، نقلا وهاتفا وبرقا ومذياعا وتلفازا ، ووكالات أنباء وصحافة ، ونمو مخزون المعرفة البشرى ، وتنظيم المعلومات ، واكتشاف أهميتها فى رسم السياسة ووضع الاستراتيجية ، وتصميم الاختراعات . . كل أولئك من سمات العصر الحديث . وكل أولئك شكَّل حياة الانسان وصاغها وجعل فيضا من المعلومات يهبط عليه وينهال . ممَّا يجعله حائرا حينا ، بين الحقيقة والضلال وبين الخبر الصادق ، والخبر الموجه . لكن تطور وسائل الاتصال ، وفيض المعلومات ليس شرا كله بطبيعة الحال ، وإنما أسهمت وسائل الاتصال وفيض المعلومات فى تعميق فكر الانسان وتأصيله وتعميق تطبيقاته التنكولوجية ، لقد بدأت هذه الثورة العلمية والاتصالية فى القرن التاسع عشر ، ثم تطورت تطورا مذهلا بعد ذلك .

ففى سنة ١٨٧٦ اخترع جراهام بل آلة التليفون محققا بذلك تكنولوجيا فكرة إرسال الصوت الانسانى على مسافات بعيدة تبلغ محيط الكرة الأرضية . ونتج عن ذلك تطبيقات هائلة فى مجال تكنولوجيا الاتصال وطبقت مبادىء بل العلمية فى مجال الراديو والسينما والتليفزيون وآلات تسجيل الصوت .

وفى ١٨٧٩ أضاء لنا أديسون عالمنا ، وساهم هو نفسه فى تطوير وسائل الاتصال بالصورة سنة ١٨٨٩ وصناعة السينما اليوم والفيلم الذى تستخدمه – وإن تطورت جميعا على نحو أو آخر – إلا أنها جميعا فى الأساس من أفكار أديسون .

وفى ١٨٩٣ تم تسيير أول سيارة باحدى مدن ماساشوستيس بموتور احتراق داخلى بفضل جهود تشارلز دوريا وأخيه فرانك دوريا .

وفى ١٩٠١ نجح ماركونى فى إرسال رسالة لاسلكية عبر الأطلنطى ومن يومها أصبح للاسلكى استخدامه فى الحرب والسلم .

وفى أواخر القرن التاسع عشر أيضا كانت بحوث الأخوين رايت لتصميم طائرة تطير بسهولة وتمت هذه البحوث بنجاح سنة ١٩٠٣ .

وفى أواخر القرن التاسع عشر وبدايات العشرين كانت بحوث اينشتين عن النسبية تلك البحوث التى نشرت سنة ١٩٠٥ وكان لها تطبيقاتها فيما بعد .

الكشوف الجغرافية :

وفى التاريخ الحديث ، لم يعد جزء من المعمورة غير مطروق ، بل لقد امتدت جهود الإنسان الكشفية إلى الفضاء . . لقد كشف كولومبس العالم الجديد فى مطلع التاريخ الحديث سنة ١٤٩٢ ، تلك الفكرة التى راودته وألحت عليه منذ سنة ١٤٦٤ ، وفى التاريخ الحديث انحسمت قضية كروية الأرض عمليا عندما وصلت سفن ماجلان إلى سانلوكر جنوب شرق أسبانيا فى سبتمبر ١٥٢٢ بعد رحلة طويلة جزئية شاقة بدأت قبل ذلك بثلاث سنوات أى سنة ١٥١٩ . وفى مطلع القرن العشرين وصل روبرت ادون بيرى إلى القطب الشمالى سنة ١٩٠٩ وقدم لنا معلومات كثيرة عنه . وشهد العصر الحديث اكتشاف قارة أفريقيا على يد مكتشفين عظماء : سليم قبطان المصرى ، سبيك ، لفنجستون ، بارك . . . الخ[١]

حركات الاستقلال :

شهد التاريخ الحديث حركة استعمارية قوية ، كما شهد أيضا استقلال دول كثيرة ، ففى الستينات من القرن العشرين حصلت معظم الدول الافريقية على استقلالها . وفى التاريخ الحديث أيضا صدر الاعلان الرسمى باستقلال الولايات المتحدة عن بريطانيا وذلك فى مؤتمر عقد فى فيلادلفيا سنة ١٧٧٦ ، وتحقق الاستقلال فعلا سنة ١٧٨١ .

إلغاء الرق والنزوع للتحرير :

بصرف النظر عن الدوافع الحقيقية التى جعلت الدول الأوروبية ، والولايات المتحدة فيما بعد تطالب بالغاء الرق وتحرير الإنسان من ربقة أخيه الإنسان ، إلّا أن هذه النزعة الإنسانية ضد الرق تعد ظاهريا على الأقل من أنبل النزعات الإنسانية فى العصر الحديث .

لقد حرَّمت الدول الأوربية باتفاقات بينها تجارة الرقيق منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وأصدر الرئيس الأمريكى ابراهام لنكولن فى أغسطس ١٨٦٢ إعلانا للتحرير عرف باسم وثيقة التحرير ، تنص هذه الوثيقة على منع استرقاق الزنوج .

وهكذا انتهى الاسترقاق رسميا ولم تبق منه إلا بؤر يسيرة فى بعض أنحاء العالم .

---

(١) Nisenson, Samuel, William A. De. Witt. Histoos 100 Greatest events. N.Y., Grosset & DunlaP, 1954. P.P. 70- 110.

بداية استغلال البترول كمصدر للطاقة استغلالا تجاريا واسعا :

اعتبارا من سنة ١٨٥٩ بدأ العالم يلتفت التفاتاً جديا للبترول كمصدر من مصادر الطاقة بديلا عن الفحم والكهرباء المولدة من المساقط المائية . لقد كان أول بئر يتم استغلاله تجاريا فى الولايات المتحدة قام بحفره الكولونيل ادوارد دريك أما فى الشرق الأوسط فكانت البداية فى مصر ١٨٦٩ حيث حفر بئر بالقرب من جمصة وزاد الانتاج وأخذ الطابع التجارى سنة ١٩٠٩ ثم توالت الكشوف البترولية فى إيران ١٩٠٣ وصدرت أول شحنة بترول ايرانية سنة ١٩١٢ و ١٩٢٧ فى العراق و ١٩٣٣ فى المملكة العربية السعودية وتم اكتشاف بئر هام فى الدمام سنة ١٩٣٦ وكانت بدايات النفط فى البحرين ١٩٣٢ واكتشف النفط الكويتى فى برقان سنة ١٩٣٨ وفى نفس العام دخلت قطر عصر النفط .

التاريخ علم حى :

التاريخ ، بأعماقه الضاربة فى القدم ، مازال حيا بين ظهرانينا ، يؤثر فينا بل ونؤثر فيه . لقد جنح بعض المثقفين للأسف إلى اعتبار التاريخ علما ميتا ، وإلى اعتبار المهتمين به ممن ينحون نحوا هروبيا ، متلمسين من أحداث التاريخ الماضية ، ذريعة للهروب من الواقع .

وليس أدل على عدم صحة ذلك أن الحضارة الفرعونية التى بدأت قبل ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، لا يزال يستغلها دعاة فصل مصر عن العرب ، بدعوى الفرعونية ، إنهم يتخذون من أحداث ووقائع وحضارة مرت عليها هذه العُهُد السحيقة لينتزعوا مصر من واقعها المسلم العربى . أليس هذا دليلا على أن التاريخ بين ظهرانينا حى يؤثر فينا ، بل ويعمد البعض إلى تزييفه وتوجيهه غير وجهته فكأنهم يؤثرون فيه .

وما يقال عن الفرعونية يقال عن الفينيقية ، والأشورية والبربرية . . الخ . كما أن كثيرا من المشاكل الحاضرة لا يمكن فهمها إلا بتتبع جذورها الضاربة فى التاريخ فهل يمكن فهم الغزو السوفيتى لأفغانستان سنة ١٩٧٩ دون تتبع الأطماع السوفيتية فى المناطق التى تُقَرِّبها من المحيط ؟ وهل يمكن فهم الغزو الروسى دون رجوع إلى بداية النفوذ الروسى فى أفغانستان ممثلا فى تأسيس الحزب الديمقراطى ١٩٣٢ ؟ بل وهل يمكن فهم الغزو الروسى (١٩٧٩) دون تتبع الصراع الروسى الانجليزى على أفغانستان يوم أن كانت بريطانيا تستعمر الهند ، وهل يمكن تفسير احتفاظ أفغانستان باستقلالها فترة

دون النظر إلى اتفاق الطرفين (الروسى والانجليزى) على اعتبارها **دولة عازلة** بين نفوذ الدولتين الروسى فى الشمال ، والانجليزى فى الجنوب . . ؟

وهل يمكن فهم الثورة الارترية (١٩٦١) دون الرجوع إلى اعتداء الحبشة على النظام الفدرالى الذى قررته الأمم المتحدة كصيغة للاتحاد بين أرتريا والحبشة ١٩٥٠ ؟ وهل يمكن فهم الحقد الحبشى المسيحى ضد الارتريين والمسلمين دون الرجوع إلى أوضاع المسلمين فى الحبشة ، أو دون الرجوع إلى أحداث الامبراطور الشهيد ليج اياسو ، الامبراطور الحبشى الشرعى المسلم واعتداء هيلاسلاسى على هذه الشرعية ؟

وهل يمكن فهم الهزيمة فى سنة ١٩٦٧ دون معرفة مسبباتها الضاربة عمقا فى التاريخ قبل ذلك بأكثر من عشر سنين ؟

إن الأحداث التاريخية لا تنبثق هكذا انبثاق الفُجَاءة ، وإنما لابد لها من مقدمات تاريخية .

بل أن بعض عصور الإحياء والتنوير ، تعتمد أساسا على إحياء ثقافة قديمة ، فعصر النهضة الأوربية اعتمد من بين ما اعتمد على إحياء الآداب الكلاسية . . وحركة ابن عبد الوهاب كانت تعتمد أساسا على **العودة** بالإسلام إلى عصر نقائه الأول . . نخلص بهذا بحقيقتين أساسيتين :

١ – أن تقسيم التاريخ إلى عصور أو مراحل لا يعنى أن كل مرحلة أو عصر يأتى ليجب أو ليلغى أو لينهى العصر السابق إلغاء لا عودة بعده ، أو يقبره قبرا لا حراك بعده ، وإنما التاريخ متتابع متماسك متصلِ بعصوره القديمة والوسيطة والحديثة ، وبقرونه السابقة على الميلاد واللاحقة حتى يومنا هذا ، بل ساعتنا تلك .

٢ – إن التاريخ لازال يؤثر فينا ، ولازال حيا ، وبالتالى فهو علم حى .

أمناطق بلا تاريخ ؟

ذهب بعض الباحثين الأوربيين إلى أن سكان أفريقيا السوداء ليس لهم تاريخ يسبق قدوم الاستعمار الأوروبى ، وهو قول غير صحيح[1] . فعلى سبيل المثال نجد أنه قبل وصول البرتغاليين إلى خليج غانا سنة ١٤٧١[2]، وكان للسكان الوطنيين فى المنطقة التى

(١) Crowder, j. West Afriea under colonial rule. London, 1968. PP. 10- 11

(٢) Davidson, B. :Old Africa redis- covered. P. 165.

عرفت فيما بعد باسم غانا ، ثقافتهم الوطنية التى لم تغب لحظة حتى بعد تشربهم للثقافة الأوربية واندراجهم فى سلم التعليم على النمط الغربى ، فلقد برعت جماعات زنوج غرب أفريقية فى الفنون التشكيلية ، وعلى الرغم من أن فنونهم يمكن اعتبارها فنونا زنجية خالصة إلا أن التأثير الأوروبى - والبرتغالى على نحو خاص - يبدو فيها واضحا .

كما أن غرب افريقية لم تكن منعزلة عن التاثيرات الحضارية طوال عصور التاريخ فلقد ذهب كثير من الباحثين إلى انتقال تأثيرات حضارية فرعونية إلى غرب أفريقية.ولقد ظل سكان غرب القارة الافريقية يحملون هذه التأثيرات الفرعونية حتى القرن العشرين[1] .

كانت هذه مقدمة لابد منها ، ليكون لنا المبرر الكافى فى الاختلاف رأيا مع ج .ل . مايرز فى كتابه فجر التاريخ إذ جعل فصله الأول بعنوان : الشعوب التى لا تاريخ لها . يقول مايرز « التاريخ كله - إذن - هو سجل كفاح الانسان مع الطبيعة ومع غيره من الناس . ولكنا رأينا من قبل أنه ليست كل الأعمال التى قام بها البشر تعتبر تاريخا - بالمعنى الضيق والشائع . **وهناك شعوب . . أو بعبارة أدق هناك جماعات من الناس ليس لهم تاريخ بالمعنى المتقدم** . وفى وسعنا أن ندرك إدراكا أوضح ماهية التاريخ وكيفية إضفاء الصفة التاريخية على أعمال الشعوب إذا نحن ألقينا نظرة على أمثلة مستمدة من الشعوب غير ذات التاريخ . وليس علينا إلّا أن نلقى نظرة على نموذج الكرة الأرضية أو على خريطة للعالم لندرك **أن كل المؤرخين فى الواقع قصروا همهم على مناطق صغيرة جدا من العالم** .

إن تسعة أعشار كتب التاريخ تعنى بأعمال الأمم الأوربية والمهاجرين من أوروبا ، ويعنى معظم كتب العشر الباقى بأقاليم قليلة غير أوربية كمصر وأشور وبابل والهند والصين ، واليابان (حديثا) وفى الوقت نفسه هناك مساحات شاسعة لم تكتب عنها أية مؤلفات تاريخية . **والسبب واضح إذ ليس فيها أعمال بشرية تدعو المؤرخ إلى اتخاذها موضوعا لكتابته** . . . »[2]

---

(١) Seligman. C. :Egypt and Negro Africa. PP.8- 13.
Shinnie, M. :Ancient African Kingdoms. N.D, p.13.
Church, R. :West Africa. London, Longmans, 1956, P. 137.

(٢) مايرز ، ج.ل . : فجر التاريخ . ترجمة على عزت الأنصارى . مراجعة د. عبد العزيز كامل . القاهرة ، مركز كتب الشرق الأوسط ، ١٩٦٢ . ص ١٧ - ٢١ .

والواقع أن هذا الكلام غير صحيح فى جملته ، فحيثما يوجد الانسان يوجد التاريخ . فإذا وجد الانسان ، فانه يسعى وراء بقائه حيا ، وهو يحب ويكره ويخاصم ويتحالف ، ويسالم ويحارب ، ويبدع فنا وأدبا وصنعة . . وماذا عساه يكون التاريخ إلَّا هذا كله ؟ العيب إذن فى المؤرخين الذين اهتموا بمنطقة دون أخرى بدافع التعصب أو التعاطف أو السهولة ؟ كما أن أساليب المؤرخين فى كثير من الأحيان كان يعتريها قصور من نُدرة وثائق أو انعدامها ، وصعوبة اللغات القديمة ، وقسوة البيئة الجغرافية التى تحول بين المؤرخ وبين المناطق التى يبغى لها وصولا . . كل ذلك وغيره هو الذى جعل الكتابات عن بعض مناطق أفريقيا قليلة نادرة ، بل ومنعدمة أحيانا . بل أن بعض الجماعات البشرية لم نعرف عنها شيئا إلَّا فى هذا القرن العشرين ، كجماعات السونا فى وسط أمريكا اللاتينية . . .

إذن ، **كل البشر لهم تاريخ ، والمسألة أن أساليب البحث التاريخى تقصر أحيانا عن الوصول للحقيقة .**

العصر والمنهج :

مما سبق يتضح أن لكل عصر سماته الخاصة التى تغلب عليه ، والتى تميزه عن غيره من العصور ، إلى حد ما ، رغم أن العصور التاريخية كلها تتكامل وتتصل ورغم أن التاريخ كله ينساب فى مجرى واحد ، فيبطىء الجريان حينا ، وينساب فيضا حينا آخر ، ذلك أن موضوع التاريخ فى كل العصور هو الانسان وما يبذله من جهد خلاق ، وما ينفعل به صراعا مع الطبيعة ومع أخيه الانسان .

كل هذا لا يمنع أن لكل عصر سمته الغالبة التى تسمه ، ولكل منطقة طبيعتها التى تلون تاريخها ، وتحدد العلوم المساعدة للتأريخ لها ، والمنهج الذى ينتهجه الباحث عند الكتابة عنها .

فالمؤرخ لعصر صدر الاسلام ، لابد أن يتعمق فى طبيعة الاسلام ، وتاريخ المعتقد الوثنى قبل الاسلام ، والمعتقد المسيحى فى الجزيرة ومصادره ، والمعتقد اليهودى فى الجزيرة وطبيعته ، وطبيعة العربى الاثنولوجية والانثروبولوجية ، فكل أولئك يعينه — أى الباحث — على رصد مدى التأثير الاسلامى عمقا واتساعا . وبدون الالمام بذلك كله تأتى الكتابة التاريخية عن صدر الاسلام مسطَّحة هَشَّة ، ليس فيها عمق ، ولا تقف أمام نقاش .

والمؤرخ للدولة البيزنطية ، لابد له من معرفة كل ما يمكن عن المجامع الكنسية عامة ، ومجمع نيقية خاصة (٣٢٥ للميلاد) وطبيعة المعتقد المسيحى وما كان يلم به من لِجَاج وخلاف وتحزب ، وعلاقة هذا التحزب بالخلافات السياسية وموقف الآريوسية خاصة ، والخلاف حول طبيعة المسيح عامة .

ويكاد يمتزج تاريخ مصر الفرعونية كله بالمعتقد الدينى ، فقد كان الملك إلها ، وكان التحالف بين الكهنة والملك قائما غالبا ، مفقودا أحيانا ، متخذا شكل صراع نادرا .

إذن : فى التاريخ القديم والتاريخ الوسيط ، كان **المعتقد الدينى** يوجه الأحداث ويحركها أو يتخذ ذريعة لها بشكل واضح علنى مكشوف .

والباحث فى مجال التاريخ القديم مضطر للرجوع لنصوص بلغات قديمة ما عاد لها وجود ، وما عاد أحد يتحدث بها ، فقد طال عليها الأمد ، فانقرضت ولم يبق منها فى لغاتنا الحية إلا كلمات قد تصل للمئات ، اعتراها تحوير وتبديل . والباحث فى مجال التاريخ القديم أمامه إزاء هذه الصعوبة واحد من اتجاهين :

أولهما : أن يعتمد الباحث أو المؤرخ اعتمادا كاملا على ما ينشره الأثاريون أو علماء الآثار ، وترجماتهم للنقوش والنصوص القديمة .

ثانيهما : أن يقوم بتعلم اللغة القديمة اللازمة لبحثه ، وتلك تستغرق وقتا طويلا ، وحرصا شديدا ، ثم يشرع بعد ذلك فى قراءة النصوص بنفسه خاصة تلك التى لم تصل إليها جهودا الأثاريين .

والواقع أن مهمة الأثارى تنتهى عند نشر الأثر وتحقيق نسبته لعصره ونشر رسومه ونقوشه ، وهذا لا يقلل من أهمية دور المؤرخ ، الذى يقوم بكتابة تاريخ كامل من هذه الآثار مستخدما أساليب النقد والتحليل والتصور والتخيل فتتحول مجموعة النصوص والآثار الجافة إلى حياة تنبض ، وصورة تنطق .

لكن حقيقة الأمر أن الأثاريين ، والاختصاصيين فى اللغات القديمة ، نظرا لامتلاكهم ناصية أدوات البحث الأساسية قد زاحموا الاختصاصيين فى التاريخ ، فنحن نجد فى أيامنا هذه أن عددا كبيرا جداً من المتخصصين والنابهين فى التاريخ القديم ، كان اختصاصهم الأساسى فى الآثار أو اللغات القديمة .

أما مؤرخو العصر الوسيط الاسلامى ، فطبيعة بحوثهم تحتم أن يكون لديهم دربة على قراءة مراجع التاريخ الاسلامى ، وقد يظن الباحث أن المسألة سهلة يسيرة ما دامت هذه المراجع مكتوبة بالعربية ، لكن حقيقة الأمر أن لكل عصر مصطلحاته الخاصة ، ووظائفه الخاصة ، بل ولغته الخاصة . . والتعود على ذلك كله فى حاجة إلى ادامة النظر فى هذه المراجع ، حتى يألفها وتألفه إن صح هذا التعبير ، وهذا يستلزم من الباحث كثرة الرجوع للقواميس ، وتفهم لغة العصر ، ومعرفة التيارات الدينية السائدة .

فاذا ما انتقلنا إلى التاريخ الحديث المسبوق بعصر النهضة ، وجدنا أن معظم مؤرخى عصر النهضة ذوو ولوع بالفن ، نحته ورسمه وأدبه ، ومناهج التفكير العلمى . . فتلك كانت طبيعة عصر النهضة الأوربية . ومعرفة شيء من ذلك يتوقف عليها عمق وأصالة ما يكتبه الباحث .

أما التاريخ الحديث فقد سبق أن أشرنا إلى أهم سماته من فيض المعلومات وكثرة الابداعات واكتشافات العلمية واتساع نشاط وسائل الاعلام وقوى الضغط على ذهن الانسان ، وتلك لها جانبيها السلبى والايجابى ، أما الايجابى فهو كثرة المعلومات المتوفرة فى كثير من الموضوعات ، وأما السلبى فهو تناقض هذه المعلومات وفقا لجهات بثها أو نشرها مما يستدعى من الباحث يقظة وحذرا . ومن الضرورى أن يلم الباحث بلغة الوثائق أو المراجع الخاصة بموضوعه ، خاصة وأنها لغات حية ليس تعلمها بنفس صعوبة تعلم اللغات القديمة أوالمنقرضة .

الباب الرابع

تفسير التاريخ والعلوم المساعدة

- مبحث تفسير التاريخ ، صعوبته والخائضين فيه .
- الجغرافيا وتفسير التاريخ .
- الاقتصاد والتاريخ .
- علم النفس والتاريخ .
- الأدب والتاريخ .
- التفسير الدينى للتاريخ .
- « إنَّا نحن نزلنا الذِكر وإنَّا له لحافِظُون »
- الاجتماع والتاريخ .
- الفلسفة والتاريخ .
- العلوم الأخرى والتاريخ .
- كل العلوم مساعدة للدراسات التاريخية . كيف ؟
- كلمة أخيرة .

تفسير للتاريخ ، هو أصعب مباحث هذا الكتاب ، من حيث كون الخائضين فيه أكثر الباحثين لِجَاجاً ، وأعمقهم خِلَافاً . وقد أخذ هذا المبحث على يد كثير من الفلاسفة والمتَفَلْسفين أبعاداً ميتافيزيقية . ولأن هذا الكتاب مُجَرَّد مقدمة فى علم التاريخ ، لذا فقد ابتعدنا عن هذه الخلافات قدر الإمكان .(١)

والمقصود بتفسير التاريخ هو البحث عن العوامل المؤثرة فى مسيرة الأحداث وغالبا ما تكون هذه العوامل أو الدوافع هى نفسها البواعث أو الدوافع التى تدفع الإنسان للحركة والتصرف والتى تصبغ عمله وتصرفه وحركته بسمات خاصة .

فالإنسان يتحرك أو يعمل بدافع إطعام نفسه وأهله ، وبدافع التفوق وبدافع الزواج وبدافع السيطرة والتملك وبدافع الفكرة . وهو إزاء ذلك كله قد يكون كيِّسا ليِّنا يتحايل ، وقد يكون عنيفاً عُدوانيا يهاجم . وهو فى هذا كله قد يواجه بظروف ميسرة سهلة منها الظروف الجغرافية من ثراء البيئة وخصبها ، وقد يواجه بظروف صعبة منها جفاف البيئة وقلة النساء وما إلى ذلك .

وهذه الداوافع الفردية ، وتلك الظروف التى يُواجهها الفرد ، هى - فيما أرى نفس بواعث الجماعات أو دوافعها . وبالتالى فهى نفسها العناصر الكامنة وراء حركة التاريخ . فالأحداث الإنسانية عبر التاريخ إما يحركها الباعث الاقتصادى (البحث عن الطعام وما إلى ذلك) أو باعث السيطرة والتملك (الاستعمار) وإن كان العامل الاقتصادى كامنا على نحو أو آخر فى حركة الاستعمار ، والعامل النفسى متمثلا فيما يعترى بعض الزعماء أو الحكام من أمراض نفسية تَصلُ إلى حد جنون العظمة أو عِشق الدماء ، فيوردون شعوبهم موارد التهلكة .

وعامل التفوق والهداية ، وهذا يتجلى فى حالة اعتناق الإنسان لأفكار مسيطرة تأخذ عليه عقله ولُبه فيخرج ليدعو الناس إليها أو لِيَفْرضها عليهم فرضا .

وهناك من ينظرون لتفسير التاريخ ، لا على أنه بحث فى العوامل المسيِّرة للأحداث ، وإنما تأمل فى طبيعة تتابع هذه الأحداث والفكرة الكامنة وراء ذلك . وهم فى محاولة فهم

---

(١) يمكن للباحث أو الطالب ذى الشغف بالدراسات الفلسفية القراءة فى هذا المجال فى كتب فلسفة التاريخ ، ولعل أشهر من خاض هذا المجال هو الفيلسوف الألمانى هيجل .

طبيعة هذا التطور يحاولون أن يوجِّهوا الأحداث بما يتفق مع فكرتهم هذه . فلما كان الصراع الطبقى فيما يرى الماركسيون هو طبيعة حركة التاريخ عبر الزمن ، فلا بأس من تفجير هذا الصراع والإسراع بحدوثه .

١ - الجغرافيا وتفسير التاريخ :

عادة يبدأ الباحث التاريخى بحثه بتوطئة جغرافية ، يحدد فيها الحدود المكانية للمنطقة أو الدولة أو الكيان الذى يؤرخ له . وغالبا ما لا يكتفى الباحث بالحدود السياسية ، وإنما يورد بعض اللمحات الجغرافية الخاصة بالمنطقة التى يؤرخ لها وعادة ما لا يقدم الباحث تفصيلات جغرافية شاملة ، وإنما يذكر من الحقائق الجغرافية ما يخدم أغراض بحثه .

فالباحث فى مجال التاريخ الأفريقى عادة ما يرِّكز على الغطاء النباتى والمناخ والمجارى المائية لما فى ذلك كله من أثر فى حركة الانسان وسلوكه وتجمعاته وثقافته ، بل إن هذه العوامل تلعب دورا واضحا فى نتائج المعارك وتحركات الجيوش ، بل وفى معتقدات الانسان ، فالأرواح لدى الانسان الأفريقى الاستوائى غالبا ما تَقْطن الغابة .

وفى بعض مراحل التاريخ كان الجبل والبحر بل والنهر عائقا يحدد سير المعارك ، وكثيراً ما ساعدت الظروف الجغرافية على احتفاظ بعض الأجناس بنقائها الجنسى النسبى .

كما أن للمناخ دورا فى صياغة أخلاق الناس إلى حد ما سواء بشكل مباشر أو غير مباشر بمعنى تأثيره على الغطاء النباتى ، غابة وحشائش ، وصحراء .

ومع كل هذا فإن التفسير الجغرافى للأحداث التاريخية كثيرا ما يُوقع الباحث فى أخطاء رهيبة ، فالجهد الانسانى والعلم كثيرا ما ينتصران فى كثير من الأحيان على العوامل الجغرافية . ومن الأخطاء الطريفة التى يوقع فيها التفسير الجغرافى ما ذكره صاعد الاندلسى إذ يقول :

« . . وأما التُرك فإن فضيلتهم التى برعوا فيها هى معاناة الحُرُوب ومعالجة آلاتها ، فهم أَحْذَقُ النَّاس بالفروسية وأبصرهم بالطعن والرماية ، ودون ذلك طبقة لم تُعن بالعلوم ، وهم أشبه بالبهائم منهم بالناس لأن من كان منهم مُوغلا فى بلاد الشمال فافراط بعد الشمس عن مسامة رؤوسهم بَرَّد هواءهم ، وكثَّف جلودهم . فصارت كذلك

أمزجتهم باردة وأخلاطهم فَجّة ، فعظمت أبدانهم وابيضّت ألوانهم وانسدلت شعورهم فعدِموا بذلك دقّة الأفهام وثقوب الخواطر وغلب عليهم الجهل والبلادة »[1]

أما روم لاندو فهو يفسر بعض المعتقدات العربية قبل الإسلام تفسيرا جغرافيا طريفا إذ هو يربط بين تصور العربى للجن أو العفاريت وبين طبيعة المنطقة الصحراوية ومناخها الحار ، ويقارن هذا التصور بتصور سكان أوروبا الشمالية حيث البرد والثلج ، فيقول :

« إن تاريخ العرب القديم مزيج من الحقيقة والخيال ، وذلك قدر مقدور يشمل التواريخ القديمة للشعوب جميعا . والواقع أن الخرافات السكنديناڤية القديمة تتكشف عن شبه رائع بخرافات العرب الأقدمين . ولقد ساعد المناخ على دفع هذه الخرافات فى الاتجاه الذى اتخذته . فبينما أدى « المؤثر الدافىء » فى احتكاكه بالثلج والجليد إلى خلق عمالقة الصقيع السويدية خلقت الجن عند العرب من نار خالصة لا يشوبها دخان . »[1]

ويعلل باحث آخر أسباب تأخر الأفريقيين أو بمعنى آخر أسباب وجودهم على الحالة التى كانوا عليها حال الغزو الأوربى لبلادهم تعليلا جغرافيا فيقول :

« وخلال فترة الاستعمار نشر الأوربيون آراء سيئة عن الجِنْس الأسود بعد أن خَرَّبوا ما وجدوه ببلاده من دول وحضارات . وزعم بعض كتابهم – ومنهم كثير من رجال الدين المسيحى – أن الجنس الأسود ليس من البشر ، ولهذا يجوز صيده وبيعه والمتاجرة فيه . وذهب آخرون إلى أن **روح الانسان الأسود سوداء أو أنه لا روح له أصلا** . وتمت بالفعل عمليات إبادة السود فى بعض الأقاليم مثل جنوبى أفريقية وزمبابوى التى سميت باسم استعمارىٍّ من عُتَاة القائلين باستذلال الشعوب الضعيفة وهو سيسل رودس .

والحقيقة أن الجنس الأسود وجد فى **ظروف جغرافية قاسية** : وجد فى بلاد تغطيها الغابات الكثيفة وتشتد فيها الحرارة وتكثر الوحوش والحشرات والحيات المختلفة الأنواع وغيرها من الحشرات والعناكب السامّة والحيوانات الكاسرة . وفى هذه البيئة تكثر

---

(١) طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ، عن : عفت محمد الشرقاوى : أدب التاريخ عند العرب . بيروت ، دار العودة ، ١٩٧٠ . ص ٢١٣ – ٣١٤ .

(٢) لاندو ، روم : الاسلام والعرب . ترجمة منير البعلبكى . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٧ . ط ٣ . ص ١٣ .

الأمراض الفتَّاكة التى تنقلها الحشرات وتسبِّبها أصناف لا حصر لها من الجَراثيم التى تتكاثر وتتوطَّن فى هذه الظروف الجغرافية المواتية لها . يضاف إلى ذلك أن حرارة الجو لا تُشْعِر الانسان بالحاجة إلى الملابس ، ووفرة الطعام لا تُحْفز الذِهْن على النشاط ، فلم يَجد الإنسان صُعوبة فى إشباع غرائزه الأساسيَّة ، فظلَّت الغريزة غالبة نشيطة فى حين لم يَجد الذهن ما يدعو إلى تنشيطه وصَقْل مَلَكَاته ومَوَاهبه . ونظراً لِكَثْرة أسباب الموت من أمراض ووحوش وهوام وحروب لا تَنْتَهى بين القبائل نَما فى القلوب خَوْف من الموت ، ولم يَجِد الإنسان سلاحا لِدَفْع هذا الموت الذى كان يَحْصد الناس بصورة قاسية ودائمة إلَّا السحر والكهانة لدفع الأرواح الشرِّيرة . وسيطرت المخاوف والسحر والكهانة على ذهنه **فلم يستطع الاستجابة لتحدِّى الحياة استجابة إيجابية فعالة** . وغلبت عليه نتيجة لذلك الطوطمية وعبادة الأوثان ولإرضاء الأرواح الشريرة ورموزها من طواطم وأوثان نظَّم الانسان احتفالات يدور فيها رقص وتعزف موسيقا وتُشعل نيران ، وكل هذه وسائل لمحاربة الخوف وإشعار الانسان بشيء من الأمن الزائف .

وهذه كلها أشياء شغلت ذهن الإنسان الأسود فى غاباته فلم تسنح له الفرصة ليسير فى طريق التقدم بنفس السرعة التى سار بها غيره من الأجناس ، ولكنه – فى المستوى والظروف التى كان يحيا فيها – أنشأ لنفسه إطاراً حضاريا متواضعا فعلا ولكنه كان وافيا بحاجاته ، وتمكنت قبائله من مقاومة الفناء .

وعندما عرف هذا الانسان الأسود حضارة أرقى مما عنده وهى حضارة الاسلام وارتفعت من قلبه المخاوف . . تفتحت مواهبه وأنشأ الدولة المنظمة . . . »[1]

وقد يكون هذا صحيحا والواقع أن علاقة البيئة بالانسان ، تختلف عن علاقتها بالحيوان . فالحيوان يتأثر بالبيئة الجغرافية تأثرا كاملا فهو أحيانا يتلَّون بلونها ، ويَسْمُك جلده إتِّقاء لبردها أو حرارتها . . وهو يؤثِّر فيها تأثيرا قليلا فقد يُعَرِّى غطاءها النباتى ، أو يحفر أرضها جحورا ومخابىء وما إلى ذلك . أما الإنسان ، بما أوتى من عقل ، فانه كثيرا ما يغير البيئة أو يتعامل معها تعامل الند مع الند ،ففى التاريخ الحديث مثلا ما عادت الجبال أو البحار عوائق حقيقية فى كثير من الحالات ، فقد عَّبد الإنسان فوق الجبال طرقا ومَخَرَ عُباب البحر بالسفين ، وقطَعه بالطائرات . . بل لقد خرج خارج الغلاف

---

(١) مؤنس ، حسين : الحضارة . الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة ، ١٩٧٨ (١٣٩٨ هـ)

الأرضى مُخترقا الجاذبية . وأحيانا يُعَبَّأ الانسان بأفكار قوية مُحَركَّة فتعطيه دافعا هو أقوى من الباخرة والقاطرة والطائرة ، فقد انتشر الاسلام انتشارا مُذْهلا من المحيط إلى المحيط ، فما عاقته على الجانب الآسيوى جبال إيران ، ولا عاقته فى الجانب الأفريقى جبال أطلس ولا الصحراء الكبرى ولا كثافة الغابة ، وعبر أوروبا فما عاقته جبال آسيا الصغرى ولا حالت دونه برودة .

٢ - الاقتصاد والتاريخ :

كثير من الهجرات الجماعية عبر التاريخ ، لا يمكن تفسيرها إلَّا تفسيرا اقتصاديا . وتحركات القبائل العربية عبر رمال الجزيرة الواسعة كانت فى كثير من الأحيان بحثا عن الكلأ والماء . والهجرات العربية فى القرن التاسع عشر عبر البحر الأحمر كانت بقصد الاستقرار . واهتمام القوى الأوربية هذه الأيام بمنطقتنا العربية يكمن خلفه النفط والموقع الاستراتيجى . وحركة الكشوف الجغرافية التى قادها البرتغاليون كان هدفها الأساسى الوصول لبضائع الهند ، وكشف افريقيا واستعمارها كان يكمن وراءهما منتجات الغابة الافريقية بما فيها من خشب وزيوت نخيل ، تلك الزيوت التى كانت تستخدم فى تشحيم الآلات والتى كان التكالُب عليها لا يقل عن التكالب على البترول هذه الأيام .

ومع هذا فإن الاغراق فى التفسير الاقتصادى كثيرا ما يجنح بالباحث عن الطريق السليم ، ومن ذلك ما قاله أحد الباحثين :

« . . وفى عهد عثمان ، الخليفة الثالث ، اندفعت القوات العربية غربا وجنوبا بحثا عن الثروة ، ففرضت الجِزْية على قرطاجة وأخضع بربر طرابلس الغرب ، وبنى أول أسطول عربى ، وبه استولى العرب على جزيرة قبرص وغزوا رودس ، ودمر الاسطول البيزنطى عند الشاطىء الليقيائى (معركة ذات الصوارى) »[1].

والواقع أن العرب فى عهد عثمان رضى الله عنه لم يكن ينقصهم الثروة . ومن الذين اهتموا بالبحث فى التفسير الاقتصادى للتاريخ مالتوس (١٧٦٦ - ١٨٣٤) وريكاردو (١٧٧٢ - ١٨٢٣) وماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) .

---

(١) لاندو ، روم : المرجع السابق . ص ٦٢ .

٣ – علم النفس والتاريخ :

ركز بعض الباحثين على العواطف البشرية من حب وكره ، ويقظة وحلم ، فى تسيير أحداث التاريخ . وركز باحثون آخرون على أن الزعماء أو القادة يدفعون الجماهير للحركة بإثارة عواطفهم . وقد وفق الباحثون أحيانا فى تحليلاتهم هذه ، وفشلوا فشلا ذريعا فى أحيان أخرى . ومن هؤلاء الذين فشلوا فى تعليلاتهم النفسية روم لاندو فى قوله :

« وتنص الرواية على أن محمدا رأى فيما يراه النائم وكان آنذاك فى الأربعين من عمره الملاك جبريل يتحدث إليه . . وإنما حدثت هذه الرؤيا ، ورؤى تلتها فى غار قرب مكة حيث كان من دأبه أن يستغرق فى التأمل . . »[١]

فروم لاندو ولم يجد تفسيرا للوحى إلاَّ بالحلم . وهذا ضد منطق التاريخ ، فهل يحقق **حالم** ما حققه الرسول عليه السلام ؟ وهل تنتشر دعاوى **حالم** هذا الانتشار المذهل فى فترة وجيزة ؟ والواقع أن المستشرقين قد اشبعوا الرسول المصطفى تحليلا من وجهة نظرهم المريضة تلك ، وكلها تحليلات خاطئة .

ومن التحليلات المصيبة ما ذكره المؤرخون عن تأثير مسلك جوزفين ، زوجة نابليون الخائنة أو التى كان يشك فيها ، على قرارته .

٤ – الأدب والتاريخ :

يريد المؤرخون للتاريخ أن يكون عِلْما وصفيا تحليليلا يتَّسم بالدقة الشديدة ، ومن هنا فإن اعتماد المؤرخ على الأعمال الأدبية يجب أن يتَّسم بالتحفَّظ الشديد ، وأن يتجنب قدر الإمكان استخدام الأعمال الأدبية مرجعا أو مصدرا لاستقاء الوقائع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، طالما كانت هناك مصادر أخرى أكثر دقة كالوثائق والمسكوكات والرنوك والآثار ، ثم بعد ذلك تأتى مراجع المؤرخين وكتاباتهم مع تركيز على أولئك الذين عايشوا العصر الذى يؤرخون له ، ثم تأتى الآداب والفنون .

---

(١) لاندو ، روم : المرجع السابق . ص ٣٢ .

فقصائد المديح فى السلاطين والملوك لا تَعْنى بالضرورة أنهم سلاطين أو ملوك عادلون ، وقصائد التشاؤم والتى تُبْدى الحياة سوداء ليس فيها ما يستحق أن يحيى الإنسان من أجله ، لا تدل على خواء الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية فى عصر الشاعر بالضرورة ، بقدر ما تدل على طبيعة الشاعر وتركيبه السيكولوجى . وقصائد الحماسة العالية النَبْرة نَضَالا وجهاداً ، لا تَدُل بالضرورة على روح قتالية عالية ، بل إن قصائد الوطنية والبكاء على ذكرى تراب الوطن عندما تكثر ، وتشكِّل ظاهرة قد تعنى تاريخيا عكس ما تَرْويه تَماما .

وليس المقصود هنا ما كتبه باحثون عرب اتَّخذت كتاباتهم طابعا أدبيا كالأغانى لأبى الفرج الأصفهانى[1] إذ الواقع أن كتاب الأغانى كتاب موسوعى اختلطت فيه الحقائق الأدبية بالحقائق التاريخية .

كما أن هذا أيضا لا يعنى إنكارنا لرجوع الباحث للأعمال الأدبية إنكاراً تاما ، بل إننا نوصى بالتحرِّز فقط ، لكن إذا كانت هناك مصادر ومراجع تاريخية أخرى تؤكِّد ما يرويه الشاعر فلا بأس من الاستئناس بما قال .

ويذهب بعض الباحثين إلى أن الأشعار الشعبية أو العامية أو النبطية تعتبر فى بعض الحالات مصدراً من مصادر التاريخ تزداد قيمتها إذا عَدِمْنا مصادر أخرى . لكن أحد عيوب هذا المصدر أن المؤلِّفين عزفوا عن تدوينه رِدْحا من الزمن لأنه ليس على اللفظ العربى . لكن كونه بغير الفصحى لا يقلل من قيمته كمصدر تاريخى فى الواقع ، فهو فى هذه الحالة يكون أقرب لروح الشعوب . وأكثر تسجيلا لعاداتهم وتقاليدهم ومسيرة حياتهم غُدُواً ورواحا . .

ولقد ارتبطت حركة تدوين الشعر العامى والاحتفاء به فى بعض الحالات بالحركة الهادفة إلى ضَعْضَعِة الفصحى والقضاء على سَطْوتها ، لكن القائمين على ذلك لم يكونوا جميعهم من ذوى النوايا السيئة .

وفيما يتعلق بالشعر النبطى فى جزيرة العرب فيعود أول ما روى لنا منه إلى القرن السابع الهجرى . . ومنذ أواخر القرن الماضى كثر المهتمون به . . . وأول ما طبع منه

---

(١) ولد أبو الفرج الأصفهانى صاحب كتاب الأغانى سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ للميلاد) وكتابه الأغانى من الكتب الشهيرة طبع أكثر من طبعة أشهرها طبعة القاهرة فى ٢١ جزء .

ديوان صغير للشيخ قاسم بن ثانى سنة ١٣٢٨ هـ . . والشعر النبطى فى الجزيرة هو أقرب الأشعار الدارجة فى البلدان العربية إلى الشعر العربى الملتزم » [١]

وفى بعض الفترات التاريخية العربية يجد المؤرخ نفسه مضطرا للاعتماد اعتمادا كاملا على الشعر كدراسة حالة العرب قبل الإسلام ، ويذهب بعض الباحثين إلى نتيجة مؤدَاها أن ذكر الشاعر العربى لأسماء الأماكن أو الأطلال فى مطلع قصيدته ليس المقصود منه البكاء على الطلل أو استدعاء الذكرى فحسب ، وإنما هو يرسم خريطة طبوغرافية لهذه المواقع لهدف تعليمى ووطنى إن جاز هذا التعبير ، فكأن الشاعر يريد أن يقول لأهله وأفراد قبيلته إن أردتم الذهاب لهذا المكان فطريقة كذا وهو بين الدخول فحومل مثلا[٢] — وأظن أن هذا الباعث فى ذكر الأماكن يعتبر من النتائج الجديدة فى حدود علمى .

والواقع أن التاريخ كعلم بما وصل إليه من دقة وانضباط أصبح مصدرا لكثير من الأعمال الأدبية وليس العكس ، فأصبحنا نسمع عن الرواية التاريخية والمسرح التاريخى بل والإشارات التاريخية فى الشعر . والواقع أن الروائى أو كاتب المسرح يفعل فى هذه الحالة شيئا شبيها بما يفعله المؤرخ مع اختلاف فى طبيعة عمل كل منهما فالروائى أو كاتب المسرح التاريخى ، يبدأ بتجميع كل الروايات والأحداث والوقائع عن **الحدث** أو **الشخصية** التى يريد أن تكون موضوعا لعمله الأدبى . وفى مرحلة تالية يبدأ فى **توثيقها** والتأكد من صحتها حتى لا يبنى عمله الأدبى على خرافة أو رواية باطلة خاصة إذا كان مجال عمله الأدبى حدثا دينيا أو شخصية دينية . ثم يختار من الأحداث أقربها لنفسه ، وأكثرهاخصوبة ، وقدرةعلى استيعاب شخصياته ، وأخيرا فهو عندما يشرع فى صياغة عمله الأدبى يجد نفسه مضطرا لاستخدام خياله وتحليل علم النفس لاعطاء شخصياته بعداً دراميا إنسانيا قد لا يجده فى كتب التاريخ ووثائقه . فالتاريخ — مثلا — يظهر قائد الجيش قويا منضبطا حازما ، لكن الكاتب المسرحى أو الروائى يظهره كذلك

---

(١) العثيمين ، عبدالله الصالح : الشعر الشعبى مصدرا لتاريخ نجد . فى : مصادر تاريخ الجزيرة العربية . بحوث الندوة العالمية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية . الرياض ، جامعة الرياض ، ١٩٧٧ .

(٢) الوهيبى ، عبدالله الناصر : تحديد الشعراء العرب للمواقع الجغرافية . فى : مصادر تاريخ الجزيرة العربية بحوث الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية . الرياض ، جامعة الرياض (الملك سعود) ، ١٣٩٧ (١٩٧٧ م) ص ٣٦٣ — ٣٧٣ .

فى جيشه وبين جنوده ، ولكنه **يتخيَّل** هذا القائد القوى وديعا لينا عند مداعبة طفله أو التودد لزوجته . . أو يصوره يبكى أحيانا على ذكرى حبيب مات . . وهكذا[1]

والواقع أن المؤرخ لو التزم بالدقة التى يتطلبها العلم التاريخى ، ثم أوتى بعد ذلك حَظّاً من خيال الأديب وفن الفنان فانه يكون بذلك قد بلغ الغاية فى البحث التاريخى .

على أن الاطلاع على الأعمال الأدبية نفسها يُعد ضرورة لازمة عند الحديث عن الحياة الفكرية والثقافية ، فلا يكفى هنا فى الواقع أن يأخذ المؤرخ المعاصر ، عن المؤرخين الآخرين فحسب ، وإنما لابد له من الاطلاع على بعض الأعمال الأدبية والفكرية بنفسه ، وهذه الأعمال لا تُعد فى الواقع مرجعا فحسب بل مصدرا أساسيا فى هذه الحالة . إذ لا يكفى أن يقرأ الباحث فى كتب التاريخ عن ازدهار الأدب فى العصر العباسى دون أن يتذوق هو بنفسه طرفا من هذا الأدب ، ولا يكفى الباحث عندما يكتب بحثا تاريخيا عن **هيكل** أن يقرأ فى كتب التاريخ أنه منشىء الرواية أو رائدها فى مصر والعالم العربى ، ومؤلف كتاب حياة محمد ، وإنما لابد للباحث من قراءة رواية زينب بنفسه وكتاب حياة محمد . ولا يكفى المؤرخ الذى يكتب عن دور طه حسين فى الحركة التعليمية والأدبية فى مصر أن يقرأ ما ذكره المؤرخون والباحثون عن ذلك وإنَّما لابد من قراءة كتب **طه حسين** كلها بنفسه. إن هذه الكتب تعتبر فى هذه الحالة مصدرا أساسيا . والذى يكتب بحثا تاريخيا شاملا عن عصر من العصور أو حِقْبة من الحِقَب لابد أن يكون أحد فصول بحثه عن الحياة الأدبية والفكرية . والرجوع إلى الأعمال نفسها كما سبق يعد أمرا ضروريا لسبب رئيسى وهو أنه فى بعض الأحيان يحكم مؤرخو العصر على أعمال تافهة بأنها قمة الروعة ، لا لجنوح إلى الهوى وإنَّما لأن أذواق أهل العصر مُنْحطة أو لتدهور اللغة والأدب ، ومن هنا يجد الباحث فى كتب المؤرخ الذى هو لسان عصره مدحا لهذه الأعمال وفى هذا دليل للمؤرخ على مستوى العصر الأدبى والفكرى .

---

(1) لمؤلف هذا الكتاب تجارب فى كتابة الرواية والمسرحية التاريخية ، ومن ذلك (جاربوزا فى بيت الأرواح) عن تحول الافريقيان للاسلام وهى مسرحية فازت بجائزة المجلس الوطنى للثقافة فى الكويت بمناسبة دخول القرن الخامس عشر الهجرى ورواية (الدق على الأبواب الشرقية) وقد فازت باحدى جوائز المجلس الأعلى للثقافة فى مصر .

٥ - التفسير الدينى للتاريخ :

وهذا النوع من التفسير شائع بين الباحثين اليهود ، وهم يتخذون التوراة مصدرا أساسيا للتاريخ رغم ما اعتراها من تشويه وتبديل ، والباحثون اليهود يرون أن البشر وقعوا فى الآثام والشرور وأن الخطيئة شملتهم ، ولم يَنجُ من هذا إلا الشعب المختار .

والإنسان فى التوراة مسير ، أو بمعنى أدق فإن مسيرة التاريخ لامناص منها ، ولا فكاك عنها ، وأن التوراة هى المصدر الأساسى للأحداث التى روتها .

والحقيقة أن نص التوراة ظل حتى هذه الأيام موضوع مراجعة وتغيير ،بل إن النص التوراتى ليس له ترجمة متفق عليها ، ولازال التغيير والمراجعة دأبه ودأب المغيرين والمراجعين حتى هذه الأيام . ومن الضرورى فى هذه الحالة من حيث دقة المنهج التاريخى أن نرجع لمراجع مسيحية ويهودية .

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »[1]

نقرأ فى مجلة التيم الصادرة فى ٥ يوليو سنة ١٩٨٢ ما يلى :

« منذ ألفين ومائتى سنة ، قامت مجموعة من العلماء اليهود بلغ عددهم سبعين بترجمة الانجيل (العهد القديم) من العبرية لليونانية ، وكان ذلك فى مدينة الاسكندرية وقد ظهرت ترجمتهم وأصبحت عملا معروفا فى التاريخ يتسم بالعظمة.وقد عرف عملهم هذا باسم Septuagint وهى كلمة مشتقة من اللفظ اللاتينى الذى يعنى الرقم سبعين لأن الذين ترجموا هذا العهد القديم كان عددهم سبعين . وبالنسبة لليهود التقليديين فى القرون التى تلت ذلك ، فإن الانجيل (العهد القديم) قد ترجم أو صيغ من وجهة نظر يهودية . ولكن كان هناك ترجمات تفتقد الصفة الرسمية ، فقد كان هناك مترجمون أفراداً يقوَمون بالترجمة بمفردهم وليس من خلال لجان من الباحثين أو الأكاديميين والآن (١٩٨٢) ولأول مرة منذ الترجمة اليهودية الأولى (منذ ٢٢٠٠ سنة تم تشكيل لجنة ترجمة يهودية لترجمة العهد القديم إلى الانجليزية من العبرية وهذا الانجيل اليهودى الجديد (وهو ترجمة ما يسميه المسيحيون العهد القديم) أصبح يسمى الكتاب المقدس Holy scriptures قد تم إنجازه فى الشهر الماضى (يونيه) وهو بذلك آخر الأناجيل المكتوبة

---

(١) مقال اتخذ عنوانا له هذه الآية الكريمة نشره المؤلف فى جريدة السياسة الكويتية .

بالانجليزية حتى الآن وكانت آخر إعادة نظر فى الانجيل تلك التى تمت سنة ١٩٥٢ م ونشرها المجلس الوطنى للكنائس « National Council of churches »

ترجموا الأكواب Cups بالنبيذ والخمر Wine :

وتمضى المجلة فى تحقيقها فتقول « لقد اكتشف العلماء بعد مراجعة عديد من المصادر القديمة بأن الكلمة العبرية ممساح Mimsah فى الآية ٣٠/٣٣ ترجمتها الأكواب Cups وإنها ترجمت خطأ بالخمور أو النبيذ Wine وعلى هذا فالترجمة القديمة خطأ .

ملحوظة : الترجمة القديمة التى يتعبدون على أساسها منذ نزلت التوراة حتى يونية سنة ١٩٨٢ والتى يتعبد المسيحيون على أساسها منذ ضلوا بعد المسيح عليه السلام حتى ظهور هذه الترجمة فى أوائل يونية سنة ١٩٨٢ أى الشهر الماضى .

الله واحد أحد Lord is one جعلوه وحيدا معزولا Lord alone :

وتمضى مجلة التيم - الموجودة الآن فى مكتبات العالم - فتقول « اسمع ، يا اسرائيل إن الرب الهنا واحد » « أما الترجمة الجديدة فهى « اسمع يا اسرائيل إن الله هو إلهنا وهو الرب الوحيد » ويضيف المترجمون أن الكلمات عندما كتبت فى الأصل لم تشر إلى واحدية الله Not God's Oneness . .

* * *

ليس هناك تعليق على هذه المقتطفات التى لا أراها جديدة ، ولا أراها آخر ولا أول ما وجه من تهم ونقد للنص التوراتى والانجيلى ، وإنما ترجع التعلة فى الإشارة لها لسببين ، أولهما أن هذا النقد منشور فى مجلة عامة ،وهى مجلة التيم Time فى عدد حديث يسهل الحصول عليه ، وثانيها أن الناشرين لهذا النقد هم من المتعمقين فى الدراسات العبرية واليهودية والمسيحية .

ولعل هذا يجعل الذين يطالبون بترجمة القرآن والصلاة بنص قرآنى مترجم أن يجدوا عبرة فى ذلك ! !

إنهم مختلفون فى النص الأساسى . . مختلفون فى المعانى الأساسية . . فهل هناك مسلمان مختلفان فى نص القرآن ؟ قد يختلفوا فى المعانى والتفسير والتأويل ، لكن الزمن فى النهاية يساعد على رسوخ التفسير الصحيح وفقا لتطور العلم ومسار التاريخ وكم من آية كانت مجهولة المعنى ثم أتى العلم فألقى عليها ضوءا .

A Bible No Longer So Greek

Jewish scholars complete a historic translation

In Alexandria 2,200 years ago, a group of 70 Jewish scholars translated the Bible from Hebrew into Greek. Their great work became known to history as the Septuagint, from the Latin word for 70. For adherents of traditional Judaism in later centuries, however, the only true Bible was the Hebrew version. What translations there were lacked official standing; most were turned out by individual translators rather than broadly based committees of scholars.

Now, for the first time since the Septuagint, there is a generally recognized Jewish committee translation from Hebrew into the contemporary usage of another language: English. This new Jewish Bible (what Christians term the Old Testament) has been titled the Holy Scriptures. Completed last month, it is the latest of several major new English Bibles, but all the others were Christian undertakings, beginning with the Revised Standard Version, published in 1952 by the National Council of Churches.

Though consultants from Judaism's Orthodox Conservative and Reform branches were involved, the Holy Scriptures is primarily the work of the Jewish Publication Society of America rather than any rabbinical group. The originator of the project was Harry Orlinsky of the Hebrew Union College-Jewish Institute of Religion. Two parts of this Bible were previously published, the Torah (1962) and the Prophets (1978), directed by H.L. Ginsberg of the Jewish Theological Seminary. With this final part, the Writings, consisting of a revision of the previously issued *Psalms* and a dozen other biblical books, the new Jewish Bible is finally complete. This last section was translated by three U.S.-trained experts: Moshe Greenberg and Jonas Greenfield of Hebrew University in Israel and Nahum Sarna of Brandeis University. They were assisted by Novelist-Rabbi Chaim Potok (*The Chosen*), who served as coordinator and literary consultant. The Holy Scriptures will certainly stand as a landmark of Jewish religious scholarship.

Ever since its founding in 1888, the Jewish Publication Society of America has wanted to produce a major English-language Bible. Its first effort, in 1917, was essentially one man's touch-up of Protestantism's venerable King James Version, but it sold more than 1 million copies and was, until now, the standard Jewish translation for the English-speaking world. The strength and selling point of the new Bible, rendered directly from Hebrew to English, is that it ignores the wording of all past Christian translations and turns Holy Writ into fresh, understandable contemporary language instead of Elizabethan English. The Holy Scriptures is drawn solely from the Masoretic text in Hebrew, which evolved into its present form by the 10th century and is Judaism's only official scriptural standard. By comparison, Christian tra[nslators] consult a variety of scrolls a[nd] codices in Hebrew and other ancient la[n]guages in order to reconstruct wh[at] they hope is the original wording [of] millenniums ago.







H.L. Ginsberg Harry Orlinsky Nahum Sarna

The scholars relied on many ancient sources to interpret the meaning of the Masoretic text. Tablets in Ugaritic that have been unearthed by archaeologists told them that the rare Hebrew word *mimsak* in *Proverbs 23: 30* means "cups" not "wine" as previously translated. F[or] *Psalms 1: 2*, they changed "meditates" [to] "studies," based on the historical finding that ancient Jewish study involved oral recitation. A footnote poin[ts] out that the Hebrew ver[b] literally "utters." Says T[rans]lator Sarna: "In all cr[...] true intention of the[...] the decisive factor[...]"

Occasionally [...] may sound alm[ost ...]gious to an ear attu[ned to] 1917 phraseology [...]stance, Judaism's [...]ous invocation, th[e Shema] Yisrael of *Deuterono[my]* was formerly render[ed ...]ally as "Hear, O Isra[el! The] Lord our God, the Lord is one." N[ow:] "Hear O Israel! The LORD is our Go[d, the] LORD alone." The translators concl[ude] that the point of the words when origi[nal]ly written was not God's oneness, which [is] a theological concept, but rather his e[x]clusivity at a time when Israel's neighb[ors] worshiped many deities.

Modernization brings obvious gai[ns] in clarity. Here is *Proverbs 11: 24* in the 1917 version: "There is that scattereth and yet increaseth; And there is that withholdeth more than is meet, but it tendeth only to want." Stumped? The new Bible's version: "One man gives gene[r]ously and ends with more; Another stin[ts] on doing the right thing and incurs loss." The orotund "forty and four th[ou]sand seven hundred and three score" [be]comes simply "44,760." Althoug[h the] Holy Scriptures generally aims a[t a] formal literary and liturgical st[yle ...] some of the modern Christian [...] times its contemporaneity c[an be] jarring or inconsistent. *Prov[erbs ...]* ("A woman of valor, who [...]) sounds a tad too colloquial a[s "A] rare find is a capable wife!"

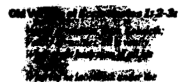
The previously published [...]ume has already sold 350,00[0 ...] is now the basis for biblical [...] many non-Orthodox synago[gues ...] modern translations are also [...] thousands of Jewish study [...] the U.S. When the full Bib[le ...] available in a one-volume [...] year, it ought to become a st[...] on the bookshelf of many a [...] well

—*By Richard N. Ost[ling]. Reported by Michael P. Harris/New York*

Rewritten Writ

Old (1917) Version of *Genesis 1: 1-3*: In the beginning God created the heaven and the earth. Now the earth was unformed and void, and darkness was upon the face of the deep; and the spirit of God hovered over the face of the waters. And God said: "Let there be light." And there was light.

New Version: When God began to create the heaven and the earth—the earth being unformed and void, with darkness over the surface of the deep and a wind from God sweeping over the water—God said, "Let there be light"; and there was light.





والقرآن الكريم ، كتب وقت نزوله وفى عهد الرسول الذى أنزل عليه . وبعد وقعة اليمامة ندب أبو بكر بناء على اقتراح عمرٍ زيد بن ثابت لجمع القرآن كتابة ، إذ كان أحد كتاب الوحي ومن أوثق الحفاظ وبقيت هذه الصحف مرتبة تحت رعاية أبى بكر وعمر من بعده ثم أودعت بيت حفصة بنت عمر بعد موت أبيها ولما اتسعت ديار الاسلام وتفاوتت قراءة القرآن وفقا لاختلاف الألسنة جمع عثمان الصحابة واستشارهم فى تجميع القرآن فى مصحف واحد ، تُنسخ منه نسخ ترسل للأمصار (البلاد) فأقروه على ذلك واستنسخوه من النسخة الموجودة عند حفصة نسخا – وبعثوا لكل قطر نسخة عرفت باسمه .

والآن – وعلى كثرة خلافات المسلمين . . وعلى كثرة تناحرهم . . وعلى كثرة ما يقعون فيه من سفاهات فإن آيات القرآن الكريم لا خِلَاف عليها ولا سَفه فيها ، ولا تتناطح فيها عنزان . . الكل متفق عليها .

يا لجلال القرآن . . يا لصدق البارى . . « إنَّا نحن نزلنا الذِكر وإنَّا له لحافظون » صدق الله العظيم[1] .

* * *

والواقع أن النصوص الدينية الإسلامية (قرآنا وحديثا) لم تنكر دور الانسان فى مسار الأحداث ، ومن هنا فان المتصفح لمراجع التاريخ الاسلامى ، يجد المؤرخين لم يجهدوا أنفسهم فى البحث عن تفسير دينى ، فهم يفسرون سقوط الدول بفساد الإنسان (ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى **الناس**) .

وهكذا دعا الإسلام المؤرخين إلى البحث عن الأسباب المرئية والواضحة للحوادث دون تلمس هذه الأسباب لدى **جن** خفى أو معجزة باهرة .

وكانت حياة المصطفى عليه السلام واضحة جلية لا خوارق فيها ولا خرافات ، فهو عليه السلام كان حريصا على تأكيد بشريته حتى لا يعبده الناس كما عبدوا ابن مريم وهو يمرض ويصح ، ويرضى ويغضب وهو « ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة » بل لقد هُزِم عندما لم يتبع المحاربون معه أُسس الاستراتيجية ، وانتصر بايمانه وإيمان المحاربين معه .

---

(١) الشيخ ، عبد الرحمن عبدالله الشيخ : من الإعجاز التاريخى للقرآن الكريم . مقال منشور فى جريدة السياسة الكويتية .

ومع هذا فالمسلمون يؤمنون إيمانا قاطعا بأن كل شيء بارادة الله ، ويذكر أحد المستشرقين أن عقيدة القضاء والقدر لم تؤثر تأثيرا سيئا فى النشاط الفكرى الإسلامى طيلة قرون عشرة ازدهرت فيها الحياة الفكرية . . نعم عشرة قرون مضت قبل أن تأخذ هذه العقيدة تعمل عملها السيء فى نفوس المسلمين وفى الحد من نشاطهم . ثم يتساءل روزنتال أليس أحرى بنا إذن أن نفترض أنّه بعد أن اضمحَلّ النشاط الفكرى عند المسلمين لقى الركود العقلى فى هذه العقيدة ملاذا يستكين فيه ؟ ![1] .

ومع هذا الرأى المنصف نجد مؤرخين آخرين يفرغون التاريخ الإسلامى من كل معنى ومزية وهدف ، ومن هؤلاء هيجل الذى يذكر فى كتابه محاضرات عن تاريخ الفلسفة أن التاريخ الإسلامى معرض للتغيرات الدائمة ولا شيء غير ذلك الفتح والتوسع أبدا فى استمرار ولا شيء ثابت وكلما ظهرت إحدى الموجات وارتفعت لكى تتخذ شكلا ما اضمحلت وانحلت وهى ترتفع دون أن تفقد شفافيتها . يقصد أنه لا طعم أو لون لها .[2] .

أما فون كريمر (بعد هيجل بخمسين سنة) فيذكر أن العالم الاسلامى يبدو ساكنا على السطح إلى أن يتفجر فجأة من الهدوء التام على شكل قوة مخربة .

وبعد خمسين سنة أخرى أتى جولد تسيهر Gold Ziher ليذكر أن القائلين بأن الإسلام قد انتهى إلى أن اتخذ شكلا جامدا لا يقبل التغير ذلك أن مجمل التاريخ الإسلامى فى رأيه حرب مستمرة بين السنة والبدع .

٦ - الاجتماع والتاريخ :

وأقدم من أخذ بالتعليل الاجتماعى ابن خلدون فى القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر الميلادى) ولقد كانت نظرة ابن خلدون للتاريخ راقية للغاية . يقول ابن خلدون :

« أما بعد ، فان فن التاريخ من الفنون التى تتداولها الأمم والأجيال ، وتشد إليه الركائب والرحال ، وتسمو إلى معرفة السوقة والأغفال ، وتتنافس فيه الملوك والأقيال ، ويتساوى فى فهمه العلماء والجهال ، إذ هو فى ظاهرة لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول ، والسوابق من القرون الأول ، تنمو فيها الأقوال ، وتضرب فيها الأمثال ،

---

(١) روزنتال ، فرانتز : المرجع السابق . ص ١٧ .

(٢) روزنتال ، فرانتز : المرجع السابق . ص ١٣ .

وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال ، وتؤدى إلينا شأن الخيقة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال ، وحان منهم الزوال ، وفى باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل فى الحكمة عريق ، **وجدير بأن يعد فى علومها** وخليق ، وأن فحول المؤرخين فى الاسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها ، وسطروها فى صفحات الدفاتر وأودعوها ، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها أو ابتدعوها ، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها ، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها ، وأدوها الينا كما سمعوها ، **ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال** ولم يراعوها ، **ولا رفضوا ترهات الأحاديث** ولا دفعوها ، **فالتحقيق قليل** ، وطرف التنقيح فى الغالب كليل ، **والغلط والهم تسيب للأخبار وخليل** ، **والتقليد عريق فى الآدميين وسليل** ، والتطفل على الفنون عريض وطويل ، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل . والحق لا يقاوم سلطانه ، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه ، والناقل إنما هو يملى وينقل ، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل ، والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل .

هذا وقد دون الناس فى الأخبار وأكثروا ، وجمعوا تواريخ الأمم والدول فى العالم وسطروا . والذين ذهبوا بفضل الشهرة والأمانة المعتبرة ، وأفرغوا دواوين من قبلهم فى صحفهم المتأخرة ، هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنامل ، ولا حركات العوامل ، مثل ابن اسحق والطبرى وابن الكلبى ومحمد بن عمر الواقدى وسيف ابن عمر الأسدى والمسعودى وغيرهم من المشاهير ، المتميزين عن الجماهير ، وإن كان فى كتب المسعودى والواقدى من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الاثبات ، ومشهور بين الحفظة الثقات ، إلا أن الكافة اختصتهم بقبول أخبارهم ، واقتفاء سننهم فى التصنيف واتباع آثارهم ، والناقد البصير قسطاس نفسه فى تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم ، فللعمران طبائع فى أحواله ترجع إليها الأخبار ، وتحمل عليها الروايات والآثار . ثم ان أكثر التواريخ لهؤلاء عامة المناهج والمسالك ، لعموم الدولتين صدر الاسلام فى الآفاق والممالك ، وتناولها البعيد من الغايات فى المآخذ والمتارك . ومن هؤلاء من استوعب ما قبل الملة من الدول والأمم ، والأمر العمم ، كالمسعودى ومن نحا منحاة .

وجاء من بعدهم من عدل عن الاطلاق إلى التقييد ، ووقف فى العموم والاحاطة عن الشأو البعيد ، فقيد شوارد عصره ، واستوعب أخبار أفقه وقطره ، واقتصر على

أحاديث دولته ومصره . كما فعل أبو حيان مؤرخ الأندلس والدولة الأموية بها ، وابن الرقيق مؤرخ أفريقية والدول التى كانت بالقيروان .

ثم لم يأت من بعد هؤلاء إلا مقلد وبليد الطبع والعقل أو متبلد ينسج على ذلك المنوال ، ويحتذى منه بالمثال ، ويذهل عما أحالته الأيام من الأحوال ، واستبدلت به من عوائد الأمم والأجيال . فيجلبون الأخبار عن الدول ، وحكايات فى العصور الأول ، صورا قد تجردت عن موادها ، وصفاحا انتضيت من أغمادها ، ومعارف تستنكر للجهل بطارفها وتلادها ، إنما هى حوادث لم تعلم أصولها ، وأنواع لم تعتبر أجناسها ولا تحققت فصولها ، يكررون فى موضوعاتهم الأخبار المتداولة بأعيانها اتباعا لمن عنى من المتقدمين بشأنها ، ويغفلون أمر الأجيال الناشئة فى ديوانها ، بما أعوز عليهم من ترجمانها ، فتستعجم صحفهم عن بيانها .ثم إذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا أخبارها نسقا . محافظين على نقلها وهما أو صدقا ، لا يتعرضون لبدايتها ، ولا يذكرون السبب الذى رفع من رايتها ، واظهر من آيتها ، ولا علة الوقوف عند غايتها فيبقى الناظر متطلعا بعد إلى افتقاد أحوال مبادىء الدول ومراتبها ، مفتشا عن أسباب تراحمها أو تعاقبها ، باحثا عن المقنع فى تباينها أو تناسبها ، حسما نذكر ذلك كله فى مقدمة الكتاب .

ثم جاء آخرون بافراط الاختصار ، وذهبوا إلى الاكتفاء بأسماء الملوك ، والاقتصار ، مقطوعة عن الأنساب والأخبار ، موضوعه عليها أعداد أيامهم بحروف الغبار ، كما فعله ابن رشيق فى ميزان العمل ، ومن اقتفى هذا الأثر من الهمل . وليس يعتبر لهؤلاء مقال ، ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال ، لما أذهبوا من الفوائد ، وأخلوا بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوائد . . الخ »[1] .

والتعليل التاريخى عند ابن خلدون يرتكز على حقيقة أساسية فيما يرى ابن خلدون وهو أن أحداث التاريخ نفسها هى التى يفسر بعضها بعضا ، فليس ثمة قوة خارجية تلوى رقبة التاريخ ، فطراز المعيشة وأبعاد النشاط الانسانى تؤثر فى مجرى الأحداث .

ويرى ابن خلدون أن العصبية لها دور كبير فى تسيير حركة التاريخ ، فقد تكون هذه العصبية ، عصبية صلة عِرْقية ، وقد تكون عصبية اتحاد جماعة فى المصلحة . . ويرى ابن خلدون أن المجتمع كائن حى يبدأ طفلا (مرحلة البداوة) ثم يتطور ويكتمل (مرحلة

---

(١) ابن خلدون ، عبد الرحمن : المقدمة . بيروت ، ص ٢ - ٥ .

العمران) . والظفر فى المنازعات دوما فيما يرى ابن خلدون يكون لأهل البداوة . ومن الواضح أن هذه النظرية لا تنطبق فى كثير من تفاصيلها على التاريخ الحديث ، حيث أصبح للعلم والتقدم التكنولوجى تأثير كبير فى حسم المنازعات ، مما يجعل أهل البادية ينتصرون على من سواهم بقدر ما يحققون من علم وتكنولوجيا .

ومن أسباب سقوط الدول وانتهاء الحضارات فيما يرى ابن خلدون شيوع الترف والظلم والمجاهرة بالفسق والفجور ، ويذهب ابن خلدون إلى أن العرب بالذات لا يمكن حكمهم إلّا بالدين أو باسم الدين ، فهم – فيما يرى – أهل كبر وعصبيات ، والدين ينزع منهم ذلك .

الفلسفة والتاريخ :

دخلت أحداث التاريخ فى مجال تفكير الفلاسفة منذ وقت مبكر ، لا من حيث بواعث وقوع هذه الأحداث أو أسبابها وإنما قام الفلاسفة كعادتهم بالنظر لأحداث التاريخ نظرة فوقية أو كأنهم يطلون عليها من عَلٍ ، ليتبصَّصوا كيفية مسارها ، وهل الإنسان فى تقدم مستمر ، أم أنه ينكب نكوصا على عقبيه ، وهو حال انكبابه وقيامه أيعود القهقرى ، أما ينزع نفسه صوب التقدم . وراحوا يلاحظون العوامل المسيرة للتاريخ عامة لا بقصد تفسير التاريخ ، وإنما بقصد الإسراع بمراحله وتطوراته فيما قالوا . . وكان ثمة مجال آخر لمباحثهم ، وهو هل تتحرك هذه الأحداث التاريخية بشكل مستقل عن إرادة الانسان أم يفعلها ، وهل هناك روح أو عقل كلى أو آلهة أو إله يتدخلون فى مسار هذه الأحداث بصرف النظر عن الإرادة البشرية . ولم يكف الفلاسفة منذ القرن السادس قبل الميلاد حتى أيامنا هذه فى القول والإعادة والترديد فى كل هذه الموضوعات غير المحددة . ولعل هيجل يُعد من أشهر هؤلاء ، فلنعرض لبعض آرائه ببساطة شديدة قدر الامكان .

تفسير هيجل للتاريخ :

كل عصر أو حقبة زمنية – فيما يرى هيجل – تمثل وحدة مستقلة بكل أبعادها الدينية والفلسفية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، هذه الأبعاد التى يسميها هيجل **الكل الحى أو المجموع الحى** Living Totality وأن هذا الكل الحى الذى يمثل عصرا من العصور يحوى فى طياته تناقضات تتعايش معا فترة من الزمن ، ثم تتولد عنها فكرة

أو **كل حى** جديد يمثل عصرا جديد **يناقض** العصر الذى قبله ، وهذا العصر الجديد يتولد عنه عصر آخر له روح مغايرة . . وهكذا دواليك . وأن المحرك لذلك كله **ليس إرادة الإنسان** وإنما (الروح الكلى) أو (العقل الكلى) المسيطر على العالم .[1]

ويضرب هيجل لذلك بأمثلة منها :

إن حضارات العالم - فيما يرى هيجل - ثلاث فقط هى : حضارة العالم الشرق وحضارة العالم الأغريقى الرومانى ، وحضارة العالم الجرمانى . . فالشرق عرف ويعرف أن شخصا واحدا فقط هو الحر والعالم الاغريقى الرومانى يعرف أن بعض الناس أحرارا والعالم الجرمانى يعرف أن كل الناس أحرارا .

لذا فالشرق استبدادى ، والحضارة الثانية ديمقراطية أرستقراطية والثالثة ملكية »[2]

وبوجه عام ، فإن ما ذهب إليه هيجل لا يخلو من عمق فكر ، لكن هذا لا يمنع أن كثيرا من الخلل وعدم الصحة أصبح واضحا فى نظرية هيجل عند تطبيقه على تطور التاريخ .

فإذا كانت نظرية هيجل تحتم أن يكون العالم أو البشر فى تقدم مستمر ، لكن أحداث التاريخ تؤكد وجود فترات من الركود أو النكوص أو الرده الحضارية .

علوم أخرى مساعدة :

ذكرنا فيما سبق جملة علوم (الجغرافيا - الاقتصاد - علم النفس - الفلسفة - الدين) باعتبارها علوما شاع استخدامها فى تفسير الحدث التاريخى ولكن حقيقة الأمر أن كل العلوم على الاطلاق تعد علوما مساعدة للتاريخ ، وذلك لطبيعة التاريخ نفسه ، كعلم يتناول النشاط الإنسانى كافة . فالذى يعد بحثا فى تاريخ العلوم ، لابد له من إلمامه بالعلم الذى يؤرخ له ، فالباحث الذى يتناول تاريخ التعليم ، عادة ما ينصحه الأستاذ المشرف على بحثه أو رسالته بالقراءة أولا فى مجال التربية أو التعليم حتى تكون مصطلحات العلم وأفكاره الأساسية طوع فكره وقلمه . والباحث الذى يتناول تاريخ

---

(١) صديقى ، عبد الحميد : تفسير التاريخ . ص ٦٢ .

(٢) نفس المرجع . ص ٨٥ .

الزراعة[1] لابد له من معرفة شيء عن علم الزراعة ومصطلحاته ، والذى يكتب بحثا فى تاريخ الفنون ، لا يشترط أن يكون مؤرخا فحسب وإنما دارسا للفن أو فنانا ، ولا يمكن كتابة تاريخ للأدب على يد أديب ، ما لم يؤت حظا من أساليب المؤرخين فى البحث ، كما لا يمكن للمؤرخ أن يكتب تاريخا للأدب ما لم يؤت حظا من أساليب الأدباء فى التقصى . وأفضل من يكتب فى تاريخ الطب والأطباء ، مؤرخون قرأوا شيئا عن الأمراض وطرائق علاجها ، أو طبيبا مؤرخا ، فلابد إذن أن ابن أبى اصيبعة مؤلف طبقات الأطباء ، كان طبيبا أو عالما بالطب على نحو ما ، ومؤرخو الفلسفة أو الحركة الفكرية ، لابد أن يكون لهم إلمام بذلك كله ، وها نحن نرى مؤرخا كابن خلدون ، برع فى علم الاجتماع ، حتى أن علماء الاجتماع يكادون ينتزعونه من أحضان المؤرخين . ومؤرخو انتقال الحضارات والتأثيرات الحضارية لابد لهم من جملة ما لابد منه معرفة علم اللغة أوالفيلولوجيا، لمعرفة أصول الكلمات وانتقالها من شعب إلى شعب ، وما يعتور هذا الانتقال من تغيير فى الكلمة . أيمكن لباحث أن يحكم على التأثيرات العربية فى شرق أفريقيا ، ما لم يؤت شيئا من السواحيلية (لغة شرق القارة الأفريقية) وشيئا من العربية .

فكل العلوم إذن فى خدمة التاريخ ، وإنما تتوقف المسألة على اختلاف البحوث وتباين اتجاهاتها .

كلمة أخيرة :

ذكرنا ارتباط التاريخ بالعلوم المختلفة تحت عناوين على شاكلة (الجغرافيا والتاريخ - الاقتصاد والتاريخ - الاجتماع والتاريخ . .الخ) وليس معنى هذا أن الحدث التاريخى لا يمكن تفسير إلا من وجهة نظر واحدة ، إما اقتصادية وإما اجتماعية . . الخ ، فالحدث الواحد قد يفسر بأكثر من وجهة نظر واحدة ، فخروج الجماعات مهاجرة قد يفسر تفسيرا جغرافيا واقتصاديا ودينيا على نحو مركب وفى نفس الوقت . إن الحدث الإنسانى (التاريخى) معقد مركب بحيث يصعب تعليله بسبب أو بوجهة نظر واحدة . فإذا تعثر

---

(١) من المؤرخين الكبار للزراعة فى مصر فى عصر محمد على وما يليه أستاذى الدكتور أحمد أحمد الحته ، ولعله الوحيد الذى أعطى هذا الموضوع جل عنايته ، والتأريخ للزراعة يستتبع تأريخا للفلاح وأوضاعه وللحالة الاقتصادية عامة .

رجل فى حجر فوقع فان الحجر غالبا ليس السبب الوحيد ، وإنما إلى جانب ذلك قد يكون الرجل ضعيف النظر ، فضعف نظره يضاف إلى وجود الحجر كسبب لسقوطه ، وقد يكون الرجل مريضا دائما مترنحا ، وقد يكون إلى جانب ذلك كله قد خرج من بيته مكتئبا حزينا لرسوب ابنه فى الامتحان أو لبعض المشاكسات التى سببتها له زوجته .. وهكذا .

ها أنت ترى أن حدثا بسيطا اشتركت عوامل عدة فى تفسيره وصياغته وتعليله .

الباب الخامس

صياغة البحث التاريخى فى شكله النهائى

- معنى كون التاريخ (علم) وأثر ذلك على الصياغة .
- عرض الآراء المختلفة وترجيح احداها أو الادلاء برأى جديد .
- ربط الوقائع التاريخية بعضها بالبعض الآخر .
- البحث عن الدوافع أو الذرائع .
- استنتاج الحقيقة التاريخية .
- التوثيق أو كتابة الحواشى .
- قائمة المراجع (الببليوجرافيا) .
- نشأة علم التاريخ عند المسلمين ، وأثر ظروف النشأة على المنهج والصياغة .

التاريخ **علم**، وهو **علم إنسانى**، ولأنه **علم** فهو لا يتحمل لغو الكلام ، ولا الإمعان فى الخيال ولا طغيان زخرف القول على الحقيقة أو المعلومة .

ولأنه علم إنسانى ، ولأن مجاله الأساسى هو الإنسان ، بما يعتوره من انفعال ومشاعر ، وما يُحَرِّكه من بواعث ، وما يرنو إليه من طموح ومقاصد ، فلابد للباحث فى مجاله – أى التاريخ – من أن يمتلك ناحية الكلمة ، أديبا أو يكاد ، حتى يكون فى مكنته أن يعبر عن هذه المشاعر الإنسانية والبواعث البشرية تعبيرا صادقا . . ومما يذكر أن التعبير عن المشاعر هو أيضا محور الأدب ، لكن الفارق بين الأدب والتاريخ كبير كبير ، فالتاريخ علم مجاله الحقائق الواقعة فعلا ، مَسْعاه تحقيقها ، ومُبْتغاه تأكيدها أو نفيها ، ومُراده تحليلها وتركيبها . . لذلك فإن الباحث التاريخى بعد أن يجمع مادته من الوثائق وما شابهها ، والمراجع والمخطوطات وما إلى ذلك ، عليه أن يمكث طويلا متأمِّلا متفكِّرا متدبِّرا فيما لديه من معلومات يقارنها ويعارضها ويخضعها للعقل طورا ، وللقلب طورا . وهو – أى الباحث – فى ذلك قد يتخذ أساليب شتى ، حتى يخرج ببحثه التاريخى سويا واضحا منطقيا ، لا شبهَةَ فيه . وهدفنا فى هذا الباب **ذكر بعض** هذه الخطوات التى يسير فيها الباحث بعد أن جمع معلوماته حتى يخرج ببحثه النهائى ، وقد تعمدنا ضرب الأمثلة والإكثار ، حتى لا تخرج الفكرة مجرّدة فلسفية أقرب إلى البحث الميتافيزيقى ، وذلك للأسف ما تتميز به كتب فلسفة التاريخ ومنهجه مما يجعلها بعيدة عن عقل الطالب الناشىء أو الباحث المبتدىء .

عرض الآراء المختلفة ثم ترجيح احداها أو الإدلاء برأى جديد :

لابد للباحث فى مجال التاريخ خاصة إن عرض لمسألة خِلَافِّية أى تكثر الخلافات حولها ، ألا يكتفى برأى دون آخر ، أو يصادر الآراء كلَها لصالح رأى واحد منذ بداية بحثه . وإنّما عليه أن يستعرض بنزاهة كل الآراء ، ثم يناقشها ليخلص بترجيح لأحدها أو لينبذها جميعا ليأتى برأى جديد من لَدُنه مُقَدِّما بين يديه وثائقه ومراجعه ومصادره وأدلته وأسانيده .

ومن البحوث التى سنعرض لجانب منها لتوضيح ذلك ما كتبه الدكتور ابراهيم على طرخان[1] فى مبحث له عنوانه « امبراطورية الفولانيين الاسلامية »[2] يقول المؤلف بعد سطور قليلة تعرض فيها لأهمية موضوع بحثه :«. . . أما عن أصول الفولانيين ، فهى غامضة وغير محققة على وجه اليقين ، وكانت ولا تزال مجال نقاش ، حتى بلغ تشعب الآراء حول هذه الأصول ، حدا دفع بعض الباحثين إلى القول بأن أحدا لا يعرف من أين جاء الفولانيون ومتى جاءوا ؟ ! . بل أن التقرير الرسمى الصادر عن وزارة الأعلام النيجيرية عام ١٩٦٣ يشير إلى أن الفولانيين ربما يكونون قد جاءوا من شمال افريقية وسواحل البحر الأبيض المتوسط .

يقول علماء الأجناس ، ومن بينهم توكسر L. Touxier أن الفولانيين من الحاميين الذين جاءوا من شرق افريقية ، ويحدد فاندلير أكثر، فيقول : أنهم من سلالة قبائل الجالا Galla المنتشرة فى جنوبى الحبشة ، وقد وصلوا إلى حوض النيجر خلال تجوالهم فى أعمال الرعى . وزعم بعض الكتاب أن الفولانيين جاءوا أصلا من الملايو . وقال آخرون : أنهم يرجعون الى الفينيقيين أو الهنود ، ويشبه تمبل Temple أحد حكام نيجيريا فى العهد الاستعمارى الانجليزى - شباب الفولانيين بصور الهكسوس التى صورها المصريون القدماء ، ولكنهم فى سن الكهولة يشبهون اليهود . وذكر دولافوس Delafosse وجاكسون G. Jackson ودوبدرال Depedrals أن الفولانيين من الساميين ، ويرجعون إلى اليهود السوريين ، وأضافوا أن جالية يهودية كانت تقيم فى واحة توان جنوبى الجزائر ، إبان حركة التوسع الإسلامى فى شمال افريقية خلال القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) وأن هذه الجالية كثر عددها وانتشرت فيما حول الواحة ، ثم تحركت حتى وصلت إلى تمبكت على النيجر ، ومنها اتجهت نحو الغرب إلى فوتا جالون وأراضى السنغال حيث اختلط أفرادها بالوطنيين السود .

وعند الفولانيين أسطورة قديمة متداولة مؤداها أن جَدَّهم الأكبر هو يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم عليه السلام ، وأنهم هاجروا من أرض كنعان إلى سيناء فمصر حيث كان يوسف الصديق عليه السلام وأنهم تعرضوا لاضطهاد فرعون فيما يزعمون

---

(١) أستاذ تاريخ العصور الوسطى بقسم التاريخ ، بكلية الآداب ، جامعة الملك سعود ،وعمل أستاذاً للتاريخ الوسيط فى جامعات مصر ، ومن الاختصاصيين الكبار فى التاريخ الافريقى ، ومن مؤلفاته : امبراطورية صنغى ، امبراطورية مالى الإسلامية ، امبراطورية غانا الإسلامية ، امبراطورية البرنو الإسلامية . . الخ .

(٢) نشره فى مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود (الرياض) المجلد السادس ١٩٧٩ (١٤٠٠) هـ

حقدا على نشاطهم الاقتصادى وثرائهم ، فعاد بعضهم إلى كنعان بزعامة موسى عليه السلام ، وهاجر البعض الآخر نحو مغرب الشمس فعبروا النيل إلى برقة حيث اختلطوا بالوطنيين ، واستمروا فى حركتهم إلى غرب أفريقية ، وهناك ازداد اختلاطهم واندماجهم مع السكان المحليين ، ولاسيما الهوسا Hausa واتخذوا لهم اسما جديدا هو فوذ Fouth تخليدا لنجاتهم ، ويعلق دوبدرال على هذه الأسطورة بقوله : إن كلمة فوذ هذه لها أصل ديموطيقى مصرى ، هو بورت Pourt ويقابله فى اللغة القبطية كلمة توت Tot ومعناها يهرب .

. . وهناك رواية تقول إن جماعة يقال لها فوذ ، هاجرت أصلا من العراق إلى مصر حيث عاشت فترة طويلة ثم تحركت نحو الحبشة حيث استقرت أو تفرقت داخل أفريقية خلال القرن السادس قبل الميلاد . . » وهكذا يستمر المؤلف فى استعراض كل الآراء الواردة عن أصل الفولانيين لا يفلت منه رأى قيل أو ملاحظة وردت . . ثم يبدأ فى بلورة رأيه حول هذه المسألة فيقول : « من هذا العرض لبعض الآراء والنظريات التى قيلت بصدد أصول الفولانيين ، يتضح مدى التضارب فيما بينها إلَّا أن أغلب علماء الأجناس يرجِّحون الأصول الحامية وربما كانت من البربر ، وأن أوائلهم قد جاءوا من الشرق إلى الغرب ، تحت ضغط موجات من الهجرات البشرية ، وأنهم دخلوا بلاد السودان - بالمعنى الجغرافى - ووصلوا فى تجوالهم إلى ساحل المحيط الأطلسى ، وأنهم اختلطوا بالدماء العربية فى مطلع العصر المسيحى ، حين جاءت موجة منهم من برقة إلى تنبكت وما سنة فى حوض النيجر ، وأنه فى القرن التاسع الميلادى توجه أغلبهم إلى فوتا فى حوض السنغال حيث استقروا ، وأنه فى القرن الحادى عشر للميلاد هاجر فريق منهم من أعالى السنغال واتجه شرقا نحو حوض النيل وانتشروا فى هذه المساحات الشاسعة ، وأدى اختلاطهم العميق بالزنوج إلى فقدهم صفاتهم الأصلية . . . » .

ها أنت ترى أن الباحث استعرض كل الآراء التى قيلت فى أصل الفولة أو الفولانيين ، وناقشها رأيا رأيا ، ومال فى النهاية - بالدليل - إلى ترجيح أحدها .

ربط الوقائع بعضها بالبعض الآخر ، أو إيجاد علاقات بينها :

يذكر لانجلوا وسينوبوس فى كتابهما : المدخل إلى الدراسات التاريخية[1] . « ينقسم

---

(١) ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى مع كتابين آخرين (هما كتاب بول ماس : نقد النص ، وامانويل كنت : التاريخ العام) تحت عنوان شامل هو **النقد التاريخى** . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٣ .

العمل فى كل علم إلى نوعين من سلاسل العمليات هما : **مشاهدة** الوقائع الجزئية بعزلها عن المجموع الذى تنتسب إليه ، ثم المقارنة بينها على نحو يسمح بفهم **العلاقات** القائمة بينها . والإنسان لا يستطيع أن يدرك بطريق مباشر إلا الوقائع التى على قياس حواسه . . » ثم يبدأ لانجلوا وسينوبوس فى توضيح الفرق بين عمل الأثاريين وناشرى الوثائق من جهة ، وعمل المؤرخ من جهة أخرى ، فيذكر أن الحقائق المفردة من عمل ناشرى الوثائق ومؤلفى الرسائل المفردة ، أما البحث عن **العلاقات فمن شأن التاريخ الذى يتخذ صورة المؤلفات العامة »** .

« ولما كان التاريخ يعمل فى وقائع أصعب فى الرصد وبوسائل أشد نقصا من أى علم آخر ، وكان إلى جانب هذا – أى علم التاريخ – عاريا من كل أداة للملاحظة ، مقصورا على قوى العقل الإنسانى وهو بطبعه غامض مضطرب متسرع ، فان المنهج يقتضى مقاومة السير التلقائى والعمل فى اتجاه معاكس لاتجاه الطبيعة ، وكل هذا **بدقة وحذر »**[1] .

فالتاريخ **كعلم** يرفض تماما أن نورد الأحداث هكذا معلقة فى الهواء لا يسندها شىء ، ولا يبررها شىء ، ولا ينتج عنها شىء ، وإنما يريدها التاريخ معلَّلة مقننة يعتمد أحدها على الآخر .

البحث عن الدوافع أو الذرائع :

يقول الدكتور عبدالله صالح العثيمين[2] فى معرض بحث له مرسوم باسم « موقف سليمان بن سحيم من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب »[3] : « من المعروف لدى المطلعين على سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه جهر بدعوته الإصلاحية أول الأمر فى البصرة وحين عاد من أسفاره خارج نجد التحق بأسرته التى كانت موجودة فى بلدة حريملاء منذ سنة ١١٣٩ هـ (١٧٢٦ م) وبعد استقراره فيها أخذ ينكر ما كان يراه مخالفا للحق ، خاصة ما يتعلق بالتوحيد والشرك . . ومهما يكن من أمر فإنه من

---

(١) نفس المرجع . ص : ج .

(٢) أستاذ التاريخ الحديث فى جامعة الملك سعود وهو اختصاصى فى تاريخ الدعوة الوهابية والتاريخ السعودى الحديث عامة .

(٣) نشر فى مجلة كلية الآداب ١٩٧٧/١٩٧٨ ص ١ – ٢١ .

الواضح أن فريقا ممن عارضوا الشيخ محمد فى بداية دعوته أصبحوا من مؤيديه فيما بعد ، كما أن أناسا ممن صدقوه أول الأمر وقفوا ضده بعد فترة معينة . وما من شك أن هناك أسبابا متعددة لتغير مواقف هؤلاء وأولئك ، ومن تلك الأسباب الاقتناع الشخصى وانتقال دعوة الشيخ من مرحلة إلى أخرى ، سواء فى تناولها أمورا غير التى كانت تتناولها فى البداية أم فى دخولها مرحلة التنفيذ بتطبيق ما كانت تنادى به . . ومن بين الذين تغير موقفهم من تصديق بالدعوة المذكورة إلى محاربة لها : سليمان بن محمد بن سحيم أحد علماء الرياض . . ويعطى الشيخ (ابن عبد الوهاب) سببين لتغير موقف سليمان . . أحدهما ما عبر عنه بالبغى وفسره بأن العامة ستقول لسليمان وأمثاله لم لم تنهونا عما كنا نفعل من محرَّمات قبل دعوة محمد بن عبد الوهاب ؟ فاعتقدوا أن يأتيهم فى هذا غضاضة وأن يكون فيه شرف بغيرهم . ويمكن أن يقال عن هذا الموقف بأن المعارضين خافوا أن **يفقدوا شيئا من مكانتهم الاجتماعية** لدى الناس ، لأن هؤلاء سيتساءلون عن علمهم وإخلاصهم ، فإذا كانوا لم يعرفوا حكم هذه الأمور قبل الشيخ محمد فعلمهم قليل ، وإذا كانوا قد علموا الحكم وأخفوه فهم غير مخلصين . أما السبب الثانى لتغير موقف سليمان فى نظر الشيخ محمد فهو إنكار الأخير على الأول وأمثاله **أكل السُحت والرشوة** » وبعد هذا التحليل للدوافع أو الذرائع أو البواعث التى حدت بالشيخ سليمان لموقفه المعارض لابن عبد الوهاب ، يذكر كاتب البحث (الدكتور العثيمين) أنه « من الممكن قبول السبب الثانى الدافع الاقتصادى أو تحريم أموال كانوا يتقاضونها » لأن هذا الموضوع كان بطريقة ما من بين النقاط التى أوردها سليمان بن سحيم فى رسالته الموجهة إلى العلماء خارج نجد ليقفوا ضد الدعوة . . »

باستعراضنا للنص السابق نلاحظ أن المؤلف يخصص جانبا كبيرا من بحثه عن ابن سحيم لدراسة أو استكشاف دوافعه فى قلب ظهر المجن لابن عبد الوهاب ودعوته بعد أن كان نصيرا لها مؤيدا ، وعرض المؤلف لتفسير ذلك عدة دوافع :

١ - **الدفاع عن المكانة الاجتماعية أو الوضع الاجتماعى** لابن سحيم ، لكن المؤلف عاد فاستبعد هذا الدافع لأن ابن سحيم كان مؤيدا للدعوة من البداية ، ولو كان يعرف أنها ستؤثر على وضعه الاجتماعى أو تقلل من قيمته بين الناس لرفضها بادىء ذى بدء .

٢ - **الدافع الاقتصادى** ، ذلك أن بعض معارضى الشيخ محمد ، ومنهم ابن سحيم كانوا يأخذون أموالا من المتخاصمين مقابل الحكم لهم ، أو كانوا يأكلون السحت

والرشوة على حد تعبير ابن عبد الوهاب ولما كانت دعوة الشيخ محمد ستحرمهم من هذا المصدر المالى أو من هذا الرزق (الحرام) لذا فقد وقفوا ضدها مناوئين لها .

وحقيقة الأمر أن الدوافع الاقتصادية من أهم الدوافع فى تفسير حركة التاريخ ، وإن كانت ليست هى الدوافع الوحيدة ، كما أنه فى كثير من الأحيان تكون هناك دوافع أخرى للتحرك أو التصرف الانسانى غير الدافع الاقتصادى .

ثم نعود فنقتطف فقرات أخرى من بحث الدكتور العثيمين : « . . . غير أن محاولات هؤلاء العلماء (المناوئين لدعوة ابن عبد الوهاب) من خارج نجد لإيقاف دعوة الشيخ محمد بالاقناع والدليل فشلت كما فشلت المحاولات داخل نجد فى هذا الصدد . ومن هنا اتجه العلماء المعارضون بصفة عامة إلى الزعماء السياسيين ليضعوا ثقلهم فى ميدان المعركة . وكانت سياستهم لاجتذاب هؤلاء الزعماء إلى جانبهم ذات شقين: الأول – زعموا أن محمد بن عبد الوهاب خارج عن الصراط المستقيم وأنه يخشى منه على عقائد العامة . وبصفة هؤلاء الزعماء حكاما مسلمين فان عليهم أن يقوِّموا المعوج أو يقضوا عليه ، محافظة على عقائد رعاياهم ، والثانى – ادعوا أن من بين الأهداف التى يقصدها محمد بن عبد الوهاب إثارة العامة على الخاصة والأمراء . ورجل من بين أهدافه هذا الأمر سوف يفسد الأوضاع ، وخطره كبير على هؤلاء الزعماء إن لم يتداركوا الموقف ويضعوا حدا لحركته .

وكان من نتائج هذه الدعاية أن كسب العلماء المعارضون للشيخ ، سليمان بن محمد رئيس بنى خالد وحاكم الأحساء إلى جانبهم . . ونحن هنا إزاء باعثين أو دافعين آخرين لتفسير سلوك الأشخاص أو تفسير حركة التاريخ :

١ – **الدافع السياسى :** أو رغبة السلطان أو الرئيس فى استقرار الأوضاع وهدوء العامة حتى ولو كان هذا على حساب المعتقد الصحيح .

٢ – **الدافع النفسى :** وذلك أن بعض الشيوخ أو العلماء المناوئين لابن عبد الوهاب ، كان منهم يقينا من يعلم صدق قوله وإنما هو الحقد والغيرة أو الحسد ، فبعضهم كان فى صدره شىء من مكانة الشيخ وما وصل إليه من ذيوع وانتشار . . إنها النفس البشرية الذاخرة بالمتناقضات والدوافع الغريبة المتباينة .

نحن إذن أمام بحث يتخذ من دراسة الدوافع أو البواعث الشخصية موضوعا محوريا . ويلاحظ أن البحث فى مجال البواعث الشخصية من أصعب مجالات

البحث ، لأن البواعث الشخصية غالبا ما تكون خبئا فى الصدور والقلوب ولا يمكن دراستها وتحديدها على سبيل اليقين النسبى إلا من خلال ما يظهر من سلوك أو يتبدى من فعل أو يفلت من لسان أو بمقارنة ذلك كله وهذا أفضل .

استنتاج الحقيقة التاريخية :

حضارة قامت على ضفاف الأنهار ، فمعنى كونها قامت على ضفاف النهر ، أنها اعتمدت على هذا النهر اعتماداً أساسيا بالصيد منه ، والشرب من مائه ، والزراعة على شاطئيه . وحتى ولو لم يكن لدى وثائق . . إن ذلك يدخل فى باب **الاستنتاج اليقينى .**

أثبتت البحوث الجغرافية أو التاريخية أن جدبا وقع ، أو سداً أنقض ، أو وباء حل . . ووجدنا بعد ذلك هجرة بشرية . . إذن يمكننا القول أن هذا الجدب الطالح أو السد المنقض أو الوباء الحال ، سبب فى هجرة الناس وانفضاض العمران من تلك البقعة . وهذا الاستنتاج يقينى رغم أننى لا أملك وثيقة أو نقشا يذكر صراحة سبب هجرة الناس ونزوحهم .

ومن أمثلة الاستنتاج فى البحث التاريخى ما ذكر فى كتاب شاخت الشهير عن تراث الاسلام ، فلنأخذ منه قبسا :

« . . والعنصر الثانى فى التراث الزراعى الاسلامى هو أساليب الرى وهنا نجد أن المعلومات تعانى من النواقص نفسها ، ويضاف إليها أن قدرة المشتغلين بعلم الزراعة على المساعدة أقل بكثير فى هذا المجال . إلا أنه من الواضح أن المسلمين لم يكونوا مسئولين عن إدخال قناة الرى والنواعير التى تعتمد على قوة تيار الماء أو الطريقة البدائية لرفع الماء والمعروفة باسمها المصرى (الشادوف) . ذلك لأن الشواهد الأثرية أو الأدبية تدل على أن هذه الوسائل كلها كانت موجودة فى أسبانيا ما قبل الإسلام . وحالة الناعورة التى تحركها الحيوانات هى الحالة الوحيدة التى لا يرد ذكرها فى أية شواهد سابقة ، ومن ثم فان السكوت عنها يقدم مبررا للقول بأن المسلمين أدخلوا أسلوبا خاصا للرى . . . »[١] .

---

(١) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام . ترجمة محمد زهير السمهورى . الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٧٨ (١٣٩٨ هـ) ص ٣٠٧ .

التوثيق أو كتابة الحواشي :

تهدف الحواشي Footnots إلى تحديد الموضع الذى استقى منه الباحث معلوماته بدقة بمعنى تحديد الكتاب باسم مؤلفه وعنوانه والصفحة أو الصفحات التى وردت فيها المعلومة أو المعلومات التى اقتبسها الباحث بنصها أو أعاد صياغتها بأسلوبه .

وطريقة كتابة الحواشي تختلف بعض الشيء من باحث إلى آخر ولكنها اختلافات يسيرة على أية حال ، وإن كان يتعين على الطالب أن يستخدم الطريقة المستخدمة فى معهده أو جامعته أو التى يتبناها أستاذه المشرف .

وعادة ما توضع الحواشي فى نهاية الصفحة إلى الأسفل ، وبعض الباحثين يجمع كل حواشي البحث فى النهاية أو فى الصفحات الأخيرة من البحث .

وبعض الدوريات العلمية تشترط على المؤلفين ألا يستخدموا عبارة (نفس المرجع) أو (المرجع السابق) كما أن بعض الدوريات العلمية تحتم على المؤلف أن يضع المصدر مختصرا بين ثنايا البحث أى أنها تلغى الحواشي تقريبا وهى طريقة سيئة لأنها تعوق القارىء عن الاستمرار فى البحث كما تضع أمامه حوائل تعوق استمرار النص .

ولكن إذا أراد الباحث أن ينشر بحثه فى إحدى هذه الدوريات فان عليه أن يتبع نظامها .

لكن الطريقة الأكثر استخداما خاصة فى الرسائل الجامعية هى وضع الحواشي فى أسفل الصفحات يفصلها عن المتن خط (على نحو ما ترى فى بعض صفحات هذا الكتاب) وتستخدم الأرقام فى ترقيم حواشي الصفحة الواحدة (١) ، (٢) وهكذا وبعض الباحثين يرتبون الحواشي رقميا فى الفصل الواحد على نحو متتابع بحيث تكون الحواشي فى الصفحة الأولى (١) ، (٢) مثلا وفى الصفحة الثانية (٣) ، (٤) ، وفى الصفحة الثالثة (٥) ، (٦) وهكذا إلى أن ينتهى الفصل وبعض الباحثين يستمرون فى الترقيم إلى نهاية البحث ، لكن عيب هذه الطريقة أن الأرقام تصل فى النهاية إلى أعداد كبيرة (٥٢٠) ، (٥٢١) وهكذا .

وفى بعض الأحيان يستخدم الباحث الرموز فى الحواشي كالنجمة ( ) والنجمتين (★★) والثلاثة . . وهكذا . ويرتبط الرقم أو الرمز فى المتن ، بالرمز أو الرقم فى الحواشي .

والواقع أن الطباعين والكاتبين على الآلة الكاتبة كثيرا ما يخطئون فى نقل الحواشى ، لذلك فان الحواشى من أكثر المسائل التى يجب على الباحث أن يراجعها مرة ومرة بعد الطباعة حتى يتأكد من صحتها ، وأنها فى موضعها .

والعناصر التى يجب أن تكتب فى الحاشية عند الاشارة للمراجع أو الكتاب للمرة الأولى هى بالترتيب الآتى :

١ - اسم المؤلف .

٢ - عنوان المطبوع .

٣ - مكان النشر .

٤ - الناشر .

٥ - تاريخ النشر .

٦ - الصفحة أو الصفحات التى استقى منها الباحث المعلومة .

٧ - السلسلة إن وجدت .

وفيما يلى بعض الأمثلة :

مقبل ، فهمى توفيق ، الفاطميون والصليبيون . بيروت ، الدار الجامعية ، ١٩٨٠ . ص ٢٠ - ٢٥ .

أو

نوار ، عبد العزيز سليمان وعبد المجيد نعنعى ، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث . بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٣ . ص ١٥ .

ويختلف الباحثون فى علامات الترقيم فبعضهم كما هو مذكور فى الأمثلة أعلاه يضع بعد اسم المؤلف فاصلة (،) وبعضهم يضع نقطتين رأسيتين (:) كما يختلفون فى العناصر المكتوبة فى الحاشية فبعض الباحثين يكتفى باسم المؤلف وعنوان الكتاب والصفحة ، على أساس أن البيانات الكاملة مكتوبة فى آخر البحث ، أى يجعلون الحاشية كالتالى :

- مقبل ، فهمى توفيق : الفاطميون والصليبيون . ص ٢٠ - ٢٥ .

- نوار ، عبد العزيز سليمان وعبد المجيد نعنعى . ص ١٥ .

ويختلف الباحثون أيضا فى طريقة كتابة الاسم العربى فبعضهم يكتبه كما هو دون قلبه أى البدء باسم العائلة أو الاسم الأخير أى على النحو التالى :

فهمى توفيق مقبل . . . . الخ

عبد العزيز سليمان نوار . . . . الخ

وبعض الباحثين يعامل الاسم العربى معاملة الاسم الأفرنجى أى يكتبون أولا اسم العائلة أو الاسم الأخير ثم الاسم الأول . وهذا الخلاف لا وجود له فى الاسم الأجنبى الذى يبدأ فيه بكتابه اسم العائلة .

والواقع أن المهتمين بالأسماء العربية وضعوا قاعدة لذلك فجعلوا الاسماء الملقَّبة (ذات اللقب) أو الاسماء السابقة على سنة ١٨٠٠ تبدأ باسم العائلة أو الاسم الأخير ، أما الأسماء الحالية أو اللاحقة على سنة ١٨٠٠ فتكتب عادية فطه حسين مثلا يكتب كما هو ولا يلقب على هذا النحو (حسين ، طه) بينما محمد بن اسماعيل البخارى يكتب هكذا (البخارى ، محمد بن اسماعيل) .

ونظرا لأن كل هذه خلافات شكلية فالعبرة فيها هو النظام أو الطريقة التى يتبعها الاستاذ المشرف على الرسالة أو النظام المعمول به فى جامعة الطالب أو الباحث .

وعندما يذكر نفس المرجع للمرة الثانية فان الباحث يشير إليه بعبارة (نفس المرجع) أو بالانجليزية (Ibid) وهى مشتقة من اللاتينية (Ibidem) والتى تعنى نفس المكان The same place ، ذلك إذا لم يفصل بين الحاشية الأولى والثانية مرجع مغاير ، أما إن فصل فنشير بعبارة (المرجع السابق) أو بالانجليزية OP. Cit وهى مشتقة من اللاتينية Opero Citato والتى تعنى المرجع المذكور . وفى كل الأحوال يعاد ذكر اسم المؤلف ، وبعض الباحثين لا يعيد ذكر اسم المؤلف فى حالة الاشارة (نفس المرجع Ibid) ولتوضيح ذلك نذكر الأمثلة الآتية :

١ – باركر ، ارنست : الحروب الصليبية . ص ١٥

٢ – مقبل ، فهمى توفيق : الفاطميون والصليبيون . ص ١٠

٣ – باركر ، ارنست : المرجع السابق ص ١٥ .

هنا دخل مرجع (مقبل) بين حاشيتين موضوعهما (أرنست) فكانت الحاشية (المرجع السابق) ، ثم لاحظ المثال التالى :

١ – باركر ، أرنست : الحروب الصليبية ص ١٥
٢ – باركر ، أرنست : نفس المرجع ص ١٠

أو

١ – باركر ، أرنست : الحروب الصليبية . ص ١٥
٢ – نفس المرجع . ص ١٠ .

وإذا كانت المراجع أجنبية حلّت (Ibid) محل نفس المرجع و (Op. Cit) محل المرجع السابق .

وإذا كانت الحاشية تشير لمقال فى دائرة معارف فإن الإشارة تكون هكذا :

«Plato» Encyclopedia Americana. XXI (1958) pp. 786- 788.

وبالعربية :

« تاريخ » دائرة المعارف الاسلامية . جـ ١ (١٩٥٠) ص ٤١ – ٥٩ أى يكتب عنوان المقال واسم الدائرة فالجزء فسنة النشر فالصفحات وإذا كانت الحاشية تشير لمقال فى مجلة فان الإشارة تكون على هذا النحو :

Hayes, William C. : Daily life in ancient Egypt. The National Geogrophic Magaziue, LXXX (October, 1941) 419- 515.

ومثال بالعربية :

العثيمين ، عبدالله صالح : موقف سليمان بن سحيم من دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب . مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، (١٩٧٧ – ١٩٧٨)ص ١ – ٢١ .

أما الاشارة فى الحواشى للوثائق والمسكوكات والآثار فقد سبق أن أشرنا إليها فى الباب الأول نظرا لطبيعتها الخاصة فَلْيُرجع إليها فى مكانها من هذا الكتاب .

قائمة المراجع (البيليوجرافيا) :

معظم الباحثين الذين يقدمون رسائل للماجستير أو الدكتوراه يتناولون فى المقدمة أو التمهيد تقويما أو تعريفا بأهم مصادرهم ومراجعهم وما عانوا من مشقة فى الحصول على بعضها ، مع تركيز على الكتب أو المصادر التى استفادوا منها أكثر من غيرها ، أو المراجع التى اكتشفوا فيها أخطاء فادحة . وهذه الدراسة النقدية للمراجع لا تُغْنى عن اثبات المراجع والمصادر بالتفصيل فى نهاية البحث .

وبعض الجامعات تحتم على الطالب كتابة ملخص واف لكل كتاب أو مرجع رجع إليه الطالب . ويكتب هذا الملخص عقب كتابة بيانات المرجع أو المصدر فى نهاية البحث . ومن ذلك معهد الدراسات الأفريقية التابع لجامعة القاهرة ، حتى سنة ١٩٦٥ ثم عدل المعهد عن هذه الطريقة .

ويتعمد بعض الباحثين أن يكتبوا مراجع لم يقرأوها ولم يطلعوا عليها فى قائمة مراجعهم حتى تبدو هذه القائمة طويلة غاصة ، وليوهم القارىء بأنه باحث مكثر من المراجع ، والواقع أن أخطر ما يمكن أن يتهم به الباحث هو الطعن فى أمانته العلمية ، لذلك على الباحث ألا يشير إلّا لمرجع أو مصدر عاينه فعلا وقرأه حقا وصدقا .

وبعض الباحثين ينقلون من مرجع أشار له مرجع آخر ، بمعنى أن كاتبا أو باحثا (وليكن الدكتور حسن عثمان مثلا) أشار فى كتابه (منهج البحث التاريخى) إلى أن Fling فى كتابه The writing of history إلى التفرقة بين التفسير التاريخى للأحداث ، والتفسير العلمى . فيأتى الباحث وينقل الفكرة ويزعم أنه قرأها فى كتاب Fling ، بينما هو عرفها عن طريق الدكتور حسن عثمان الذى نقلها بدوره عن Filing .

ولكن إذا رجع الباحث لكتاب Fling بالفعل وقرأ النص بنفسه ، ساعتها لا بأس من الإشارة مباشرة إلى Fling .

بعد هذه الملاحظات العامة والهامة نشرع فى تبيان كيفية صياغة قائمة المراجع (الببليوجرافيا) فى آخر البحث .

يبدأ الباحث بكتابة **الوثائق غير** المنشورة أولا لما لها من أهمية كبيرة . ثم **الوثائق المنشورة ثم المخطوطات ثم المراجع المطبوعة باللغة العربية ثم المراجع المطبوعة باللغات الأجنبية** وإن تعددت اللغات بشكل واضح فلا بأس من أن يفصلها : **مراجع بالألمانية ، مراجع بالفرنسية ، مراجع بالاسبانية** . . . . . وهكذا ويعطى هذه الفئات أرقاما كتابية على النحو التالى :

أولا : الوثائق غير المنشورة . .

. . . .

. . . .

ثانيا : الوثائق المنشورة :

. . . .

. . . .

ثالثا : المخطوطات :

. . . .

. . . . وهكذا

وترتب المراجع فيما بينها ترتيبا هجائيا وفقا لاسم المؤلف فى حالة وجوده أو ترتيبا تاريخيا إن كانت وثائق .

والبيانات التى تكتب بالنسبة لكل مرجع هى :

١ – اسم المؤلف

٢ – عنوان الكتاب كما هو مذكور على صفحة عنوان الكتاب .

٣ – الطبعة .

٤ – عدد المجلدات .

٥ – مكان النشر .

٦ – الناشر .

٧ – سنة النشر .

٨ – عدد الصفحات .

وهاك مثال :

Bieler: Laidwig: Ireland, New york, Oxford, University Press, 1963.

مقبل ، فهمى توفيق : الفاطميون والصليبيون . بيروت ، الدار الجامعية ، ١٩٨٠

أما إذا كان للكتاب مؤلفان أو أكثر فتكون الصياغة كالتالى :

شكرى ، محمد فؤاد ومحمد أنيس : أوروبا فى العصور الحديثة ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٦١ . ط ٢ .

وفى حالة وجود محرر للكتاب تكون الاشارة كالتالى :

Lewis, I.M. (ed.) Islam in tropical Africa. Oxford, Oxford University Press, 1969.

وإذا كان الكتاب عربيا كُتب بعد اسم المؤلف بين قوسين (محرر)

وفى حالة الكتاب المحقق تكون الإشارة كالتالى :

ابن أبى دينار ، أبو عبدالله محمد بن أبى القاسم : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، تحقيق محمد شمام . تونس ، المكتبة العتيقة ، ١٩٧٠ .

وفى حالة الكتاب المترجم تكون الإشارة كالتالى :

جيتس ، جين كى : دليل القارىء والباحث لاستخدام الكتب والمكتبات . ترجمة عبد الرحمن عبدالله الشيخ ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٩٧٠ .

أما الإشارة لمقال فى مجلة أو دائرة معارف فقد سبق أن ضربنا عليه مثالاً[١].

بقيت مسألة أخرى وهى أن بعض الباحثين لا يكتبون قائمة موحدة بمراجع ومصادر أبحاثهم وإنما يكتبون مراجع ومصادر كل فصل على حده ، على هذا النحو : مراجع ومصادر الفصل الأول

مراجع ومصادر الفصل الثانى . . وهكذا

ولكن هذه الطريقة تؤدى إلى تضخم قائمة المراجع لتكرار ذكر المرجع أو المصدر الواحد فى أكثر من فصل . ومع هذا فعلى الطالب أو الباحث أن يلتزم بالطريقة المعمول بها فى جامعته وأن ينفذ فى مثل هذه الأمور ما يطلبه منه المشرف على رسالته .

مسألة أخرى ، وهو أن العرف جرى على حذف الألقاب العلمية من الحواشى أو فى قائمة المراجع ، فعادة لا نقول الدكتور عبد الرحمن الشيخ وإنما مباشرة عبد الرحمن الشيخ ، أو (الشيخ ، عبد الرحمن) لكن بعض الباحثين يضعون اللقب العلمى فى آخر الاسم بين قوسين أو بعد فاصلة ، وعلى هذا النحو :

---

(١) اعتمدنا اعتمادا أساسيا على ما ترجمناه عن جيتس ، جين كى : دليل القارىء والباحث . الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٩٧٦ .

عبد الرحمن الشيخ (الدكتور)
أو الشيخ ، عبد الرحمن (دكتور)
أو الشيخ ، عبد الرحمن ، دكتور .

وهذه أيضا مسائل يجب أن يتبع الطالب أو الباحث فيها النظام المعمول به فى جامعته أو توجيهات المشرف على الرسالة .

وأخيرا فان ضبط الحواشى ، وتنسيق قائمة المراجع والمصادر وخصوبتها كثيرا ما تعطى انطباعا أوليا على جدية البحث وعمقه .

نشأة علم التاريخ عند المسلمين ، وأثر ظروف النشأة على المنهج والصياغة :

١ - أشار القرآن الكريم فى كثير من آياته لأحوال الأمم السابقة (آل فرعون ، عاد ، ثمود ، . . . الخ) كما أشار إلى نبوات سابقة (موسى ، عيسى . . . الخ) مما حدا المسلمين إلى الرجوع إلى من سبقوهم بالكتاب من يهود ومسيحيين ليأخذوا عنهم ، وكان لهذا بعض الفائدة كما كان فرصة لأعداء الاسلام للدس على المسلمين .

* * *

سؤال وبحث مقترح : كتب بعض الباحثين عن الاسرائيليات قاصدين بها ما دس على الكتابات الاسلامية من فكر يهودى .

ابحث فى المكتبة عن مراجع لهذا الموضوع واكتب فيه مبحثا لا يتعدى الصفحات الثلاث .

* * *

٢ - كان المسلمون يتتبعون كل ما يصدر عن الرسول من قول أو فعل وكان هذا يسيرا مادام المصطفى عليه السلام يعيش بين ظهرانيهم ، ولما مات عليه السلام خشى بعض المسلمين من تدوين حديث الرسول مخافة اختلاط القرآن بالحديث وبعد قيام عثمان رضى الله عنه بجمع القرآن فى امام ما عادت هذه الخشية قائمة ، فشرع المسلمون فى تدوين حديث الرسول مُتخذين فى ذلك منهجا دقيقا غاية الدقة وكان هذا المنهج هو أساس منهج البحث التاريخى عند المسلمين . لقد كان جامع الحديث يتنقل من بلد إلى بلد متتبعا رواة الحديث ، وكان لا يأخذ من أى شخص ، وإنما يسأل عنه (يجرحه

ويعدله) أى يعلم هل هو شخص موثوق به (عدل) أم هو غير ذلك (مُجَّرح) ونشأ عن ذلك علم الجرح والتعديل .

لاحظ أن تقويم راوى الحديث (أى تجريحه أو تعديله) هو نفس ما نقوم به الآن بالنسبة لنقد المصدر التاريخى أو وزنه لمعرفة قيمته . ولم يكن جامعوا الحديث يذكرون حديثا للرسول دون نسبته لراويه (لايختلف هذا عن الحواشى أى نسبة المادة العلمية فى نص البحث لمرجع أو وثيقة أو شخص) وقد عرفت طريقة رجال الحديث هذه باسم (العَنْعَنة) لأنهم يقولون عن فلان عن فلان أن رسول الله قال :

* * *

سؤال وبحث مقترح : اكتب بحثا موجزا عن تدوين حديث الرسول عليه السلام : متى بدأ ؟ لماذا تأخر ؟ أساليب التثبت ؟ موقف الجامعين الثقاة من الأحاديث الموضوعة أى المكذوبة ؟ ما هى دوافع أعداء الإسلام فى وضع الأحاديث أى الكذب على رسول الله ؟ فكرة موجزة عن جامعى الأحاديث المشاهير : البخارى ومسلم وابن ماجة والنسائى . . . الخ) .

* * *

٣ - ولما فتح المسلمون بلدانا كان لأهلها حضارة وتاريخ مكتوب جعل أهل هذه البلاد المفتوحة يزيعون تاريخهم بين العرب إما لعصبية وإما تقريرا لواقع مما حدا المسلمين إلى مزيد من العناية بالتاريخ ، واستخدموا فى تحقيق الخبر نفس أسلوب المحدثين ومن هنا لابد أن نعيد التأكيد أن رجال الحديث هم واضعوا أسس المنهج التاريخى الدقيق فيما يتعلق بضبط الخبر والتحقيق منه وإسناده لراويه .

لذلك ليس بِدعا أن تكون أول الكتابات التاريخية الإسلامية قام عليها مُحدِّثون مثل عروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٤ هـ (٧١٢ م) الذى ألف كتابا فى المغازى لم يصل إلينا ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهرى المتوفى ١٢٣ هـ (٧٤١ م) ولم يصل كتابه أيضا إلينا . أما الكتاب الذى بين أيدينا والذى يمثل هذه المرحلة الباكرة للكتابات التاريخية عند المسلمين فهو سيرة ابن هشام .

تكليف : اكتب عرضا مفصلا لكتاب سيرة ابن هشام مبينا محتويات الكتاب وهل أرخ لعصر الرسول عليه السلام فقط أم تناول الجاهلية أيضا ؟ وهل ذكر تاريخ النبوة على

إطلاقها ؟ وما مدى إلتزامه بمنهج المحدثين . لاحظ أن بعض المكتبات تضع سيرة ابن هشام فى المكان المخصص للدين الإسلامى (سيرة الرسول) وبعضها الآخر تضعه فى المكان المخصص للتاريخ (عصر النبوة) . اكتب نبذة موجزة عن المؤلف .

٤ – وفى القرن الثانى الهجرى ظهر بعض المؤرخين كتبوا فى مجالات بعيدة عن السيرة النبوية ومن هؤلاء محمد بن سائب الكلبى المتوفى سنة ١٤٦ هـ / الذى راح يجمع الروايات القبلية عن الأنساب ، وألف ابنه هشام بن محمد بن سائب الكلبى كتابا مشهورا هو جمهرة الأنساب . وفى القرن الثالث تبلور علم التاريخ تماما ويهمنا أن نتوقف عند كتابين لعلمين من أعلام القرن الثالث الهجرى وهما :

(أ) فتوح البلدان للبلاذرى (توفى ٢٧٩ هـ)

(ب) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى (توفى ٣١٠) هـ

تكليف : اطلع فى المكتبة على تاريخ الطبرى (٢٢٤ – ٣١٠ هـ) (٨٣٩ – ٩٢٣ م) تاريخ الأمم والملوك . بيروت ، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ . ١٣ ج فى ٦ مج .

ولاحظ أن محمد بن عبد الملك الهمزانى (٤٦٣ – ٥٢١ هـ) (٨٣٩ – ٩٢٣ م) قد وضع كتابا أسماه : تكملة تاريخ الطبرى . حققه ألبرت يوسف كنعان . بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦١ .

ويصف الدارسون ابن جرير الطبرى بأنه « شيخ مدرسة التأريخ بالمنقول التى يمتد تراثها خلال القرون الثلاثة السابقة لأنه القمة العليا لهذا المنهج فى التأليف عند المسلمين بصفة عامة »[1] .

ويذكر الدكتور على ابراهيم حسن[2] أن كتاب تاريخ الأمم والملوك « كما تركه مؤلفه غير موجود إذ أنه للأسف سرق ، ونقل فى علة كتب أخرى . ولأهميته ساح بعض العلماء الهولنديين فى الممالك الاسلامية واستخرجوا من المؤلفات الملخصة المسروقة التى نقلت عنه نسخة أقرب ما تكون إلى الحقيقة » .

---

(١) الشرقاوى ، عفت محمد : أدب التاريخ عند العرب . بيروت ، دار العودة ، ١٩٧٠ . ص ٢٦١ .

(٢) فى كتابه : استخدام المصادر وطرق البحث . القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٨٠ . ط٣ ص١٣٢ .

والتاريخ على يد الطبرى ليس إلا تحر للدقة فى نقل الخبر عن طريق تمحيص الأسانيد وفحصها وضبط للروايات ولم يتحول التاريخ على يديه إلى مجال للتحليل والنظر العقلى والاستنتاج .

ومع أن الطبرى فى تاريخه قد انفلت من مجال السيرة ورواية الحديث إلا أنه استخدم نفس منهج علماء الحديث فى (العنعنة) أى نقل الخبر عن فلان عن فلان عن فلان حتى يصل إلى مصدر الخبر الأصلى إلا أنه اختلف عنهم فى أمر هام فلم يقم الرجل بتجريح من يروى عنهم أو تعديلهم فقد كان يعتقد أن رواية الوقائع والأحداث التاريخية ليست على نفس قدر وأهمية رواية وأحاديث المصطفى عليه السلام .

ومن خلال كتاب الطبرى ، ومن خلال آراء الدارسين أيضا يمكننا أن نشير إلى بعض قضايا منهج البحث التاريخى ، وعلى الطالب أن يلاحظ أن ما نثيره من قضايا منهجية لها صفة الدوام بمعنى أن المؤرخين حتى اليوم يأخذون بها ويترسمون خطاها :

(أ) كان الطبرى يعتد بروايته إذا كان معاصراً للأحداث وشاهدا عليها . وقد ذكر أحد المستشرقين أن « الطبرى قام فى التاريخ بعمل مشابه لما قام به البخارى ومسلم فى الحديث . . . وأتبع ذلك[1] عملا شاقا وخطرا إلى حد ما وهو الاستمرار فى التدوين إلى عصره » .

(ب) قام الطبرى فى بعض الحالات بالترجيح بين الروايات . ونحن فى التاريخ نتعرض دائما لروايات متباينة ويتحتم على الدارس أن يخضع هذه الروايات لميزان العقل والمنطق والتحليل ليخلص أى الروايتين أدق . وإخضاع الروايات المتباينة للتحليل للخلوص بصحة رواية يعينها **هو ما لم يفعله الطبرى** وإنما الطبرى كان يرجح إحدى الروايتين على الأخرى بناء على **قوة السند** أو وثوقه فى الراوى . ورغم أن بعض الباحثين يوجهون نقدا عنيفا لهذه الطريقة فى الترجيح بين الروايات إلا أن المؤرخين المحدثين يستخدمونها فى كثير من الأحيان فاذا تعارض نص تاريخى مع نص تاريخى آخر فاننا نرجح النص الوارد فى مرجع ألفه مؤلف معاصر للأحداث . ونحن نرجح ما أوردته الوثائق التاريخية وما أظهرته الآثار على ما ذكرته الكتب الروائية Narrative Sources وهذا فى جوهره لا يختلف عن طريقة القدماء . على أنه مما يُنصح به أن يأخذ الباحث بالطريقتين معا .

---

(١) مارجليوث : دراسات عن المؤرخين العرب . ترجمة حسين ناصر . بيروت دار العودة ، د .ت . ص ١٢٥

٥ - ثم انتقل التاريخ نقلة أخرى تميزت بمحاولة تفسير الظواهر التاريخية بالعوامل الجغرافية أو الدينية أو الحضارية عامة أما من ناحية التنقيب عن الحقيقة التاريخية فقد ساحوا وارتحلوا بحثا عن الحقيقة « فليس من رأى كمن سمع » وعمدوا إلى مشاهدة الآثار التى تركتها الأمم الخالية وتسلحوا بمعرفة لغات الأقوام الذين يؤرخون لهم . ولم يكن التاريخ عند هؤلاء المؤرخين فى هذه المرحلة تاريخا سياسيا يعنى بالدول والملوك فحسب وإنما أرخو للظواهر الاجتماعية والحياة الثقافية . . وتعمقوا فى معرفة أسباب الحوادث ونتائجها .

ومن المؤرخين الذين يمثلون هذه المرحلة خير تمثيل المسعودى والمقدسى وابن مسكويه والبيرونى .

(أ) المسعودى (ت ٣٤٦ هـ - ٩٥٦ م) : **مروج الذهب ومعادن الجوهر** . القاهرة ، ١٨٨٢ م (١٣٠٣ هـ) **كتاب التنبيه والاشراف** . القاهرة ، (١٣٥٧ هـ) .

(ب) المقدسى ، محمد (ت ٣٨٧ هـ -٩٩٧ م) **أحسن التقسيم فى معرفة الأقاليم** . ليدن ، ١٩٠٦ م (١٣٢٤ هـ) .

(جـ) ابن مسكويه ، أحمد بن محمد (ت . ٤٢١ هـ -١٠٣٠ م) **تجارب الأمم وتعاقب الهمم** . بغداد ، مكتبة المثنى ، ١٩٦٥ م (١٣٨٥ هـ) .

البيرونى ، أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمى (ت ٤٤٠ هـ - ١٠٤٨ م) **الآثار الباقية عن القرون الخالية** .

ليبنرج ، ١٨٧٨ . (١٢٩٦ هـ) **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة** .

ويلاحظ أن هؤلاء المؤرخين كان لهم باع فى علوم أخرى ، بل أنهم محور تنازع بين الدارسين فى مجالات مختلفة . فالمسعودى جغرافى يشار له بالبنان إلى جانب كونه مؤرخا وكذلك المقدسى ، أما ابن مسكويه فقد كان رجل دولة وسياسة أما البيرونى فأشهر من أن يغفل فجهوده فى علوم الطب والصيدلة والحساب وكان دارسا للفلك عالما باللغة العربية والفارسية والسنسكريتية واليونانية والسريانية حتى أن أحد المستشرقين يصف البيرونى بأنه « أكبر عقلية فى التاريخ » .

* * *

تكليف : يوزع الطلبة إلى مجموعات ، وتتولى كل مجموعة كتابة مبحث يقسمون عناصره بينهم عن واحد من هؤلاء المؤرخين الأربع ، حيلوتهم . تكوينهم العلمى . تلخيص موجز لكتبهم المشار إليها .

الغرض التعليمى : فريق البحث أو البحث الجماعى أصبح روح العصر فى كثير من المجالات كما أن بعض البحوث لها جوانب متعددة ومعقدة لا يستطيع الباحث الفرد أن ينجزها .

وقد ذكر روم لاندو أن المسعودى من « المؤرخين ذوى الطابع الكلى الشمولى وهو بغدادى فاز بلقب هيرودتس العرب ولقد اصطنع طريقة الموضوعات Topical Method فى تدوين التاريخ مستقطبا الأحداث حول السلالات الحاكمة والملوك . وكان أسلوبه نابضا بالحياة ظريفا بسبب لجوئه إلى الحكاية التاريخية . . »[1] فالمسعودى رتب كتابه ترتيبا موضوعيا وجعل محوره الملوك والدول والشعوب ولم يتبع النظام الحولى أى التاريخ لكل سنة على حدة ثم السنة التى تليها فالتى تليها وهكذا ، وهو ما فعله الطبرى . ولايقل المقدسى فى كتابه أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم عن المسعودى رغبة فى المعاينة للبلاد والمعايشة للأحداث وقد تكبد فى سبيل ذلك كثيرا من النصب فقد « أكل مع الصوفية الهرائس ومع الخانقين الثرائد ومع النواتى العصائد وطرد فى الليل من المساجد وتاه فى الصحارى وساح فى البرارى وصدق فى الورع زمانا وأكل الحرام عيانا » . . . إلى آخر حديثه الطريف .

ومرة أخرى نؤكد أننا لسنا بصدد التأريخ للكتابة التاريخية فحسب ، وإنما نحن نستفيد من هؤلاء المؤرخين القدامى فى منهج الكتابة التاريخية رغم قدم عصورهم إذ يتعين على دارس التاريخ اليوم إن أراد أن يؤرخ لبلد أو قطر أن يضّمن بحثه مقدمة أو تمهيدا عن الظروف الجغرافية لهذا البلد واذا أرخ لموقعة حربية ذكر نتفا عن مكان هذه الموقعة وما يحيط بها من جبال أو صحارى أو أنهر وأثر ذلك كله فى سير القتال .

أما ابن مسكويه فقد كان كاتب سر الوزير المهلبى وكان بعد ذلك صاحب حظوة لدى ابن العميد فعرف الرجل أسرارا ومن هنا كان نظرة للتاريخ نظرا عميقا لأنه كان غالبا يعرف السبب الحقيقى للحدث لا السبب الذى يُلقى فى روع العامة .

---

(١٢) لاندو ، زوم : الإسلام والعرب . ترجمة منير البعلبكى . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٧ ط ٢ ، والمؤلف أستاذ الدراسات الإسلامية فى جامعة المحيط الهادى بكاليفورنيا فى الولايات المتحدة الأمريكية .

٦ - استوى علم التاريخ على سوقه ناضجا يافعا ، بدأ مرتبطا بالدين عامة وعلم الحديث خاصة واستمر متخذا منهج علماء الحديث فى العنعنة وتوثيق الخبر مع شيء من التحرر متخذا ماضى البشرية - ليس حديث الرسول فقط - موضوعا له متتبعا أحوال البشرية عاما فعام كلما كان ذلك ممكنا وكان هذا على يد الطبرى ثم نضج أكثر فأصبح علم دراية لا رواية على يد المسعودى وابن مسكويه واتخذ هؤلاء الموضوع لا السنة أساسا للتاريخ . . هذا هو التطور الحاصل حتى القرن الخامس الهجرى . لكن هذه المراحل لا تأت لِتَجُبَّ مرحلة المرحلة السابقة عليها أو تنهيها ، فليس معنى أن المقدسى أو المسعودى لم يستخدما نظام الحوليات أى التأريخ لسنة سنة أن هذه الطريقة فى الكتابة التاريخية قد انتهت إلى غير رجعة . . فهذا فى الواقع ما لم يحدث وما كذبته الدراسات التى تابعت الكتابة التاريخية بعد ذلك ، بل لا زال بعض المؤرخين المحدثين يتخذون موضوعا لكتاباتهم التاريخية **قرناً من الزمان** أو **عقدا من قرن** . .

تدريبات وتكليفات

عرفت أهمية كتب التراجم ، وعرفت أن هذه الكتب أو المراجع نشأت أساسا فى احضان علم الرجال ذلك العلم الذى نشأ كعلم مساعد للحديث رغبة من رجال الحديث فى التثبت من طباع وأخلاق من يروون عنهم .

وبالاضافة لذلك فأنت كطالب تدرس التاريخ لابد لك من الرجوع لهذه المراجع - كتب التراجم فى بحوثك التاريخية :

١ - بعض البحوث التاريخية تتخذ موضوعا لها شخصية دينية أو علمية أو أدبية أو سياسية ومن ذلك :

- مروان بن محمد ونهاية الدولة الأموية .
- الأمين وعصره .
- عثمان دان فوديو ودوره فى غرب أفريقية فى القرن التاسع عشر .
- أحمد عرابى
- محمد بن عبد الوهاب . . . . الخ .

٢ – عند تحقيق مخطوط ، سواء كان ذلك لنشره أو لتقديمه مع دراسة وتوطئة للحصول على درجة علمية لابد لك من التعريف فى الهوامش بكل الشخصيات الواردة فى المخطوط بالاضافة لأمور أخرى .

والآن تصفح هذه القائمة من كتب التراجم ، واختر اثنين منها لتدرسهما بعناية فى المكتبة وتكتب عنهما تقريرا يشمل :

(أ) فكرة عن المؤلف وعصره ، مركزا على ميول المؤلف واتجاهاته ومذهبه .

(ب) الفترة الزمنية التى تناولها المؤلف ، وهل اكتفى بالتأريخ لرجال قرن بعينه أو دولة بعينها أم تناول المشاهير السابقين عليه والمعاصرين له .

(جـ) هل تناول المؤلف المشاهير عامة أم تناول طائفة منهم : كالشعراء أو الأدباء والأطباء وما إلى ذلك .

(د) هل تناول المشاهير رجالا ونساء أم قصر كتابه على الرجال دون النساء أو النساء دون الرجال .

(هـ) كيف نظم كتابه ورتبه ؟ هل رتبه هجائيا بالأسماء الأول للشخصيات التى يترجم لها أم بالاسم الأخير أو اسم الشهرة أم رتبه تاريخيا وفقا لسنوات الزمن أم رتبه طبقة طبقة . . إلى آخر أنواع الترتيب .

(و) وعند تناوله للشخصية التى يؤرخ لها هل يطنب أم يوجز وما هى العناصر التى يذكرها عادة ؟ اضرب أمثلة على ما تذكر من واقع الكتاب نفسه . .

١ – ابن حيان القرطبى ، أبو مروان بن خلف (٣٧٧ – ٤٦٩ هـ) (٩٨٧ – ١٠٧٦ م) **المقتبس من أنباء أهل الأندلس** ، حققه وقدم له وعلق عليه محمد على مكى . القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامى ، ١٩٧١ .

٢ – ياقوت الحموى (٥٧٥ – ٦٢٦ هـ) (١١٧٩ – ١٢٢٨ م) معجم الأدباء . القاهرة ، وزارة المعارف العمومية ، ١٩٣٦ – ٢٠ ج .

٣ – أبو شامة ، عبد الرحمن بن اسماعيل (٥٩٩ – ٦٦٥ هـ) (١١٩٧ – ١٢٦٧ م)

تراجم رجال القرنين السادس والسابع . القاهرة ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، ١٩٤٧ .

٤ - ابن الساعى ، على بن الأنجب المعروف بالخازن (٥٩٣ - ٦٧٤ هـ) (١١٩٧ - ١٢٧٥ م)

نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والاماء . حققه وعلق عليه مصطفى جواد ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٨ .

٥ - ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر (٦٩٦ - ٧٦٤ هـ) (١٢١١ - ١٢٨٣ م)

وفيات الأعيان وأنباء الزمان . بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٢ - ٨ مج .

٦ - الكثبى ، محمد بن شاكر (٠٠ - ٧٦٤ هـ) (٠٠ - ١٣٦٣م) **فوات الوفيات** ، حققه وضبط حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١ - ٢ مج .

٧ - الصفدى ، صلاح الدين خليل بن أيبك (٦٩٦ - ٧٦٤ هـ - ١٢٩٦ - ١٣٦٣ م)

الوافى الوفيات . الأستانة ، مطبعة الدولة ، ١٩٣١ .

٨ - ابن حجر العسقلانى ، احمد بن على (٧٧٣ - ٨٥٣ هـ) (١٣٧٢ - ١٤٤٩ م)

الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، حققه وقدم له ووضع فهارسه محمد سيد جاد الحق . القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٦ - ١٩٦٧ - ٥ مج .

٩ - ابن القاضى ، احمد بن محمد (٩٦٠ - ١٠٢٥ هـ) (١٥٥٣ - ١٦١٦ م)

ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الرجال فى أسماء الرجال ، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور . القاهرة ، دار التراث ، ١٩٧٠ .

١٠ - الغزى ، نجم الدين محمد (٩٧٧ - ١٠٦١ هـ) (١٥٧٠ - ١٦٥١ م)
الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة . بيروت ، المطبعة الامريكانية ، ١٩٤٥ - ١٩٥٨ - ٣ مج .

١١ – المُحبى ، محمد أمين بن فضل الله (١٠٦١ – ١١١١ هـ) (١٦٥١ – ١٦٩٩ م) .

خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر . بيروت ، مكتبة خياط ، ١٩٦٦ ، ٤ مج .

١٢ – المرادى ، محمد خليل بن على (١١٧٣ – ١٢٠٦ هـ) (١٧٦٠ –١٧٩١ م)

سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر . بغداد ، مكتبة المثنى ، ١٩٦٨ – ٤ ج فى ٢ مج .

١٣ – العاملى ، زينب بنت على بن حسين (١٢٧٦ – ١٣٣٢ هـ) (١٨٦٠ – ١٩١٤ م)

كتاب الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور . القاهرة المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٨٩٤ .

١٤ – الزركلى ، خير الدين : **الأعلام** ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين . القاهرة ، ١٩٦٣ – ١٠ مج .

١٥ – عمر رضا كحالة . **أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام** . دمشق المكتبة الهاشمية ، ١٩٤٠ – ٣ مج .

أهم مراجع الدراسة

أوردت هنا أهم المراجع ، أما المراجع التى عدت إليها مرة أو مرتين لفقرة أو فقرتين فقد أشرت إليها فى حواشى الكتاب ، وقائمة المراجع هذه مرتبة وفقا لأهميتها بالنسبة لمؤلَّفى هذا ، كما ذكرت نبذة عن بعض الكتب لتعريف القارىء أو الطالب بها :

● كثير من الحقائق والاستنتاجات الواردة فى هذا الكتاب ، خبرات خلصت بها من بعض الأبحاث السابقة التى قمت بها .

● الشيخ ، عبد الرحمن عبدالله

. – **حيازة الأرض فى نيجيريا فى القرن التاسع عشر** . القاهرة ، جامعة القاهرة – معهد البحوث والدراسات الافريقية ، رسالة دكتوراه غير منشورة . استخدمت هذا المرجع فى اقتباس نماذج من الوثائق وطريقة استخدامها .

–**تاريخ التعليم فى غانا من ١٧٥١ إلى ١٩٦٣** . القاهرة ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، استخدمت هذا المرجع فى اقتباس نماذج من الوثائق وطريقة تقويمها والحكم عليها واستخدامها .

– **الصحافة الكويتية ؟ دراسات تاريخية توثيقية** . الكويت ، مؤسسة الصباح ١٩٧٥ .

استعنت به فى مجال الحديث عن الصحف كمرجع تاريخى .

– مجموعة مقالات مسلسلة عن **الإعجاز التاريخى للقرآن الكريم** نشرت مسلسلة فى جريدة السياسة الكويتية ، ١٩٨٢ .

استفدت منها عند الكتابة عن التفسير الدينى للتاريخ .

– مقالات مسلسلة عن **خريطة العالم الإسلامى من منظور تاريخى جديد** . نشرت فى جريدة السياسة ، ١٩٨٢

● جينس ، جين كى : **دليل القارىء والباحث لاستخدام الكتب والمكتبات** . ترجمة الدكتور عبد الرحمن عبدالله الشيخ ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٩٧٩ .

استعنت به عند الحديث عن النقد المادى للوثائق ، والاشارات المرجعية (الحواشى) واستخدام الباحث التاريخى للمكتبة . ومما يذكر أن هذا الكتاب هو المقرر على طلبة الجامعات الأمريكية لدراسة مناهج البحث ، كما أشار إليه الدكتور ابراهيم طرخان كمرجع هام فى مجال استخدام المكتبة فى مذكرته عن (مقدمة فى علم التاريخ) المكتوبة فى ١٩٧٨ م .

● جامعة الرياض (الملك سعود) : **دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الأبحاث المقدمة للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية فى ٥ - ١٠ جمادى الأولى ١٣٩٧ الموافق ٢٣ - ٢٨ ابريل سنة ١٩٧٧** . قسم التاريخ ، جامعة الرياض ، ١٩٧٧ . وقف على تصحيحه وطبعه الدكاتره عبد القادر محمود عبدالله وسامى الصقار ورتشرد مورتيل . باشراف الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصارى . ٢ ج .

رجعت فى هذا المرجع الهام للبحوث التالية :

(أ) الباشا ، حسن : **أهمية شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية فى العصر الإسلامى** . جـ ١ - ص ٨١ - ١٢٦ .

(ب) العثيمين ، عبدالله صالح : **الشعر النبطى مصدرا لتاريخ نجد** . جـ ١ . ص ٣٧٧ - ٣٩٦ .

(جـ) يحيى ، لطفى عبد الوهاب : **الجزيرة العربية فى المصادر الكلاسية** . جـ ١ ص ٥٥ - ٧١ .

(د) قاسم ، جمال زكريا : **الدوافع السياسية لرحلات الأوربيين إلى نجد والحجاز فى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين** . جـ ١ . ص ٩ - ٢٨ .

(هـ) أوغلى - خليل ساحلى : **مخطوطات عن الجزيرة العربية فى مكتبة جامعة اسطنبول** . جـ ٢ . ص ١٤٥ - ١٦٢ .

(و) ابراهيم ، عبد اللطيف : **وثائق الوقف على الأماكن المقدسة** . جـ ٢ . ص ٢٥١ - ٢٥٤ .

● هارون ، عبد السلام : **تحقيق النصوص ونشرها** . القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٧٧ . ط ٤ .

● كولنجوود ، ر.ج. : **فكرة التاريخ** . ترجمة محمد بكر خليل ، راجعه محمد عبد الوهاب خلاف . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٨ . كتاب رائع استفدت من مقدمته من صفحة ٣٠ إلى صفحة ٤٤. أما بقية الكتاب فعن تاريخ التاريخ ، أو استعراض تاريخ الكتابة التاريخية عند الأغريق والرومان والجزء الثانى عن تأثير المسيحية والثالث عن التاريخ العلمى تناول فيه فلاسفة التاريخ من المذهب الوضعى إلى هيجل وماركس والمذهب الوضعى ، أما الجزء الرابع فيتناول تاريخ التاريخ فى البلاد الاوربية المختلفة . ونحن لم نتناول تاريخ علم التاريخ بالتفصيل فى كتابنا هذا خلا إشارات عن التاريخ عند المسلمين ، لذلك فكتاب كولنجوود هذا من الكتب التى نقترحها للدارس والباحث الذى يريد مزيدا من التفاصيل فى هذا الموضوع .

● عثمان ، حسن : **منهج البحث التاريخى** . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٠ . كتاب رائد ، لكنه يتسم بالصعوبة فى كثير من فصوله ، خاصة بالنسبة للطلبة الجامعيين .

● صديقى ، عبد الحميد : **تفسير التاريخ** ، الكويت ، دار القلم ، ١٩٨٠ .

● حسن ، على ابراهيم : **استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ الإسلامى الوسيط** . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٠ . الطبعة الثالثة .

● مايرز ، ج.ل . **فجر التاريخ** . ترجمة على عزت الأنصارى . راجعه الدكتور عبد العزيز كامل . القاهرة ، مركز كتب الشرق الأوسط ، ١٩٦٢ .

تعرض المؤلف لشعوب بلا تاريخ ، وقد نفى المؤلف هذه الفكرة وجرى الاستشهاد بآراء هذا المؤلف على الخروج عن الحياد والنظرة المتعالية التى تنظرها الشعوب الأوربية للمناطق الأفريقية .

● وسينوبوس ، لانجلوا وبول ماس وأمانويل كنت : **النقد التاريخى** ، ترجمة عبد الرحمن بدوى . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٣ . كتاب صعب الصياغة لا ينصح به الباحث المبتدىء .

● الكرملى ، الأب انستاس : **النميات العربية وعلم المسكوكات** . القاهرة ، مكتبة الانجلو ، د . ت .

● روزنتال ، فرانتز : **علم التاريخ عند المسلمين** . ترجمة صالح أحمد العلى ، مراجعة محمد توفيق حسين . بغداد مكتبة المثنى ، ١٩٦٣ .

● **مجموعات وثائق :**

(أ) الجمل ، شوقى عطاالله : **الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر ١٨٦٣ - ١٨٧٩** . القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٥٩ .

(ب) نصر ، السيد يوسف : **الوثائق التاريخية للسياسة المصرية فى أفريقيا فى القرن التاسع عشر** . القاهرة ، دار المعارف ١٩٨٠ .

● حسين ، محمد أحمد : **الوثائق التاريخية** . قاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٥٤ .

وهو الكتاب الوحيد بالعربية – فيما أعلم – الذى يُقدم تعريفا بدور الوثائق فى العالم ذاكرا شيئا عن محتوياتها ولوائحها ونظم استخدامها . وقد استفدت منه عند تقديم تعريف بدور الوثائق فى العالم فى الباب الأول من كتابى هذا .

• Nisenson, Sámuel & William A. De Witt:**Greatest events.** New York, Grosset & Dunlop, 1954.

كتاب مبسط وطريف وقد استفدت منه كثيرا فى انتقاء السمات الحضارية للعصور . ونظرا للغته المبسطة فهو من الكتب التى ننصحُ الطالب الرجوع إليها لتدريبه على القراءة بلغة أجنبية .

• Miles, George C. :**The coniage of the Arab Amirs of crete.** N.Y., The American Numesmatec Society, 1970.

• Plant. Richard :**Arabic Coins and how to read them.** London, Seaby, 1973.

مع أنه باللغة الانجليزية إلا أن لغته بسيطة كما أنه ذاخر بالصور والنماذج من العملات الحديثة والقديمة وفى إمكان الطالب أن يستفيد منه على أية حال . ورقم تصنيفه فى المكتبات هو 737. 4956

• Sydenham, Edward :**The Coinage of the Roman Republic.** New York. Arna Press, 1975.

● الحسينى ، محمد باقر : **العملة الإسلامية فى العهد الاتابكى** . بغداد ، دار الجاحظ ، ١٩٦٦ .

هذا الكتاب

يتواضع المؤلف ؛ حينما يطلق على كتابه هذا عنوان « **المدخل إلى علم التاريخ** » بينما هو فى واقع الأمر جدير بأن يُطلق عليه عنوان « **علم التاريخ** » فهو يختصر بين دفتية ؛ أساسيات علم التاريخ ، من خلال ثقافة عربية أصيلة حفيّة بترات أمتنا ، مُد عمة بنظرة علمية معاصرة .

والمؤلف يُقسم مُؤَلفَة إلى خمسة أبواب رئيسية ؛ **أولها عن** : المصادر الأساسيه للتاريخ : الوثائق تعريفها ونقدها ووثائق التاريخ الأسلامي والحديث ثم تعريف ببعض دور الوثائق في العالم .. ثم المسكوكات ، والآثار ، والأختام والصنج ، أما **الباب الثاني** فيختص بالمراجع المخطوطة والمطبوعة ، فيُعرِّف الكتاب المخطوط والفرق بين الوثيقة والمخطوطة ، ثم يتحدث عن تطور الكتابة العربية ، وما كتبه كينة الجغرافيون والرحالة .. **والباب الثالث** ، يُحدد فيه المؤلف عصور التاريخ الزمنية وأهم سماتها الحضارية وهو من أمتع أبواب الكتاب بالنسبة للقارىء الباحث عن الثقافة العامه .. وفي **الباب الرابع** يتطرق المؤلف إلى تفسير التاريخ والعلوم المساعدة كالجغرافيا والأقتصاد ، وعلم النفس ، والأدب ، وعلوم الدين ، والأجتماع ، والفلسفة .. وفي **الباب الخامس** ، يركز المؤلف على صياغة البحث التاريخى فى شكله النهائى ، وهذا الباب لصيق بدارس التاريخ ، إذ يضع يده على منهج كتابه البحث ..

وبالرغم من أن المؤلف يقول عن كتابه هذا ، إنه مدرسي تعليمى – وهو كذلك – إلا أنه جديد في المكتبة العربيه ورائد في موضوعه وحفيّ بالقراءة .